

نثار السيرة وثمار الصحبة

(مع العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد)



كتبه
د. علي بن محمد العمران

دار الصميعي للنشر والتوزيع

نثار السيرة
ولمثار الصحبة ﷺ

نِثَارُ السِّيرَةِ وَثِمَارُ الصُّحْبَةِ

مَعَ العَلَّامَة بَكْر بْن عَبْد الله أبُو زَيْد

كتبه

د. علي بن محمّد العمران

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عمران، علي محمد حسين

نثار السيرة وثمار الصحبة مع العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد/ علي محمد حسين عمران- لرياض، ١٤٣٨هـ.

ص: ٢٣٢ ؛ سم: ١٧×٢٤

ردمك: ٦- ٩٢- ٨١٧٢- ٦٠٣- ٩٧٨

١- السيرة النبوية أ. العنوان

ديوي: ٢٣٩ ١٤٣٨/٣٧٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٣٧٨٨

ردمك: ٦- ٩٢- ٨١٧٢- ٦٠٣- ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م

دار الصميعي للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي السويدي، شارع السويدي العام - الرياض: ص. ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢ هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥، ٤٢٥١٤٥٩

فاكس: ٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم: عنيزة، بجوار مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية

هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق: ٠٥٥٥١٦٩٠٥١

المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com

دار الصميعي للنشر والتوزيع

إهداء

إلى مَن ينيرون الدروب بدعواتهم الصادقات – والديّ

إلى من تحملوا شغلي عنهم فاقتطعت من أوقاتهم؛ ليتمّ هذا الكتاب وغيره –عائلتي

إلى أصحاب القلوب السليمة البيضاء

شكرٌ

لإخواني وأحبابي ممن قرأوا الكتاب في بروفاته المتعددة أو أعانوا بالصف والمراجعة:

خالد السريحي، طلال الجابري، عبدالرحمن الأهدل، سالم العماري، سُمية ابنتي، و...

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الفهرست

ربِّ يسِّر وافتح بخير

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدي محمد رسول الله.

أما بعد، فلن أجد غضاضة ولا حرجًا في مفتتح هذه السيرة الممزوجة بالذكريات أن أصدم القارئ بالقول: إنني لا أتغيّا كتابة ترجمةٍ للشيخ العلامة أبي عبد الله بكر بن عبد الله أبو زيد آل غيهب القضاعي (١٣٦٥ - ١٤٢٩) رحمه الله مستوفاةِ الأركان على النمط المعروف في كتب التراجم والسير المفردة أو في الدراسات الأكاديمية، ليس لأنه قد كُتِب عن الشيخ ما يكفي في هذا السبيل، وليس لأني لا أقدر على كتابتها على ذلك المثال، وليس ثمّة سبب مهم ربما يُطيف على بال القارئ وهو يفكر بالنيابة عني لتبرير هذا الأمر!

فلماذا إذن؟

لعلّ الجواب الذي يرضيني وستجدون - إن شاء الله - صِدْقه ومغبّته: أني أردتُ أن أكتب على سجيتي، أردت أن أكتب انطباعاتي ومشاهداتي، وثمرة صحبتي له ومعرفتي به وجلوسي معه الساعات الطوال، في منزله بالطائف، ومكالماتي الهاتفية - شبه اليومية - له التي ربما استمرت لساعة كاملة في أحيان كثيرة.

أردت أيضًا ألا أكون مستروحًا لكودنة النقَلَة؛ مجرّد ناقل لمعلومات جامدة يجدها القارئ بأدنى بحث عن ترجمة الشيخ، سواء فيما كتبه الكاتبون وطبع، أو نشر في مواقع الشبكة، أو في غيرها.

أردت ألا يملّ القارئ بإعادة ما يعرفه عن الشيخ، وألا يملّ برتابة ما لا يعرفه! فيجعل كتابي هذا لقًى[1] كغيره من الكتب الرتيبة الفاترة!

أردت أن يعيش القارئ تفاصيل أكتوبتي هذه بلا تكلّف ولا تعمّل، أردت أن تكون للترجمة حياةٌ.. وكفى.

أردت كل ذلك، فهل أصِل؟ أرجو ..!

---

(١) أي: مهملا.

ثم أردت أيضًا أن أبثّ كل ذلك غير مقيّدٍ برسوم المنهج، ولا محاصر بأغلال التبويب والترتيب، ولا ملتزم برتابة الفصول والمباحث وما إليها.

وحين انتهى الكتاب في صورته الأخيرة رأيتُه قد انقسم إلى دوحتين - بلا قصد مني ولا تعمّد -:

دوحة النّثار[1]: وفيها ما يتعلق بالترجمة وما إليها من أخبار الشيخ والعلم والكتب والمؤلفات.

ودوحة الثمار: وفيها ما يتعلق بما أثمَرَتْه هذه الصحبة على الصعيد الشخصي أو بالإسهام في مشروعات علمية كنتُ واحدًا ممن شاركوا فيها وصنعوا جوانب من نجاحاتها.

صحيح أنها أول تجربة لي في الكتابة على هذا السَّنَن، وقد تعوّد من يقرأ لي (إن كان ثمّة من يقرأ) على أسلوب معين، لكن لا مانع من خوض غمار هذه التجربة، فهل يُفتح لي في الكتابة على هذه الطريقة؟ من يدري؟! قد أرهن ذلك بذوق القارئ، ولكنّي في الحقّ لستُ أعوّل (كل التعويل) على ذوق القارئ؛ لأن إشباع رغبات عموم القراء ليس لي بمَطْمَعٍ، ولا أنصح غيري أن يكون له مطمَحًا، فالأذواق تختلف، والرغبات تتفاوت، ومَنازع الناس شتّى!

وأقول بصراحة: إنني لستُ أحاذر أن أتحدّث عن بعض شأني في هذا الكتاب، لأن طبيعته تجرّ إلى ذلك جرًّا، ومعاندة القلم تشوّش الفكرة، وهو كتاب ممزوجةٌ فيه السيرةُ بنكهة الذكريات، وتخليص هذه من تلك يفسدُ روحَ الكتاب ويلبسه ظِلالًا من التكلّف المفضوح والتورّع البارد!

***

(١) النّثار بضم النون وكسرها، اسم مصدر نثَر ينثر نثرًا، وهو ما يُنثر في حفلات السرور من حلوى ونقود وغيرها.

لـومٌ ومَعْتَبَة:

لامني بعضُ المحبّين لأني لم أكتب شيئًا عن شيخنا رحمه الله تعالى مدّةً طالت في نظرهم، وكانت الكتابة عن شيخنا متوقعةً مني، ولو بمقالٍ مقتضَب يُسْكِت عنّي بعضَ اللوم..!

ويسوّغون لومهم (ولهم فيه كل الحق) بما يعرفونه لي مِن صِلة شخصية قوية بالشيخ، امتدّت لسنوات عديدة، وصلة علمية في المشاريع العلمية الكبيرة التي أشْرَفَ عليها، ثم أوْكَل إليّ متابعتها، وأرخى لي زمامَ قيادتها على مدى نحو سبع سنوات في حياته، وأكملت ما اختطّه بعد وفاته على وَفْق منهجه.

وربما سوّغوا لومَهم أيضًا بأن أكثر مَن كتبَ عن شيخنا رحمه الله لم يكن على صلة وثيقة به، بل ربما لقيه مرة أو مرات، أو لم يلقه أصلًا. وكان (في رأي هؤلاء اللائمين، ونعم الرأي هو) أنّ أحقّ الناس بالكتابة عن العالم أصحابُه أو المقرّبون منه.

وكنتُ قد أخبرتُ بعض الأصدقاء والمحبّين أني عازم على الكتابة عن الشيخ، لكن تأخرتُ في الوفاء بذلك. وكم اتصل بي مَن أعرف ومَن لا أعرف سائلين عن هذا الذي وعدْتُ به، وأنا لا أزال أرخي حبال التسويف، وأؤمّل نفسي بفضلٍ من الوقت.. وهيهات!

وفي غضون ذلك كنتُ أتحيّن بعضَ الدقائق، وبعضَ الفراغ، وبعضَ صفاء النفس، فأكتب السطر والسطرين حينًا و الصفحة والصفحتين حينًا آخر، حتى اجتمع من هذه الصفحات شيء يصلح أن يسمى كتابًا .. ها هو بين يديك، لك غُنمه ـ إن كان ـ وعليّ غُرمه!

خاطريات ما قبل الكتابة:

ثم لا أخفي على القارئ أنه دار في خلدي وأنا أقلّب النظر في الكتابة عن شيخنا: أن مَن يكتب عن عَلَمٍ ما وهو على صلةٍ به، وأراد أن يكتب شيئًا

يُشبع فضولَ القرّاء، خاصة في مثل حال الشيخ رحمه الله، حيث عَرَفه الناسُ بكتبه وبحوثه وإنتاجه العلمي أكثر من معرفتهم بشخصه وأحواله ...= دار في خلدي: أن الناسَ تنتظر من هذا الكاتب الكثير والكثير..، تريد منه أن يعرّفها بخبايا حياته، وأسرار تفوّقه، ونادر أخباره وجديدها، بل يريدون منه أن يُغربَ عليهم بما لطُفَ ودقّ من أخبار هذا العَلَم..

بل قد يبلغ شَرَه المحبة والإعجاب مداه، فيتمنى مَن هذه صفتُه لو تزيّد الكاتبُ في بعض الأخبار شبرًا أو شبرَين وذراعًا أو ذراعين، ما دامت فيمن يحب ويهوى؟! والمقتصدُ منهم (ونحن من حزبهم) لا يرضى بأقل من أخبار سابغة تضيف إلى المعروف معارف، وإلى المشهور نوادر وطرائف!

حينما وقع في خاطري هذا الأمر تملّكتني حيرةٌ في تلبية هذه الرغبة، فهل أكتب ما أعرفه (وما أعرفه فقط) عن شيخنا، مع مكملات الترجمة المعروفة؟ أو آتي بمعلومات من هنا وهناك لأملأ بها صفحات أكتوبتي هذه؟ سواء مما قاله الناس من قبل، أو سيقوله من يكتب عنه، أو بقوالب جاهزة (كما يصنع كثيرون اليوم وقبل اليوم) تصلح أن تُكتب في ترجمة كلِّ علَم؟

وكانت الخشية أن تطغى هذا المعلومات المكرورة على ما سيضيفه الكاتب.

كان هذا من أسباب التردّد.

وسبب آخر طرأ عليّ، وقد يطرأ على ذهن مَن يكتب؛ هل أكتب لأجَمّل الشيخَ وسيرتَه (وهي جميلة إن شاء الله)؟ أو أَعْرِضه على الناس كما هو؟ على طبيعته كما عرفته (وما عرفتُ إلا جميلا!)؟

تلك مشكلةٌ عصيّة على الحلّ! وهي تعود إلى العلاقة الجدلية بين الكاتب والقارئ، هل نكتب وفي أذهاننا رضا الناس أو نكتب ما نؤمن به رضيَ الناسُ أم سخطوا، وقد صوّر طه حسين هذه العلاقة المتأزّمة بين الكاتب والقارئ، قال: «ولو أن القارئ استطاع أن يدخل بين الكاتب وبين نفسه وأن يشهده

حين يهمّ بالكتابة ثم حين يهجم عليها ويمضي فيها، لرأى شيئًا عجبًا، لرأى أن الكاتب يصارع خصمَين عنيدين، أحدهما الموضوع الذي يريد أن يكتب فيه، والثاني القارئ الذي يريد أن يكتب له، ولرأى أن الموضوع في أكثر الأحيان ليس أشدّ الخصمَين عنادًا ولا أثقلهما خصومة، وإنما الخصم العنيف المخيف حقًّا هو هذا القارئ الذي لا يعرفه الكاتب ولا يستطيع أن يحصي ميوله وأهواءه وعواطفه، ولا أن يتبيّن ذوقه، ولا أن يستيقن بما يلائمه وما يخالفه، وإنما هو خطر محقَّق واقع، ولكن مبهم غامض شائع مختلف متناقض متفاوت لا سبيل إلى حصره ولا إلى تحديده ولا إلى العلم بالطريق التي يجب أن تُسلك إليه!»[1] ؟

دعونا نخْلُص من هذا كله ونقول: إنه من المتفق عليه أن مَن يكتب عمن يحبّ أو يحترم، أو عمن له قَدَم صدق في الدين والعلم والحق... ليس مِن غرضه تتبّع الأخطاء ولا التنقير ولا التفتيش ولا إبراز المثالب والبحث عنها (لو كانت)، كما يفعله طائفة من المخذولين (لا كثّرهم الله) ممن يحسبون أنهم يحسنون صُنعًا ببسْط ألسنتم في خيار عباد الله؛ خديعةً من الشيطان تلبّسهم بها ومنّاهم بصحّتها فأضلّ طائفةً منهم على علم وطائفة على هوًى وطائفة كثيرةً على جهل، ألا ساء ما يعملون، وساء ما يَزِرون!

إيقاظات ومُثُل:

يذكر أصحاب التراجم والسير فيما يذكرونه في الترجمة (وكذلك نفعل) بعضَ عادات المترجم أو مواقفه أو كلماته، فلا نعني بالضرورة مدحًا ولا قدحًا، وإنما نحكي مواقفه كما هي، دون إلباسها لباس التأسّي والقدوة!

فحينما حكى المترجمون لشيخ الإسلام ابن تيمية أنه كان فيه حدّة مع الخصوم، فهل كان ذاك موضع ثناء أو موضع قدوة.. لا، بل قال الذهبي: «ولو لاين الخصومَ لكان كلمةَ إجماع». وكتب التراجم طافحة بمثل هذا، ولم يدّع

---

(١) مجلة الهلال، العدد التاسع، ينظر «مقالات كبار الكتاب» ص٢٢٧ لراقمه.

أحد أن كل تفاصيل تراجم الأعلام للقدوة والتأسي... إلا من حيث مجموع الترجمة، لا من حيث كل تفاصيلها، وهذا يريح القارئ من أسئلة كثيرة قد تطرأ عليه وهو يقرأ في كتب التاريخ والتراجم القديمة والمعاصرة.

نقول هذا إذا تبسّط الكاتب في ترجمة العَلَم فذَكَر أشياء من قبيل العادات والمواقف، لاكتشاف شخصية مجهولة السيرة أو للإحماض والإطراف، وهذا من جميل ما تُطلب التراجم لأجله.

وغير خفيّ على القراء الكتاب المهمّ «الضوء اللامع» للحافظ السخاوي (ت٩٠٢) وكيف ذكر فيه كثيرًا من معاصريه من العلماء والأدباء والكتّاب... وأعْمَل فيهم قلمَه بكثير من النقد وذِكْر مثالب مترجميه.. وربما كان بعضه بحق... وبعضه فيه تحامل.. وكان ذلك حاملًا للكثير من المؤرخين أن يعيبوا على السخاوي صنيعه ذاك، ووصفه بتكلّف النقد، والتحامل على الأقران، وعدم الإنصاف في الخصومة، واستدعى ذلك بعض معاصريه فكتبوا ردودًا عليه، وكان الحافظ السيوطي (ت٩١١) ممن اصطلى بنار «ضوئه اللامع» فكتب بالمقابل «الكاوي على تاريخ السخاوي». ومنهم البقاعي (ت٨٨٥)، بل تعدّى أمر تحمله في النقد لطبقة شيوخه من أقران شيخه ابن حجر ومنافسيه!

ومن الإطراف في هذا السبيل أن أحد المؤرخين وهو الشمّاع الحلبي (ت٩٣٦هـ) صاحب كتاب «القبس الحاوي» مختصر «الضوء اللامع» قال: إنه حذف المثالب من مختصره لأنه ليس من غرضه ذكرها.

نيتي للكتابة قِدْمًا:

أعود فأقول: كنتُ قد استأذنت شيخنا رحمه الله في كتابة ترجمة له وذلك في حياته وأظنه عام ١٤١٩هـ، وأذن لي بذلك، ودفع إليّ «ثبتَ شيوخه» الذين استجاز منهم. وبعد مدة أعطاني ترجمة له في عدة صفحات كتبها نجله الأكبر عبدالله بن بكر في خمس صفحات، وطبعت بعدُ في مقدمة «فتاوى اللجنة الدائمة».

وكان سبب طلبي من الشيخ آنذاك كتابة ترجمة له: أن «دار القلم» عزمت على طباعة سلسلة كتب حول أعلام المسلمين المعاصرين من العلماء والأدباء وغيرهم[1]، فكان أن اتصل بي صاحبها الأستاذ محمد علي دولة رحمه الله[2]، وطلب إليّ كتابة ترجمة للشيخ بكر ضمن هذه السلسلة، فعزمتُ حينها، ولكن ما لبث العزم أن ضَعُف، وللأمانة لا أذكر السببَ الحقيقيّ لهذا الفتور في العزم ... إلا أني أذكر طائفًا طاف بي وهو أني ما أحببت أن أترجم للشيخ في حياته، وهو حينها في أوْجِ عطائه العلمي في الثالثة والخمسين، لا أدري! أظن هذا هو السبب، فقد بعُد العهد!

ربما أقول الآن: ليتني كتبت الترجمة في ذلك الوقت، ثم أخرتُ نشرها إلى حين، لأنه كان بإمكاني سؤال الشيخ عن أمور كثيرة فاتني السؤال عنها، لكن ماذا ينفع الترجّي وهل يجلب إلا التحسّر؟!

لكني أحيانًا أحدّث نفسي وأعزّيها فأقول: إنه من الخير أني لم أكتب تلك الترجمة في حينها، ولم أسأل الشيخ عن أشياء ربما نهاني عن كتابتها وتدوينها وإشاعتها، إما لمزيدِ ورَع أو هضمِ نفسٍ، أو لرأيٍ كان يراه... فالشيخ كما يعرفه مقرّبوه لا يحبّ المَدح والثناءَ، ولا يحب أن يتحدّث عن نفسه لا كثيرًا ولا قليلًا إلا في أضيق الحدود وبعد سؤال وإلحاح.

وحينئذٍ فلو كنت قد سألته لربما منعني من النشر أو لم يحبذه، فأقع في حرجٍ من نشرها بعدُ مع أنها مفيدة للقارئ ولا تضر الشيخَ، ولله الأمر.

***

(١) صدر من هذه السلسلة حتى اليوم ٤٢ كتابًا.

(٢) توفي قبل أشهر أواخر عام ١٤٣٧ في دمشق وعمره ٧٢ عامًا.

البداية!

عُرف الشيخ باعتزال مجالس الناس، وقلّة احتفاله بالخُلْطة بهم، بل وإحجامه عن الخروج لهم تدريسًا أو إلقاءً للمحاضرات أو تصدرًا للفتيا في البرامج والقنوات.

وكنتُ عرفتُ الشيخَ اسمًا ومكانةً، واقتنيتُ كثيرًا من كتبه، وشُغفت بأسلوبه وتفنّنه وتعدّد معارفه، وطريقة تناوله للبحوث، وكنت كثيرًا ما أصلي معه في المسجد الذي بجوار بيته، وأتابع النظرَ من حين انتهاء صلاته وخروجه من المسجد (ولم يكن يطيل المكث)، فإذا خرج من المسجد كان سريع الخطو لا يكاد يُلحق ..

فصحّ العزمُ على تقحّم الحواجز، فكنتُ أترصّد للشيخ وقت خروجه من المسجد لسؤاله عما يشكل عليّ، وأماشيه مع من يماشيه إلى قُرب باب داره، حيث يقف الشيخ عند منعطف الشارع المؤدّي إلى مدخل بيته، موحيًا إليك بطريقة عجيبة ـ يعرفها من عرف الشيخ ـ أن هذا المكان هو فراقُ ما بينِنا! فننصرف (أنا ومَن وقف معي من طالبي الفوائد) راهبين هيبةً له، راشدين بغَنيمةٍ هاديةٍ على اختصارها، وكلمات نافعة على اقتضابها. وكان يقف معي للسؤال والاستفسار عددٌ قليل؛ أذكُر منهم الأستاذ دخيل الله العتيبي وفقه الله[1].

فلا أدري.. أأبدأ من يوم لقيته وتعرّفت عليه - وكانت أمنية -؟ أو من بعد ما توثّقت الصِّلَة، أو من يوم سمعتُ به وأعجبتُ بشخصيّته؟

كلّ هذه الأشياء تصلح مدخلًا لهذه السيرة وهذه الذكريات.

نعم لا أدري من أين أبدأ ولا أين سأنتهي، لكن الذي أدريه كما أسلفتُ أنني لن أقسّم حديثي هذا إلى فصول مرتبة ولا مباحث مقسمه، ولن تليها مطالب ولا فروع، لكن سأنجّمه بعنوانات أكتب فيها ما يجري به القلمُ لحينه ووقته،

---

(١) وقد كتب لي أوراقًا فيها بعض ما عرفه عن الشيخ وبعض ما قيده من فوائد.

ولن أستدرّه إذا ما جفّ ـ وما أكثر ما يجف ـ ، ولن أعصره إذا ما أجدب ـ وما أكثر ما يُـجْدِب ـ !

* * *

اللقاء الأول

لعل الأقرب إلى نفسي أن أبدأ باللقاء الأول الذي جمعني به، فأعتبره مدخلًا لهذه السيرة، كما كان مدخلًا لمعرفة الشيخ، وقد رأيتُ قلمي يهرول إلى ذلك، فأطلقتُ عنانه ليجري في حلبة الذكريات، على قلّة إمساك الذاكرة وبُعد المدة، فإنه يفصلني عن تلك الأيام أكثر من عشرين سنة.

سقى اللّـه أيامًا أشبِّهُ حُسنَها   وقد كنتُ في روضٍ من العيش ناضرِ

في صيف عام ١٤١٦هـ، كان عمر الشيخ حينها إحدى وخمسين سنة، وهو في أوج قوته العلمية ونشاطه في الكتابة والتأليف، وتسنّمه أعلى المراتب العلمية، وكنت في السادسة والعشرين، في أوج شبابي وتفرّغي للعلم، حديث عهد بالانتهاء من الجامعة، أتلمّس سبيلَ المعرفة، واستهدي مَن سبق إلى طريق العلم.

كان لي شغف في هذا الوقت وقبله بسُنيّات بكتب التاريخ وتراجم الرجال والسير، المتقدّم منها خاصة، وكنتُ قد صنعتُ لنفسي مشروعات متعددة أثناء قراءتها، وكتبتُ بطاقات كثيرة العدد، وفوائد مختلفة الأغراض على أغلفة الكتب، وبعضها في إضبارات ودفاتر خاصة، وأشياء كثيرة في هذا السبيل.

وفي أثناء تجوالي في كتب التراجم كنتُ أراجع كتاب (النظائر) لشيخنا وهو ـ كما لا يخفى ـ ضميمة لأربع رسائل[1] (العزّاب - التحوّل المذهبي - التراجم الذاتية - لطائف الكَلِم في العلم) فأقيّد ما أجده مما يُستدرك من تراجم فائتة، أو فائدة زائدة، أو خطأ، أو تصحيف، ونحو ذلك.

ورأيتُ حينها أنه قد اجتمع من تلك الاستدراكات وأخواتها عددٌ لا بأس به، فجرّدْتُها في عشر ورقات، على أن أسلّمها له، ولكن كيف السبيل إليه؟ وهل أجرؤ أن أعطيه تعقباتي يدًا بيد؟

كلا، ما دار ذلك في ذهني فضلًا عن أن تسعى إليه قدمي! وهل أصابني

(١) طُبعت الرسائل الثلاث الأولى مفردة، ثم ضمها الشيخ إلى الرسالة الرابعة وطبعت باسم (النظائر).

خَبَل في عقلي حتى أسعى إلى صَرْم العلاقة التي أسعى لوصلها؟!

ثم اهتديتُ بحمد الله إلى تدبير مناسب، فدفعتُ تلك الأوراق لمن يستطيع إيصالها غير هيّابٍ ولا وجل؛ من اليوم التالي لكتابتها صارت الأوراق بيدِ الصديق العزيز الشيخ يحيى بن عبدالله الثمالي، وكانت تربطه بالشيخ علاقة وثيقة، وله بالشيخ خصوصية قديمة زائدة، وكان إلى ذلك إمام المسجد الذي يصلي فيه الشيخ، وكانت ـ ولا تزال ـ تربطني أيضًا به علاقة جيدة، ونعم الرجل هو علمًا ودماثة خلق!

دفعتُ تلك الأوراق إليه ليتلطّف في تسليمها للشيخ، للنظر فيها وتصحيح ما يراه منها مناسبًا في طبعة لاحقة، وبه أكون قد أدّيتُ أمانةَ العلم، ومددتُ حبلَ الوصل معه بسبب وثيق!

والعجيب أني لم أسأل صديقي الثماليَّ يومًا أن يأخذني للشيخ أو يقدّمني له! كان الحياء يغلبني في كثير من الأحيان! والحياء لا يأتي إلا بخير.

والعجيب أيضًا أن أخي يحيى لم يتردّد في أخْذ أوراقي تلك، ولم يتأخر في تسليمها للشيخ، ولم يتأخر الشيخ في التفاعل معها.. وإذا أراد الله أمرًا هيّأ أسبابه. ولم يدُر في خلدي أن يكون لتلك (الأوراق الضئيلة المبنى القليلة العدد) شأنٌ عند الشيخ، ولا تأثير في مجرى حياتي العلمية، ولا أن تكون سببًا لأي شيء ذي بال!

لكن كانت المفاجأة..!

في اليوم التالي أخبرني أخي يحيى الثمالي أن الشيخ يدعوني للقائه، وشرب القهوة (عصرًا أو مغربًا نسيت)، فوقع في روعي توجّس وارتباك؛ هيبة من لقاء الشيخ ـ فالشيخ مهيب الجانب، صارم اللحظ، كأن عينيه لسانان ناطقان[1] ـ ولأن تلك الأوراق ما كانت رسالة إعجاب وتودّد، بل كانت تعقبات مباشِرَة ونقدًا صريحًا، ولم أقدّم بين يديها عذرًا ولا التماس مخرج، أعني أنني لم

---

(١) استعرت هذا الوصف من كلام للذهبي في وصف شيخ الإسلام ابن تيمية.

أمهّد فيها التماسًا ولا إعذارًا، وإلا فالعذر مبسوط ومعلوم= فخشيت أنها لن تقع من الشيخ موقع الرضا بسبب ما سلف، فتردّدت في قبول الدعوة، لكن الشيخ يحيى قطع تردّدي وسهّل عليّ الأمر واصطحبني إلى الشيخ؛ يسوقني حبُّ لقائه، وَتحبسني هيبتُه وما قدّمت من أوراق الاستدراك.

وكانت المفاجأة أيضًا..!

استقبلني الشيخ بحفاوة زائدة، وعانقني، ولقّبني بالشيخ (وربما كان هذا اللقب (الشيخ) ليس مقصودًا لذاته، بل من باب خَلْعِه على كلّ متديّن له مشاركة في العلم على ما اعتاده الناس! لكني فرحت به على كل الأحوال! وما لي لا أفرح به؟! وزملائي وأقراني وشيوخي لا يلقبونني به إلا وقد احترزوا مئة احتراز قبله، وها قد لقّبني به العالم الفذّ ذو القلم البديع والأدب الرفيع!).

دُهِشتُ لذلك أكثر من اندهاشي بما كنتُ أتوقعه من برودة اللقاء، أو من عتاب الشيخ لأسلوب التعقّب والنقد، أو بما كنت أتوجس منه؛ إما درسٌ في الأدب مع الشيوخ والكبار، أو تهديد ووعيد، كما يصنعه بعض المنتسبين إلى العلم لو تعَقّبهم أحد أو انتقدهم، يريدون علوًّا بنزول، وهيهات، فالحمد لله أن ذلك ما كان و لم يكن للشيخ بخُلُق!

كسر الحواجز:

وفي تضاعيف ذلك المجلس اعتذرتُ له من جفاف أسلوب تلك الورقات (وقد أكثرتُ من ذكرها، وماذا أصنع وقد كانت هي فاتحة تحقُّق الأماني، فلا تعتبوا عليّ والتمسوا لي مخرجًا) فقال لي: «لا يضيء الكتاب حتى يظلم»، وهي كلمة لأبي زيد النحوي[1]، فذكرتُ له قول الصولي: «المتصفّح للكتاب أبْصر بمواقع الخلل من منشئه»[2].

ويعني بالإظلام: امتلاء حواشي الكتاب وطرره[3] بالتعليقات والتقييدات

(١) الجامع للخطيب ١/ ٢٧٧. وانظر المدخل المفصل: ٢/ ١٠٨١- ١٠٨٢.

(٢) الإيجاز والإعجاز ص١١١ للثعالبي.

(٣) كثر استعمال (الطرة) لدى الباحثين المعاصرين بمعنى ورقة العنوان أو الغلاف من =

الكثيرة، وأما الإضاءة فهي المعنوية. والمعنى: لا يضيء الكتاب تمام الضياء إلا بما يقيِّد عليه من فوائد ونِكاتٍ تملأ طررَه فتضيء علمًا ونورًا.

سألني الشيخ عن عمري، فذكرت له أني من مواليد سنة كذا وكذا (ولن أفشي السرّ مرة أخرى!) فقال: ظننتك أكبر من ذلك! فكانت إشارة لطيفة تتضمن إعجابه بما وصله من ملاحظات.

تبلّجت أسارير وجهي لهذا اللقاء، وانشرح صدري لهذه الأريحية وهذا الاحتفاء واللطف الذي لمسته في تلك الجلسة على اختصارها وعفويتها، وانقلب قلقي منها إلى راحة وخوفي منها إلى أمن.

وحين انصرفنا فتح لي الشيخ إشارة خضراء، وطلب مني تَكرار الزيارة، فكانت هذه إشارة العبور إلى مجلسه، ومفتاح الإذن لزائر جديد يقتحم على الشيخ خلوته، وكانت تلك (الورقات السحرية) هي الفاتحة، ورَحِم العلم هي الجامعة.

ذلك ما جرى معي لا أزيد عليه وربما نقصتُ منه، فهل كان موقفًا يتيمًا فزتُ به، أو تصرّفًا فردًا خُصِصتُ به؟ أو كرامة (ولست من أهلها) مُنِحتُها؟ لا أدري، ولم يعتمل هذا السؤال في ذهني كثيرًا في ذلك الوقت، لكني بعد مدة علمتُ أن أوراقًا تشبه أوراقي كانت سببًا ـ وليست السبب الوحيد ـ في تعرّفه إلى عدد آخر من الشخصيات، وعلمتُ أنها طريقة للشيخ مسلوكةٌ في تكوين العلاقات المميزة، وقد أخبرني عدد منهم بذلك، منهم أخي الشيخ محمد عزير شمس، وأستاذنا الشيخ الدكتور سليمان العمير، وأخي الشيخ جديع الجديع، وقد حكى لي كل واحدٍ منهم خبرَه وقصَّ قصّتَه.

وهذه مناسبة أهتبلُها للتنبيه على أريحية الشيخ في تقبّل النقد والاستدراك والتعقب، حتى ممن هم في عداد طلابه أو المستفيدين منه، فقد كان هذا خلق الشيخ ما علمتُه، بل كنتُ إذا جئته وقد صدر له كتاب جديد يسألني عن رأيي

= المخطوط، وليس كذلك، بل تعني الحواشي على هامش أوراق المخطوط.

فيه أو ما سمعته من طلبة العلم عنه؟ فأذكر له من أثنى، فيقول: الثناء كثير، لكن هاتِ النقد و الملاحظات!

وتذكرتُ حينها قصةَ الحافظ عبدالغني بن سعيد الأزديّ (ت٤٠٠) لما كتب تعقُّبات على أبي عبدالله الحاكم في (المدخل إلى الصحيح)، فلما وصلَتْ إلى الحاكم (ت٤٠٥) بعث إليه يشكره ويدعو له، قال عبدالغني: فعلمتُ أنه رجل عاقل[1].

وذكّرني بصنيع الشيخ العلامة أحمد شاكر حينما نشر نَقْد السيد أحمد صقر (وهو من طبقة تلاميذه) على تحقيقه لكتاب (طبقات فحول الشعراء) في مقدمة الطبعة الثانية، مع ما في نقده من قسوة[2]!

وبالمقابل أيضا فقد ذكّرني بصنيع طائفة ممن يُحسَبون على العلم - وما عَرفوا منه إلا أوشابًا - إذا انتقدهم أحد أو صحح لهم أو استدرك= وَرِمَت أنوفُهم وغضبوا وأرعدوا وأزبدوا، وعَدُّوا المنتقِدَ خصمًا بل عدوًّا (إي والله!) فإن كان صاحبًا قاطعوه، أو بعيدًا خاصموه، أو قرينًا كاشحوه والتمسوا عيوبَه، وسعوا في الوقيعة به!!

فعياذًا بالله ولواذًا به أن أكون أو أحد من إخواني من هذا الصنف الذين لم يؤدّبهم العلم، ولم يتخلّقوا بأخلاقه، ولم يَجْروا على سَنَنِ أهله.

من حميد آثاره:

١- وبعد هذا اللقاء بأيام كنتُ في زيارة لأستاذنا الدكتور عثمان جمعة ضميرية - نزيل الطائف - في منزله، فأطلعني على طبعة جديدة لكتاب (تقريب التهذيب) للحافظ ابن حجر، من مطبوعات دار العاصمة سنة ١٤١٦هـ بتحقيق «أبو الأشبال صغير شاغف الباكستاني»، وتقديم الشيخ بكر أبو زيد، ففرحتُ به واستعرته منه، وصادف أنه كان لي اشتغال في تلك

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢٧٠

(٢) ينظر مقال: قبول النقد وصفات الناقد، ضمن (بحوث ومقالات) ص١١٤ لكاتبه.

المدة بكتاب (التقريب) ومقارنته بـ(التهذيب) وبعضِ نسخٍ خطية كانت عندي، فرجعتُ إلى البيت وعكفت على نسخة (التقريب) الجديدة، فعثرتُ فيها على ملاحظات عديدة وأخطاء منهجية، فقيدتها على نسختي وأطْلَعتُ د. عثمان عليها، فأرسلها للشيخ بكر، ثم التقيتُ بالشيخ عن قُرْبٍ فدفع إليّ نسخةً من طبعة (التقريب) السالفة، وطلب مني النظرَ فيها، فعلّقتُ في أيام على نحو ٩٠ موضعًا من الكتاب وأعطيتُها له، وقلت له: إن الطبعة الشامية (تحقيق محمد عوامة) خير من هذه الطبعة، فما غضب ولا تجمجم؛ فارتفع الشيخ في نظري جدًّا، وانظمّ هذا الموقف إلى موقفه السالف مع الأوراق، فعلمتُ أن الحق رائده، ولو جاء ممن هو أصغر منه وأقل شأنًا.

٢- وأذْكُر أيضًا في تلك المدة القريبة من معرفتي به أنه دفع إليّ مخطوطة متأخرة لكتاب (تعجيل المنفعة) للحافظ ابن حجر مع صورة من مطبوعتها الهندية، وما كان ثمة إلا هي، وأخبرني أن أحد الباحثين يعمل عليه (أظنه الشيخ أبو الأشبال أيضًا)، فقارَنْتها بالمطبوع، فإذا المطبوعة الهندية - على ما فيها من خطأ وتحريف - خيرٌ من المخطوط، فأرجعتها إليه وأشرت بجمع مخطوطات الكتاب القديمة، وذكرت له أن د. عبد الرحيم القشقري (وكان قد درَّسنا في الجامعة الإسلامية) ذكر أن عنده مخطوطات جيدة للكتاب، فقال لي الشيخ بكر: الدكتور القشقري أمره قريب، عمل معي في الجامعة الإسلامية يوم كنتُ أمينًا لمكتبتها العامة، أظنه في عام ١٣٨٥ هـ أو بُعيدها.

٣- وفي هذه السنة أيضًا دفع إليَّ الشيخ مجلدًا من كتاب (موسوعة فقه ابن تيمية) للدكتور محمد روّاس قلعه چي، وأعطى الشيخ الثمالي مجلدًا آخر منه، وطلب منا مقارنة إحالاته ونقوله بـ(مجموع الفتاوى)، فقارنتُ إحالات كثيرة منه من أوائل المجلّد، فظهر فيها عدم الدقة بل مخالفة ما أحال عليه، زيادة إلى أنه أساء إلى الشيخ في مقدمة الكتاب، فصدر بيان من اللجنة الدائمة للإفتاء بسحب الكتاب من الأسواق وإتلاف النسخ، وكان من مطبوعات

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وغالب ظني أنه سحب أو أتلف.

إضاءة:

تلك دروس عميقة تُساق إليّ وأنا في مقتبل حياتي العلمية، وأحسب أن لها أثرًا بالغًا فيما استقبلتُه منها، والحمد لله على تيسيره وفضله، ومن عرف الساحة العلمية والثقافية أو قرأ لكبار رجالاتها= علم أن تلك الأخلاق عملة نادرة، وسوق بائرة، فأيّ فضل سِيق إليّ وأي منّة قُلّدتها..؟! وبالله التوفيق!

***

بقية خبر المجلس

نعود إلى المجلس الأول مع الشيخ، وما استتبعه من تطوّر في العلاقة، واستمرار للصلة؛ فلم يخلُ يوم - بعده - إلا وأمرّ بالشيخ إما عصرًا أو مغربًا، في بيته.

كان مجلسه[1] الذي يجلس فيه ويستقبل فيه الزوّار متواضعًا في غرفة (أو شبه غرفة) في فناء الدار مفتوحة الجدار من الجهة الجنوبية، فيها سجّاد كبير مطويّ (كثيرًا ما كنت أرى الشيخ يدفعه بقدمه لينبسط على معظم الغرفة)، وفي جانبي الغرفة عدة وسائد للاتكاء، وبهذه البساطة يكون المكان جاهزًا لاستقبال الضيوف! ولا يردّ بصرَك في تلك الغرفة شيء آخر إلا منضدة صغيرة عليها بعض أوراق الشيخ وكتبه.

كثيرًا ما كنت أكون بمفردي مع الشيخ لساعة أو ساعتين في غالب الأيام، فأهتبلُ الفرصة لسؤاله عما يُشكل أو عن بعض الأعلام أو بعض الكتب أو الفتاوى، أو أعرض عليه جديدَ الكتب وأخبارَها، وربما عرضتُ عليه بعض المشروعات الشخصية، وكان أحيانًا يقرأ عليّ من أوراق بين يديه، أو مقدمة كتاب له، أو غير ذلك من متعلّقات العلم والمعرفة، وكانت هذه اللقاءات بالنسبة لشابٍ مثلي وجبةً دسمة غنيّة بالعلم والمعرفة، مفعمة بالخبرة والأدب والحكمة، تغرس فيه حكمة الشيوخ، وتجدّد فيه نشاط الشباب.

وكنت ربما لقيت عنده بعضَ العلماء أو القضاة أو طلبة العلم، وكان غالب الحديث عن العلم والكتب والمعرفة، وممن أذكر أني لقيتهم عنده د.عبدالرحمن الفريوائي، والشيخ القاضي عبدالعزيز المهنا، والشيخ القاضي سعيد الغامدي، والشيخ أبو الأشبال الباكستاني، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ عبد الكريم الخضير، والشيخ محمد النمر، والشيخ عثمان جمعة ضميرية وغيرهم.

---

(١) في مدينة الطائف بحي الفيصلية، بجوار مسجد ابن غشيّان .

سأقف هنا عن الاسترسال في قصة لقاء الشيخ وتعرُّفي إليه، ولا أظنني قد تجاوزت الحدَّ إلى الإملال، وإن رأى القارئ غير ذلك فقد حداني له أمران اثنان:

- لأني أجيب به عن سؤال وردني كثيرًا: كيف تعرّفتَ إلى الشيخ، وكيف توثّقَتْ صلتُك به ؟ هذا **أولًا**.
- **وثانيًا**: لأني أحسبني قد أشبعتُ فضولَ من يسأل عن هذا الأمر، خاصة أن الشيخ رحمه الله قد عُرف عنه اعتزاله فضول المخالطة، والاسترواح للقاء الطلاب والمستفتين، وغشيان المجالس العامة، وعن الدروس للعامة وللخاصة.

إلى ذلك.. فقد كان تعرّفي إليه رحمه الله نقله نوعية انعكست على حياتي العلمية بجميع جوانبها. فلا حرج أن أعيد فيها وأبدي وأقصّ وأرْوي.

كل هذه اللقاءات كانت في مدينة الطائف في الصيف، وقتَ مُكْث اللجنة الدائمة للإفتاء (وكان الشيخ ضمن أعضائها من عام ١٤١٢ إلى عام ١٤٢٨) هناك لنحو ثلاثة إلى أربعة أشهر من كل عام، فتوثّقت الصلةُ واستحكمت، ثم تكللت بعلاقة علمية ومشروعات رائدة إن شاء الله تعالى.

وحين انتقلتُ إلى مكة آخر سنة ١٤١٧هـ كنتُ أكونُ في الطائف في غالب أيام الإجازة، وتستمر اللقاءات بالشيخ كسابق ما ذكرتُ. وفي باقي العام كان لا يخلو يوم من اتصال هاتفيّ يمتدّ لساعة أو نحوها في بعض الأيام، خاصة بعد بدء المشروعات العلمية أواخر عام ١٤٢٠.

ولفهم هذه العلاقة بين الشيخ في مكانته وانشغالاته وعزلته مع طالب مثلي في بداية طلبه= فإن أكثر ما يحرص عليه شيخنا آنذاك من شابٍ مثلي هو: موافاته بجديد الكتب وأخبار الكتب المكتبات، والحركة العلمية عمومًا، وتزويده بما يطلب منها، أو تكليفه بالنظر في كتاب أو مراجعة نقل أو مصدر أو تصحيح نص وما إليها.. فهل وُفّق الشيخ في اختياره؟ أرجو.

كما أن لتقارب الأرواح (فيما أحسب) نصيبًا من هذه العلاقة التي امتدت من أوّل لقاء معه إلى قبيل وفاته رحمه الله، وما زادتها الأيام بحمد الله إلا استمرارًا وتوثّقًا.. فالشيخ كما قد عُرف واشتهر لا يأنَسُ لكلّ أحد، لكن إذا أنِسَ لشخصٍ وتوثّقت صلته به= كان معه على جانب عظيم من الودّ واللطف والثقة[1].

قلت: وبعد ما كتبت ما سبق رأيتُ كلمات للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد توافق ما قلته وتصدّقه قال: كان الشيخ حلو المجالسة، حسن المحاضرة، سريع البديهة، حاضر النكتة، يَسْبِيْكَ في حديثه، ويأخذ بمجامع قلبك. وقد يَسْتَغْرِبُ ذلك بعضُ من لا يعرف الشيخ عن قرب؛ لأنه قد لا ينطلق كثيرًا مع من لا يعرفه. لكنه إذا عرف أحدًا، ووثق بمودته، أو كان في مجلسِ مَنْ يأنس بهم ويأنسون به رأيت إنسانًا آخر قد لا يخطر بالبال؛ من حيث السهولة، والدماثة، والتواضع، والرقة، والسماحة، وصدق العاطفة، وحسن الحديث والاستماع[2].

***

---

(١) وأذكر هنا ما قاله د. محمود الطناحي عن شيخه العلامة محمود شاكر بأن من يدخل على الشيخ لأول مرة يكون معه قدر هائل من الهيبة والخشية والحذر من تلك الحدة المزعومة في شخصيته قال: «وحين توثقت صلتنا بالشيخ اكتشفنا زيف هذا الشعور، وكذب تلك المزاعم التي أشاعها بعض خلق الله ليصدوا الناس عنه، وإذا نحن أمام قلب طاهر نقيّ، يغضب ويثور حين يرى حدًا من حدود العلم قد انتهك، ولكنه قريب الرضا ميسور الصفا». مقدمته لكتاب «محمود شاكر قصة قلم» ص٨-٩ لعايدة الشريف.

(٢) كلمة له بعد وفاة الشيخ بكر، موجودة على موقعه على الشبكة.

الشيخ والكتب

قال ابن الجوزي:

(ليكن لك مكان في بيتك تخلو فيه، وتحادث سطور كتبك، وتجري في حلبات فكرك..)

حديث الكتب .. وما أدراك ما حديث الكتب؟!

إنه حديث يطولُ ويُطرِب، وظنّي بالقارئ أنه يطوي صفحات أكتوبتي هذه طيًّا ليصل إلى هذا الحديث وما يشبهه أو يُقاربه، ربما يجد فيه ما يطفئ ظمأ تلهّفه لأخباره، ويُروي غليل محبّته لها، فحياة الشيخ بصحبة الكتاب، وفي محبة الكتاب، وفي الشغف بالكتاب، فقد عاش له وبه وفيه.

لم يقتصر اهتمامه به على جانب واحد، بل كل شؤون الكتاب كانت موضع اهتمام، محبة وقراءة واقتناء وتأليفًا وتحقيقًا ونقدًا، وبذلًا في سبيلها، وسفرًا لتحصيلها، كل أولئك قد شارك الشيخ في العناية به، يزيد بعضها على بعض عنايةً واهتمامًا واحتفاءً.

يصدُق على شيخنا تمام الصدق أنه من «عشاق الكتب» فما جئته يومًا إلا وبين يديه كتاب أو كتب، أو أوراق وأقلام، ولا اتصلتُ به يومًا إلا وكان للكتب ومتعلقاتها النصيب الأوفى من الحديث، ولا حدّثني أحدٌ عنه أحدٌ ممن عرفه إلا كان الكتاب حلْقَة الوصل بينهما؛ فحديثه وسميره وهجّيراه في العلم والكتب، هم جلساؤه الذين لا يَملّهم ولا يستغني عنهم ولا يستبدل بهم، ومن وجد أُنسَه في أسفار العلم فأيّ شيء يبتغي بالناس؟!

وقد سمعتُه ينشد مرارًا[1]:

لقاءُ الناس ليسَ يفيد شيئًا ... سوى الهذيان من قيلٍ وقالِ

فأقلل مِن لقاء الناس إلا ... لأخْذِ العلم أو إصلاح حالِ

ما كان عشق الشيخ للكتب عِشق جمع واقتناء فقط، ولكنه عشق قراءة وإفادة وانتفاع، حتى عُدّ من أكثر المعاصرين قراءة واطلاعًا في المجالات الشرعية والعربية وما إليها.

مِن أكثر الكتب التي تبهرك في معرفة اطلاع الشيخ وكثرة قراءته وتنوعها: كتاب (معجم المناهي اللفظية)، حتى إن هذا الكتاب أخذ بألباب عددٍ ممن

(١) البيتان للحميدي محمد بن فتوح، ينظر معجم الأدباء: ٦/ ٢٦٠٠.

يُعرفون بكثرة القراءة والاطلاع، قال أحدهم لمّا اطلع على (معجم المناهي): هالني إلمامُه وسَعة قراءته، وقال: تلمح من كتبه تبحّرًا عجيبًا[1].

ولن أخجل الآن أن أسجّل اعترافي لأقول: إنني كنتُ خجولًا إلى درجة ألوم نفسي عليها الآن، فما كنت أجرؤ على سؤال الشيخ مباشرة عن حياته العلمية ولا مقروءاته، هيبةً له أولًا، ولأني أعلم أنه لا يحبّ الحديث عن نفسه، لكنه كان في أثناء الحديث يذكر شيئًا من خبره، فقيّدت بعضًا وأهملتُ بعضًا ونسيتُ بعضًا. وإني ذاكر هنا ما قيّده الشيخ عن نفسه في كتبه، أو ما سمعته منه، أو ما ذكرَه غيري وكنت على ثقة منه، عازيًا كل ذلك لقائله إن لم يكن من نقلي.

مشهد طريف معجب:

وقد شهدتُ منه في حاله مع الكتاب أمرًا طريفًا معجِبًا..!

كان الشيخ أول ما يرى الكتاب الجديد يُقبِل عليه إقبال المُسْتهام الوَلِه، الذي رأى حبيبًا أو عزيزًا طال غيابُه، وكانت له طريقة خاصة في تناول الكتاب تُشعِرُك بقيمته، فيقلّبُه ظهرًا لبطن، وأرى حركة لا إرادية لأصابع يديه ورجليه نشوةً بالكتاب وطربًا للحصول عليه، مشهدٌ لا أنساه كلما تكرر مجيئي بكتاب جديد أو نادر، أو كان بحضرته من الكتب ما هذه صفتُه، ثم يختم حفلة الاستقبال هذه بتعليق مفيد، أو نقد للمؤلف أو المحقق أو الكتاب، بحيث يفتح لك دروبًا من العلم والمعرفة.

وقد ذكّرني ما رأيتُه من شيخنا بما قاله العلامة محمود شاكر عن العلامة أحمد تيمور باشا قال: «إنه إذا أخذ الكتاب بين يديه تغيّرت أساريرُ وجهه واستضاءت، وكأن نورًا قد سطع بمجرد إمساكه المخطوط، إذا جاءه أمين أفندي بمخطوط جديد، شيء هائل، تحس أن هذا الرجل ليس إنسانًا! تتغير صورته من إنسان جالس يتكلم إلى إنسان مأخوذ ومضيء في وقت واحد،

(١) مذكرات قارئ ص ٣٩٣-٣٩٤ لمحمد الأحمري.

وتبرق عيناه وكأنها لؤلؤة مضيئة أو درة يتيمة»[1].

ورحم الله الإمام ابن الجوزي (ت٥٩٧) إذ يقول: إذا وقفت على كتاب لم أقف عليه فكأني وقفت على كنز[2]!

قلت: وما أكثر الكنوز وما أقل الراغبين فيها!

ومِن شغف شيخنا بالكتب وما يمتّ إليها بصلة: أن عامّة مَن كان يقرّبهم ويدنيهم من مجلسه لهم هذا الاهتمام وهذه المحبة، بل كان السبب الأهمّ في تعرّف الشيخ إليهم (كما سبق) هو هذا الجامع المشترك.

ومع أن اهتمامات الشيخ كانت تميل إلى جانب كتب القدماء إلا أنه كان مطلعًا على الكتب المعاصرة والبحوث الجديدة، وشواهد ذلك عديدة، فمنها قراءته لتراث الخضر حسين والبشير الإبراهيمي وأحمد شاكر والألباني وهم من طبقة شيوخه أو أكبر قليلا، وكذلك اطلاعه على المجلات العلمية والثقافية، وذكر الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في «سبيل التوفيق» أن الشيخ بكرًا اصطحبه إلى منزله نحو سنة ١٣٩٧، وأراه رفًّا فيه مؤلفاته ومؤلفات أخيه أحمد.

وذكر الأستاذ جمال سلطان قال: وأذكر أني عندما زرته في بيته بالرياض قبل حوالي سبعة عشر عامًا - وهي المرة الوحيدة التي رأيته فيها - فوجئت به يناقشني في تفاصيل كتاب جديد كنت قد نشرته في تلك الأثناء في بعض قضايا الفكر الإسلامي الحديث، وكان دقيقًا في تساؤلاته لدرجة أقلقتني؛ لأن بعض التفاصيل التي كتبتها كنت أنا نفسي قد نسيتها، وتعجبت لعالم كبير مثله يتوقف أمام سطور مؤلف شاب بمثل هذه الجدية والدقة، ولكني علمت بعد ذلك أن هذه هي طبيعته، فكل ما يتعلق بأمر الدين والفكر الإسلامي قضايا شرعية لا مكان للاسترخاء في التعامل معه، ويأخذه كله بجدية بالغة[3].

---

(١) جمهرة مقالات محمود شاكر: ٢/ ١٢٣٠.

(٢) صيد الخاطر ص ٤٥٤.

(٣) ملتقى أهل الحديث على الشبكة العنكبوتية.

فإلى نُتف من خبره مع الكتاب:

- فمنها أنه قرأ (مجموع الفتاوى ٣٥مجلدًا) لشيخ الإسلام ابن تيمية مرتين على الأقل.

وقد صرّح لي مرة أنه لشغفه بكتاب (مجموع الفتاوى) كان يراه في مكتبته كأنه مجلد واحد! وأنه يتمنى لو كان في ١٠٠ مجلد! وكان يقول عنه: إنه غُرّة في جبين الدهر[١]. وإنه أعظم عمل علمي تُفاخِر به بلادنا[٢].

وقرأ (الإصابة في تمييز الصحابة) للحافظ ابن حجر عدة مرات. واستخرج منه أشياء كثيرة تتعلق بالصحابة.

وقرأ كتب العلامة شمس الدين ابن القيم كاملة، وكرر بعضها مرارًا، ويراجعها باستمرار.

وقرأ كتاب (الأعلام) للزركلي (ت ١٣٩٦) في ٨ مجلدات، خمسَ مرات جردًا على الأقل.

وأخبرني الأستاذ الجغرافيُّ القدير عبد الله الشايع[٣] أن الشيخ أخبره أنه قرأ (معجم البلدان في ٥ مجلدات) لياقوت الحموي أربع مرات.

وذكر الشيخ صالح العصيمي[٤] أنه كان في زيارة للشيخ بكر بعدما طبع (فتح الباري) لابن رجب الحنبليّ (ت٧٩٥)، فسألَه الشيخُ عن جديد الكتب؟ فأخبره بهذا الكتاب، فذكر الشيخ أنه قد فرغ من قراءته، ثم قال: هذا الفتح الذي لا هجرة بعده! يشير إلى ما قيل في (فتح الباري) لابن حجر. رحم الله الجميع.

---

(١) المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ص ٤٣.

(٢) ميراث الصمت والملكوت ص٤٧ للصديق الأستاذ عبد الله الهدلق.

(٣) انظر خبر رحلته مع الشيخ بكر لاستكشاف بعض المواقع الجغرافية في كتابه (نظرات في معجم البلدان-الكتاب الثالث) ص٢٣٩. وقد اجتمعتُ به في منزل أخي الشيخ عبدالمجيد السبهان قبل سُنيات.

(٤) في رسالة تطريز شرح حديث إن أغبط أوليائي ص٣.

من الكتب التي سمعتُه يقول: إنه لا يملّ من قراءتها (مُعيد النِّعَم ومبيد النِّقَم) للتاج السبكي (ت٧٧١)، و(الإعلان بالتوبيخ) للشمس السخاوي (ت٩٠٢).

وقال لي مرة: إنه قرأ (آثار العلامة البشير الإبراهيمي ٥مجلدات)[1] عدة مرات، أظنها ثلاثًا.

ولما طُبِعت كتب العلامة محمد الخضر حسين طبعة جديدة طلب مني شراء كلّ كتبه، مع أنه قرأها في طبعة قديمة، ولو رأى الطبعة الجديدة (الأعمال الكاملة لمؤلفات الخضر حسين في ١٥ مجلدًا) لما تردد في اقتنائها ومعاودة النظر فيها.

والناظر في مؤلفاته يعلم يقينًا سَعة قراءة الشيخ وتنوّعها في كل فروع العلم، وفي كل طبقات التاريخ الإسلامي، في وقت لم يكن هذا التوسّع في المقروءات منتشرًا في نجد وما إليها، ولم تكن ثقافة سعة القراءة والاطلاع وتقييد الفوائد معروفة بهذه الصورة في تلك الحاضرة، وليس في شيوخه مَن هذه صفته.. وهذا هو الإبداع والنبوغ.

كنتُ أشتري له بعض الكتب التي يطلبها مني أو التي أرى أنه يحفل بها، فما سألني يومًا عن ثمن الكتاب، وكان يردّد إذا ذكرت له غلاء الكتب: العلم لا يُقدّر بثمن.

ثناءاته على الكتب:

- كتاب (الفوائد الجلية في المباحث الفرضية) للإمام عبدالعزيز بن باز، قال فيه: متن جامعٌ محرر، مشى فيه على الدليل. وقد شرحه الشيخ في المسجد النبوي، وكتب عليه تعليقات وحواشي[2].
- وقال لي عن كتاب (قواعد في معرفة البدعة) للدكتور محمد الجيزاني:

---

(١) كانت في الطبعة الأولى أربعة مجلدات، وهي التي أخبرني أنه قرأها.

(٢) المدخل المفصل ٢/ ٨٥٣.

لو كان لي من الأمر شيء لقررت هذا الكتاب على الكليات.

- وأثنى على كتاب الشيخ عثمان الصافي (أخطار على المراجع العلمية لأئمة السلف) وقال: إنها رسالة علمية جديرة بالاهتمام[١].
- وقال عن كتاب (زوابع في وجه السنة) لصلاح الدين مقبول: كتابه النافع الفذّ[٢].
- وقال في معجم المناهي اللفظية[٣]: ورأيت لبعض المعاصرين كتابًا باسم (فقه الكلمة ومسؤوليتها في الكتاب والسنة) أجاد فيه بذكر الأُسس الشرعية للكلام وآدابه في أحوال التكلم والاستماع والهجر.
- وقال: وللرافعي في كتابه: «تاريخ الآداب ... » بحث نفيس عن المصطلحات في الجزء الأول منه[٤].
- وقال عن «جمهرة نسب قريش وأخبارها»: مطبوع بعضه، وبقيته ما تزال مخطوطة، وهو كتاب كبير نفيس[٥].
- وقال عن كتاب (فتح الله الحميد) للشيخ حامد الشارقي: ولما قرأت هذا الشرح وجدته نفيسًا، سهل العبارة، دقيق المعاني، محرر المدارك، فأحببت أن أنشره ليعم نفعُه، وينتشر الدعاء لمؤلفه، رحمه الله تعالى[٦]. فتح الله الحميد (ص: ٢).
- وقال عن كتاب (من أساليب القرآن) للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة: كتاب نفيس.
- وقال عن (تقريب التهذيب): هذا السِّفر النفيس [٧].

---

(١) الردود ٣٠٨-٣٠٩.
(٢) الردود ١٨٠-١٨١.
(٣) ص٨ . وهو من تأليف محمد عبدالرحمن عوض، طبع بمطبعة التقدم سنة ١٣٩٩.
(٤) فقه النوازل ص: ١٠٣.
(٥) طبقات النسابين ص:٤٤.
(٦) فتح الله الحميد ص:٢.
(٧) المقدمات ص:١٧.

- وقال عن كتاب (الإعلام بفوائد عمدة الأحكام): وهو شرح نفيس جدًّا، حافل بالفوائد واللطائف، وتحرير الأحكام، وفكّ المبهم، وكشف المهمَل، وقد نزع في العرض طريقةً مفصلة، لم نرها في شروح مَن تقدَّمه[1].
- وقال عن (الجمع بين الصحيحين) للأشبيلي: فهذا العِلْقُ النفيس جدير بحفاوة أهل العلم، وطلابه، والخاصة والعامة، وأن يكون للمسلم سميرًا وهجيرًا، يعاهد نفسه بما فيه من أنوار الوحي ومشكاة النبوة، حتى يمتلئ قلبُه بالعلم والإيمان، وجوارحُه بالعمل.
- وقال عن (الجامع لسيرة ابن تيمية): من الأعلاق النفيسة، التي تهذّب النفوس، وتروِّي شجرةَ الإيمان فيها[2].
- وقال عن كتاب (غاية الأماني في الرد على النبهاني) للعلامة محمود شكري الآلوسي: كتاب نفيس[3].
- وقال عن كتاب (قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر) للتاذفي (ت ٩٦٣ هـ): مجلد نفيس[4].
- وقال عن كتاب (العلمانية) لسفر الحوالي: «قرأته من أوله إلى آخره... فرأيت الكتاب عظيم الفائدة كبيرة العائدة، يحاكي في صياغته وأسلوبه أسلوب علماء الطراز الأول ومن سار على نهجهم، لخلوّه من التعقيد والإسراف في الألفاظ والتراكيب». في كلام طويل ينظر بتمامه في الملاحق.

وله في جملة من الكتب كلمات قيّدتُ منها قوله:

- في كتاب (نزهة النظر) لابن حجر: هذا الكتاب ينبغي أن يُقرأ بالكلمة

---

(١) المقدمات ص: ٢٠.
(٢) المقدمات ص:٦١.
(٣) المقدمات ص:٦٥.
(٤) المدخل المفصل ١/ ٤٣٨.

لا بالجملة[1]، قال: لأنه مترابط كالسلسلة ينبني آخرها على أولها، وذكّرني ذلك بقول التاج السبكي في آخر كتابه (جمع الجوامع): فتحتُ كلّ ذرّة دُرّة.

- وذكَر (الآجرومية) يومًا في أحد مجالسه وقال: ينبغي أن تكون في جيب كل طالب علم، ينظر فيها كل وقت حتى يحفظها ويستظهرها.
- وكان أيضًا يثني على كتاب (معجم البلدان) ويرى أنه موسوعة معارف، واقترح على الأستاذ محمد العمري عمل فهارس له، فكان ذلك، في كتاب سماه (اتحاف الخلان في معارف معجم البلدان) وقدّم له الشيخ، وطبع في مجلدين عن دار الصميعي.
- وكان شديد الإعجاب بكتاب (التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل) للعلامة المعلمي (ت ١٣٨٦)[2]، ويراه من نوادر الكتب قوة ودقة وسبكًا.
- وأعجب جدًّا بطبعة كتاب (فتح المغيث) للسخاوي تحقيق الشيخ علي حسين بالمطبعة السلفية ببنارس. وقد كانت طبعاته قبلُ في غاية السقم، قبل أن يطبع محققًا في رسالتين علميتين عن دار المنهاج بالرياض.

قصة عشق.. ونهاية سعيدة:

وأختم الحديث هنا بقصة عشقٍ طريفة تذكّرنا ببعض القصص التي قرأناها في تراجم مَن سلَف من علمائنا:

حدثني الشيخ د. فهد بن سعد الجهني في صبيحة يوم من أيام سنة ١٤٣٧هـ ونحن نتذاكر أخبار علمائنا ومشايخنا، قال (والصياغة لي):

---

(١) ذكره في التأصيل ص١٦٩.

(٢) سمعتُ الشيخ المحدث أبا إسحاق الحويني يذكر عن نفسه أنه قرأ كتاب (التنكيل) أكثر من ستين مرة، ونسخه بيده كاملا! وهذا من النوادر فلله دره، فهذه الهمم وإلا فلا.

إن الشيخ القاضي محمد الرفاعي الجهني (صاحب المكتبة الضخمة النادرة بمكة المكرمة الكائنة بمنزله في حي الضيافة) حفظه الله أخبره أن الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله (وكان بينهما معرفة وخصوصية) اتصل به يومًا يسأله عن كتاب (ولم يخبرني محدّثي باسمه) وأنه أعياه البحث عنه فلم يجد له أثرًا، وسُدّت في وجهه سُبُل العثور عليه!

ولم يبعد حدس الشيخ بكر، فقد كان الكتاب من مقتنيات صاحبه، فقال الرفاعي على الفور: الكتاب عندي! فبادر بكرٌ إلى طلبه منه (وهو يعلم أن الرفاعي لا يعير الكتب ويعلم أيضًا كراهته للإعارة) لكنه تجرّأ متوسّلًا بما بينهما من معرفة قديمة ورَحِم للعلم موصولة! تلكّأ الرفاعيُّ قليلًا لكنه ما لبث أن وافق تحت ضغط قِدَم الصحبة ورَحِم العلم، لكنه اشترط عليه أن يعيده صباح اليوم التالي، وهل أمام بكرٍ إلا أن يبادر بالتزام الشرط دون تردّد؟! مضى بكر بالكتاب إلى بيته يسابق الوقت الذي سينفد سريعًا، وأمضى ليلتَه عاكفًا على هذا الكنز الذي سيغادره آخر الليلة (وما أسرعها من ليلة!)

لكن القاضي الرفاعي ما فَتِئ منذ خرج الكتاب من مكتبته وغادر أترابه من عزيز الأسفار ونادر الدفاتر يضربُ أخماسًا في أسداس خوفًا على كتابه الفريد ألا يعود إلى عشّه الآمن، وبات ليلةَ خوفٍ وترقّبٍ متى يسفِرُ صباحُها (وما أبطأه من ليل!)

وفي هذه الأجواء المشحونة بالقلق برقَ بارقُ أملٍ.. تذكّر الرفاعي أنه يملك نسخة أخرى من الكتاب مصورةً لا أصلا (كتلكَ التي ذهب بها بكر)، فنهض من فراشه ونزل إلى المكتبة في هجعة الليل، باحثًا عن هذه النسخة، يجوب المكتبة (الضخمة) طولًا وعرضًا بحثًا عنها، تصرّمت الساعات دون جدوى، وأين سيعثر على مجلد صغير بين آلاف مؤلفة من الكتب؟!

شارف الشعور باليأس من العثور عليها أن يستولي على تفكيره، وشارف الفجرُ أيضًا على البزوغ وعنده أمل أن يعود إليه كتابُه، وبين الشعورين إذا

بالنسخة تظهر في رفّ قصيّ هناك، وكأنها تقول له: ولابدّ دون الشهد مِن إبر النحل!

تفتّق وجه الصبح وقد وجد القاضي نسخته الثانية، وقد صبّحه الشيخ بكر بالنسخة الأولى (وفاء بما وعد)، تلاقيا وقد أخذ الجهدُ منهما كل مأْخَذ، ودفع الشيخ بكر إلى صاحبه كتابَه، وقد ظهرت على وجهه آثار الإجهاد وفي عينيه احمرار شديد، فسأله الرفاعي مستفسرًا؟ فقال بكر: أمضيتُ ليلتي أقرأ وأنسخ ما أحتاج لم تكتحل عيني بنوم! وأنتَ.. مالك يبدو عليك الإجهاد وعيناك لا تختلفان عما سألتني عنه؟! فقال: أمضيتُ ليلتي أنا أيضًا أبحث في المكتبة عن نسخة أخرى من الكتاب إشفاقًا ألا تعود نسختي! فقضى كل واحدٍ منهما العجبَ من صاحبه، ولا عجب فحال العاشقين واحد.

تلاوما صنيعهما للحظاتٍ ثم بادر الرفاعي فقال: خذ هذه النسخة الثانية هدية.. وبدت عليهما علامات الرضى بما صنعا.. وأمسك الرفاعي بيد الشيخ بكر إلى المنزل.. وقد ذهب ما بهما من التعب، ونال كلٌّ مطمَح نفسِه ولذّةَ روحِه!

هذه قصة مع الكتاب لشيوخنا الأبرار، رحم الله مَن قضى نحبَه وحفظ مَن ينتظر، وما بدلوا تبديلًا!

***

جَنْي الثمار

اليوم شيء وغدًا مثله   من نخب العلم التي تلتقط
يحصّل المرء بها حكمةً   وإنما السيل اجتماع النقط

كان الشيخ من أوائل الطلب إذا سمع عن كتاب نفيس، أو فائدة جديدة، أو معلومة نادرة= لا يهدأ له بالٌ ولا ترتاح له نفسٌ حتى يحصِّل ذاك الكتاب أو يقف على تلك الفائدة، ويقف على مصدرها، فيودِعُها مكنون أوراقه، إلحاقًا لها بأخواتٍ لها جُـمِعن بطول السهر، ودوام التقييد لنفيس الدرر، لتجد طريقها إلى مباحث كتبه وتضاعيف تصانيفه، وهذا في أخبار عُشّاق الكتب مزبور، وفي طريقتهم مكرور غير منكور!

وهذا تدبير حَسَنٌ نافعٌ للطالب، فإذا وقف على فائدة لا يتركها نهبًا للذاكرة بلا صيد ولا تقييد، بل يبادر لقيدها وحفظها، ووصاة العلماء بذلك كثيرة وشِكايتهم التفريطَ في التقييد وفوات الفوائد العزيزة= مذكور معلوم[1]، فكن ذا عزيمة ودع خطة التسويف، فعند الصباح يحمد القوم السّرى.

ورأيتُ الشيخ مرارًا يكتب الفائدةَ حال سماعها بلا تأخير ولا تردد على ورقة طيّارة أو ظرف أمامه، أو غلاف كتاب.

ومِن شَغَفه بالتقييد وخِفّته على نفسه (وكثيرٌ من الناس يستثقله): أنه ربما استعار كتابًا من أحدٍ لينظر فيه، فيقيّد على غلافه فوائد ويلتقط نوادر (وقد يكون قرأها قِدْمًا وقيّدها على نسخته، لكنه اعتاد على ألا يفوّت تقييد الفائدة)، كما رأيتُه بنفسي في بعض ما استعاره!

ومَن ينظر في مصنفات شيخنا يعلم طولَ باعه في القراءة؛ مِن تعدد مراجِعه، واختلاف فنونها، وطبقات مؤلفيها، وطول باعه في اقتناص الفوائد وتقييد الأوابد والشوارد، وحُسن توظيفها، حتى يسري إلى القارئ شعور أن الفوائد والنوادر تُساق إليه سوقًا متى ما احتاج إليها لاستدلال أو استشهاد، وما كان ذلك ليكون لولا ما ذكرناه من عكوف الشيخ الساعات الطوال بحثًا وقراءة ونظرًا وتدوينًا للفوائد وجمعًا لها من بطون الأسفار وتدوينها في أعطاف الدفاتر وعلى أغلفة الكتب.

---

(١) ينظر كتابي المشوّق إلى القراءة ص ١٤٢-١٤٣.

أقول هذا عن معرفة به ومعايشة له لسنين طويلة، ويُدركه الناظر أيضًا بأدنى تأمّل لكتبه ومؤلفاته.

وهنا قطعة جميلة نادرة يتحدّث الشيخ فيها عن نفسه وعن مشاريعه في تقييد الفوائد ـ وما أقل ما يتحدّث! ـ، أغنتنا عن كلام كثير، فلندع الكلمة له في مقدمة كتابه (النظائر)[1] قال:

«فَتَحَدُّثًا بنعم الله تعالى على العبد المسكين، أنْ مَنَّ عليَّ سبحانه ـ وهو المَنّانُ وحده ـ بنِعَمٍ عظيمة وآلاء جسيمة، منها:

الاهتداء من أوائل الطلب إلى التتبع والاستقراء لِعزيز المسائل، وبديع الفوائد... وتقييدها، ثم ضمّ كلّ نظيرة إلى أختها، بما بينته في مقدمة الطبعة الأولى لبعضها.

وهذا باب عظيم من أبواب العلم، حقيق أن يوصف بـ «السهل الممتنع» فهو باب يلجه كل قارئ، والموفق من وفقه الله.

وقد يحصل في هذا الباب الجهاديّ شدائد؛ لأمرِ خيرٍ يريده الله؛ مِن إعظام الأجر، وتقوية العزم، وتحريك الهِمم في الطلب والتحصيل... ومن الجاري: «لا بد في التمر من سُلَّاء النخل، وفي العسل من إبر النحل».

فقد فاتني قراريط كثيرة، فرَّطْتُ بها حين جَرْد عدد من الكتب، ثم إن دليل النظائر الذي أجهدت نفسي فيه نحو ثلاثة شهور، بالتقاط تلك المقيّدات مِن أغلفة الكتب وإيناسها بأخواتها، ولَـمِّ شملها في غلاف واحد، بعد غربتها، وتفرقها، فُقِدَ مني بسبب لا أدريه: عبث جاهل، أو انتشال سارق، أو عين حاسد، أو جاء عليه قول الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وأقول بعد الرضا بالقضاء: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾. أعان الله على جمعها مرة أخرى...

---

(١) ص ٥-٩.

وبما أن النعم يجرّ بعضُها بعضًا، ففي هذا المشروع: تتبّع النظائر وإبرازها بصفة مستقلة، إحياء لهذه الجادة المأثورة لدى السلف الأخيار، ولَفْت انتباه طلبة العلم إليها.

وهذا تقريب عجيب، ودليل عظيم، على هذه النّكات العلمية والفوائد الغالية. وقد قَفَى جمعٌ من المعاصرين الأثر، فرحم الله السلف، وهدى التابعين لهم بإحسان.

لكن إذا نظرتَ في جمل منها ووازنت، قلتَ: سبحان من فاوت بين فهوم العباد وأقدارهم في العلم والتحقيق. فهذا عالم لا ترى في كشكوله من يَفْرِي فَريّه قد جمع لك بين النقل والتَّحقيق، وآمنت بأنه العالم المنطيق. وذاك آخر يمشي في ساقة ذوي التحقيق ليس له من الفضل سوى الدّلالة على الطريق بتقييد ما رأى أو سمع، وأنه لنفاسته جدير لديه بالتوثيق.

ولما كان أهل القسم الأول لا يُدرَك شأوهم، والثاني يصلح لمثلي المشي في ساقَتِهم، فقد كنت منذ زمن بعيد، وأمد غير قريب أستعرض ما تحصّل لي من كتب السَّلف قراءة، وتتبعًا، وبحثًا وتحقيقًا في مواطن متكاثرة. وفي هذا المسير وتلكم الدُّلْـجة أقيد ما وجدت من ضمِّ النظير إلى نظيره مما لم يسبق لجامع - فيما أعلم - تسطيره.

وأقيّد ما وجدتُ من اللطائف، وما وجدتُ من بديع الفوائد، وعزيز المطالب. فاجتمع لديّ طائفة نفيسة منها، ووسمت هذه التذكرة باسم (الإسفار عن النَّظائر في الأسفار) فكان مما قيدت مما وجدتُ تنتظمه المطالب الآتية:

١- عن المؤلفين والمؤلَّفات.

٢- ما وجدتُه من ألفاظ الجرح والتعديل.

٣- ما وجدته من الألفاظ المنهي عن التَّلفُّظ بها.

٤- ما وجدته من غريب الفوائد، وبديع اللطائف.

٥- ما وجدته في نوازل العصر وقضاياه المستجدة من مؤلفات مفردة أو

بحوث عارضة أو مستقلة.

٦ - ما وجدته في محيط الأنساب في الكفاءة، والإمامة في الصَّلاة، والولاية والشهادة... وفوائد جوامع، وقصص، وحكايات ولطائف وضوابط.

ومنها ما قيدته أثناء قراءتي على شيخنا محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي صاحب «أضواء البيان» رحمه الله تعالى. وذلك في كتابَي ابن عبد البرِّ «القصد والأمَم» و «الإنباه».

وجمعت فيها طبقات النَّسَّابين، ولا أعلم من قيَّدَها قبلُ، إلى غير ذلك من كشف أفاعيل الشعوبية من طرف، والقوميَّة من طرف آخر وأثرهما السلبي في وهن المسلمين، وتقليص ظلِّ الإسلام. وأفردت ذلك باسم: بذل السبب في جمع أبحاث النسب.

٧- ما وجدته من الضوابط العلميَّة. نظمًا ونثرًا في مجلد.

٨- ما وجدته من الذين ترجموا لأنفسهم.

٩- ما وجدته من المتحوّلين من مذهب إلى آخر.

١٠ - ما وجدته من الذين لم يتزوجوا من العلماء وغيرهم.

١١ - ما وجدته من ذكر الجنائز المشهودة.

١٢ - ما وجدته من أخبار نقل الموتى من بلد إلى آخر للدفن وأسبابه.

١٣ - من ذكر أنه رأى النبيَّ و رؤياه في ذلك.

١٤ - مجابي الدعاء.

١٥ - وقائع نزع الملكية لعموم مصلحة المسلمين.

١٦ - الأسباب الحاملة لبعض أهل العلم على طلبه.

١٧ - أخبار الحفاظ في حفظهم.

١٨ - معجم الجن المترجمين. وأخبارهم والمؤلفات عنهم.

١٩ - العطل الأسبوعية والحولية.

٢٠ - مُثُل من مواقف العلماء العاملين في نصرة الحقِّ وخذل المبطلين

بعنوان (عزة العلماء)». انتهى المراد منه.

أقـــول: فيا لها من همّة عالية، وخطة محكمة، وتدبير سديد!

وينقدح في ذهني سؤال حين قرأتُ هذا الكلام في مقدمة الكتاب: مَن الذي أشار على الشيخِ بتدوينها مبكّرا وقت الطلب، وبمن اقتدى في إحكام خطة تدوينها وتحريرها؟ لا أظنه ـ والله أعلم ـ سمع كلمةً من أشياخه بخصوصها، وليس منهم من سلك هذا المسلك فيما نعلم، ولكنه الذهن الوقّاد والقريحة المتيقظة والتوفيق!

فأين الذين يسألون كلَّ يومٍ ماذا أقرأ وكيف أقرأ وماذا أدوّن، وكيف أدوّن؟! وأين الذين يقرؤون كثيرا ثمّ لا يستثمرون قراءتهم ولا يخرجون منها بعائد محسوس ولا قِطاف ملموس؟! وأين الذين ينتقلون كل يوم من كتاب إلى كتاب تبرّمًا وملالًا، ثم يزعمون أنهم لم يحصّلوا كبير شيء رغم أنهم قرأوا وقرأوا؟!

فليكن طالب العلم على نفسه حسيبًا، وعلى وقته شحيحًا ورقيبًا، فقد آذن العمر بالتقضّي، وتصرّم الدقائق والساعات لا يتنظر أحدًا، وسيعلم الكسالى والمفرّطون أيّ ندم سيندمون وأيّ منقلبٍ ينقلبون!

* * *

المكتبة

عبارة كتبها القدماء؛ وجيزة اللفظ كبيرة المعنى:

(الكتب غذاء النفوس)

«شرف العلم معلوم، لعموم نفعه، وشدة الحاجة إليه كحاجة البدن إلى الأنفاس، وظهور النقص بقدر نقصه، وحصول اللذة والسرور بقدر تحصيله، ولهذا اشتد غرام الطلاب بالطلب، والغرام بجمع الكتب مع الانتقاء، ولهم أخبار في هذا تطول، وفيه مقيدات في «خبر الكتاب»...

وعليه، فأحرز الأصول من الكتب، واعلم أنه لا يغني منها كتاب عن كتاب، ولا تحشر مكتبتك وتشوش على فكرك بالكتب الغثائية، لا سيما كتب المبتدعة، فإنها سم ناقع»[(١)].

كانت حياة الشيخ بين ثلاث مكتبات: مكتبة في المدينة، وأخرى في الرياض، وثالثة في الطائف.

أما التي في المدينة فهي أول المكتبات جمعًا، جمَعَها زمنَ بقائه في المدينة من عام ١٣٨٢هـ إلى سنة ١٤٠٢هـ، وما تيسر له بعد ذلك في أثناء تردّده عليها، وبقيت هذه المكتبة في مكانها في منزل الشيخ[(٢)] حتى بعد انتقاله للرياض، وكان الشيخ كثير التردد على مدينة رسول الله، وكثيرًا ما نرى في خواتيم مقدّمات كتبه توريخ كتابتِها في مدينة رسول الله ﷺ[(٣)].

وقد أخبرني أنه اشترى كتبًا من عِماد مكتبته من مكتبة المثنّى ببغداد لما زار العراق، ومكتبة المثنّى هذه من أهم المكتبات التي أعادت طباعة الكتب القديمة التي طبعت في أوروبا وفي بولاق وغيرها[(٤)]. وغدت مطبوعاتها اليوم نادرة عزيزة.

وكان من وقت مبكّر يزوّد مكتبته من مصر أيضًا، فقد ذكَره الكتبيّ المعروف زكي مجاهد في (الأخبار التاريخية في السيرة الزكية)[(٥)]. وذكر أنه لقيه بمصر

(١) حلية طالب العلم ص١٩٤ -١٩٥ ضمن المجموعة العلمية.
(٢) الكائن في شارع الأعمدة في مدينة رسول الله ﷺ.
(٣) ينظر التأصيل ص٣٣، والردود ص٤، معجم المناهي اللفظية ص٢٠ .
(٤) ينظر مذكرات قاسم الرجب.
(٥) ص ٥٤ . أفدته أولاً من ميراث الصمت ص ٥١-٥٢ للصديق عبد الله الهدلق. ثم وقفت على الكتاب بعدُ. أهداني نسخة مصورة منه صديقي الأثير خالد الزهراني.

سنة ١٣٩٢ واشترى من مكتبته.

وكان أيضا يشتري مقتنياته القديمة ممن يعرضون كتبهم للبيع من كبار السن ونحوهم، وقد أخبرني نجله الأكبر عبدالله أنه حضر مع والده يومًا عند رجل كبير في السن فاشترى عددًا من كتبه بمبلغ كبير ولم يفاصله في قيمتها ولم يتردد في ذلك.

ثم لما صارت للشيخ شهرة واسعة صارت تُزَف إليه وتهدى من كل مكان؛ فتأتيه إهداء من المؤلفين والناشرين والمكتبات والجهات الطابعة من أنحاء العالم الإسلامي. ثم صارت له عيون ورَصَد من أصحابه ومحبيه يحضِرون له ما يطلبه أو ما يتوقعون أن يطلبه أو يعلمون أنه يحتاجه[١].

وقد نُمي إليّ خبرُ تعرّض هذه المكتبة بعد وفاة الشيخ لمكروه واعتداء، لكن تُدورك الأمر، واستعيدت غالب الكتب، ونُقلت إلى الرياض والحمد لله.

وأما التي في الرياض في بيته القديم في حيّ العليّا، فلم أرها شخصيًّا، لكنها كانت مكتبة عامرة بأمّات الكتب، ويظهر لي أن الشيخ أعاد شراء كثير من الكتب التي عنده في مكتبته المدنية لتكون مكتبة مستقلة تفي بغرض البحث والنظر والمطالعة، فإنه ليس أشق على الباحث من خلوّ مكتبته من الكتاب حال البحث والنظر، وما كان للشيخ أن يحتمل هذه المشقة المعوقة للكاتب والباحث من أجل حفنة من الدراهم.

وأما التي في الطائف فأقلّها عددًا، وغالبها من الكتب التي كان يجلبها من الرياض، لاستكمال بحثٍ أو كتاب، وكثير منها كان يعيد شراءها (وهي عنده في مكتبته في المدينة أو الرياض) لينتفع بها في بحوثه وكتبه التي كان يشتغل بها في وقت بقائه في الطائف في الصيف.

وأذكر أنه في أثناء تأليفه لكتاب (حراسة الفضيلة) ذكر لي أنه اشترى نحو

---

(١) وممن يقوم بذلك أيضًا :د. عبدالرحمن الشقير، و الشيخ جديع الجديع.

مئتي كتاب مما يخدم غرضه في تأليفه، وربما لم ينتفع من بعض الكتب شيئًا، لكنه يطالعها وينظر فيها.

وبعد وفاته جُمعت هذه المكتبات في مكتبة واحدة في منزله الجديد بالرياض، ومساحتها ١٥م × ٤م بحسب ما أخبرني به نجله الأكبر عبد الله. وذكر أيضًا أن الكتب لما جمعت فيها لم تستوعبها المكتبة، وبقي نصفها في الكراتين.

وقد أوصى الشيخ رحمه الله أن تجمع هذه المكتبات الثلاث (بعد وفاته) في مكان واحد، بحيث يوقَف لها وقف خاصّ إما في المدينة النبوية - وهو الأحب إليه - أو في الرياض، لتكون في متناول طلبة العلم والراغبين في القراءة الاطلاع.

وقد استقرّ رأي أبناء الشيخ على أن تكون هذه المكتبة في الرياض باعتبار قربها منهم؛ لملاحظتها والاهتمام بها، يسّر الله لهم ذلك وأعانهم على تحقيقه.

وقد عقد الشيخ في كتابه (الحلية)[1] ما يصلح أن يكون كاشفًا للطالب كيف كوّن الشيخ مكتبته، وطريقة اقتنائه للكتاب، وشرط انضمامه لمكتبته، قال:

«**قوام مكتبتك:**

عليك بالكتب المنسوجة على طريقة الاستدلال، والتفقه في علل الأحكام، والغوص على أسرار المسائل، ومن أجلها كتب الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى. وعلى الجادة في ذلك من قبل ومن بعد كتب:

- الحافظ ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) رحمه الله تعالى، وأجل كتبه «التمهيد»

(١) ضمن المجموعة العلمية ص ١٩٥- ١٩٦.

- الحافظ ابن قدامة (ت ٦٢٠هـ) رحمه الله تعالى، وأرأس كتبه «المغني».
- الإمام الحافظ النووي (ت ٦٧٦ هـ) رحمه الله تعالى.
- الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) رحمه الله تعالى.
- الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى.
- الحافظ ابن رجب (ت ٧٥٩هـ) رحمه الله تعالى.
- الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) رحمه الله تعالى.
- الحافظ الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) رحمه الله تعالى.
- الإمام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) رحمه الله تعالى.
- كتب علماء الدعوة ومن أجمعها «الدرر السنية».
- العلامة الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) رحمه الله تعالى، لا سيما كتابه النافع «سبل السلام».
- العلامة صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ) رحمه الله تعالى.
- العلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) رحمه الله تعالى، لا سيما كتابه «أضواء البيان».

قلت: وأزيدُ على ما ذكر شيخنا مِن قوام المكتبة ما يلي:

- كتب الإمام الشافعي (ت ٢٠٤) رحمه الله تعالى.
- كتب الإمام البخاري (ت ٢٥٦) رحمه الله تعالى.
- كتب الإمام ابن جرير الطبري (ت ٣١٠) رحمه الله تعالى.
- كتب الإمام ابن المنذر (ت ٣١٧) رحمه الله تعالى.
- كتب الإمام الخطابي (ت ٣٨٨) رحمه الله تعالى.
- كتب الإمام السمعاني (ت ٤٨٩) رحمه الله تعالى.
- كتب الإمام القاضي عياض (ت ٥٤٤) رحمه الله تعالى.
- كتب الإمام ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢) رحمه الله تعالى.

- كتب الإمام الحافظ المزي (ت ٧٤٢) رحمه الله تعالى.
- كتب الإمام السخاوي (ت ٩٠٢) رحمه الله تعالى.
- كتب العلامة أحمد شاكر (ت ١٣٧٧) رحمه الله تعالى.
- كتب العلامة المعلمي (ت ١٣٨٦) رحمه الله تعالى.
- كتب العلامة الألباني (ت ١٤٢٠) رحمه الله تعالى.
- كتب العلامة بكر أبو زيد (ت ١٤٢٩) رحمه الله تعالى.

أجزل الله لهم المثوبة والأجور.

ثم قال الشيخ في تدبير حيازة الكتاب وضمّه إلى المكتبة [1]: «و إذا حزت كتابًا، فلا تُدخله في مكتبتك إلا بعد أن تمر عليه جردًا، أو قراءة لمقدمته، وفهرسه، ومواضع منه، أما إن جعلته مع فنه في المكتبة، فربما مرّ زمان وفات العمر دون النظر فيه، وهذا مجرّب.

أما التعامل مع الكتاب فقال: فلا تستفد من كتاب حتى تعرف اصطلاح مؤلفه فيه، وكثيرًا ما تكون المقدمة كاشفة عن ذلك، فابدأ من الكتاب بقراءة مقدمته».

***

(١) ضمن المجموعة العلمية ص ١٩٦.

الشيوخ

قال الإمام أحمد:

(إنما الناس بشيوخهم، فإذا ذهب الشيوخ تُوُدِّع من العيش)

لا أعلم الشيخَ مكثرًا من الدراسة على الشيوخ أو الأخذ عنهم، وربما عُدّ مشايخه الذين درس عليهم وانتفع بهم على أصابع اليدين، وقد ذكر لي مرة أنه في شبابه كان إذا جاء للحرم المكيّ دار عليه، فيقف على كل حلقة من حلقات العلم قليلًا ثم ينصرف[1]!

أبرز مَن أخذ عنهم شيخنا وتَلْمذ لهم وتأثر بهم وانتفع بعلومهم، وسمعتُه يشيد بذكرهم مرارًا: الإمامان الجليلان (محمد الأمين الشنقيطي ت ١٣٩٣، و عبدالعزيز بن عبد الله ابن باز ت١٤٢٠).

ومن وردَ البحرَ استقلّ السواقيا!

وقد لازم الأولَ عشرَ سنين واختصّ به، وأخذ عنه ما لم يأخذه عنه غيره (وسيأتي خبره)، ولازم الثاني عدة سنين في المدينة ثم في الرياض.

ويصدُق على شيخنا ما قاله ابن الجوزي عن نفسه (مع إكثاره من الشيوخ في أول الأمر): فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همّتي في تجويد العُدَد، لا تكثير العَدَد[2].

مع الإمام ابن باز:

ما رأيتُ شيخنا يعظّم أحدًا من المعاصرين كتعظيمه وإجلاله للإمام العالم الزاهد عبد العزيز ابن باز عليهما رحمة الله، وكان إذا ذَكَره ارتاحت نفسُه وتبلّجت أساريرُ وجهه.

وكان يقول عنه: الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي الدنيا، وشيخ الإسلام[3].

ويقول عنه: إنه إذا كان الشيخ في مجلس هيئة كبار العلماء كنا نتكلم فيما

---

(١) ولعل اللقاء الأول الذي وصفه الشيخ في ترجمته للشيخ سليمان بن حمدان (ت١٣٩٥) كان أحد ثمار هذه الجولة على حلقات العلم. ينظر مقدمة الأريب الأمجد ص: ز- ك.

(٢) مشيخة ابن الجوزي ص ٥٣، وذيل الطبقات: ٢/ ٤٦٣.

(٣) المدخل المفصّل: ١/ ٤٥٠.

بيننا والشيخ مطرقٌ رأسه؛ فإذا رفع رأسه أطرقنا رؤوسنا؛ هيبة له(١).

وذكر لي شيخُنا أن الشيخ ابن باز يكاد يستظهر كتاب (التقريب) لابن حجر و(القاموس) للمجد و(الصحيحين).

قرأ شيخنا عليه في مكة في (المنتقى) للمجد ابن تيمية كتاب الحج في حج عام ١٣٨٥هـ بالمسجد الحرام(٢) (وفيها شريط مسجّل، ولم يعلم شيخنا بالتسجيل إلا بعد أكثر من ثلاثين سنة!).

وقرأ عليه أيضًا في المدينة شيئًا من (فتح الباري) و(بلوغ المرام) وعددًا من الرسائل في التوحيد والحديث والفقه في بيته، ولازمه سنتين، وأجازه بمروياته وأسانيده.

وقد وصف الإمامُ عبد العزيز ابن باز شيخَنا بـ(العلامة) في تقديمه لكتاب (براءة أهل السنة)، وكان عمر شيخنا أربعين سنة تقريبًا.

كانت كتب شيخنا تُقرأ على الشيخ ابن باز في السيارة أثناء تنقلاته كـ(أدب الهاتف) و(حد الثوب والإِزرة).

وكان شيخنا يخبرني أن الشيخ عبدالعزيز كان يقول له: وصلنا في كتابك الفلاني إلى صفحة كذا وكذا..

وكان الشيخ ابن باز يبدي تعجّبه من أسلوب الشيخ. ذكر ذلك الشيخ محمد الموسى مدير مكتب الشيخ رحمهما الله(٣).

ولشيخنا تعليقات على كتاب شيخه ابن باز (المباحث الجلية) في الفرائض، كتبها حين تدريسه للكتاب في الحرم المدني في التسعينيات الهجرية، لكنه لم يطبعها، كما أنه كتب (ترجمة) له بعد وفاته، واجتهد فيها وجمع ونقّح، لكنه لم يطبعها كذلك.

ومن أخباره مع الشيخ ابن باز: أن بعضَ الأفاضل ألحّ على الشيخ في

(١) ذكر هذا الخبر عنه الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد.
(٢) ينظر مقدمة الشيخ لهداية الأريب الأمجد ص ١١.
(٣) جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز للموسى والحمد ص: ٢٥٨.

الظهور في برنامج (نور على الدرب)، فأبدى ملاينةً أول الأمر، ثم عدَلَ عن ذلك. ثم استعان بالشيخ ابن باز ـ لمكانته عنده ـ لحمل الشيخ بكر على الظهور الإعلامي، لكن أصرّ الشيخُ على الامتناع! فقال ابن باز: دعوه فالشيخ صاحب قلم.

ومن الطريف هنا أن أحد المشايخ من شدة ترقّبه لظهور الشيخ في البرنامج قال لي متيقنًا: اليوم استمعنا للشيخ بكر في برنامج نور على الدرب!! فأنكرتُ ذلك ولم يقتنع إلا بعد جهد واتصال مع الشيخ نفسه!!

مع العلامة محمد الأمين الشنقيطي:

لازمه شيخُنا نحو عشر سنين في المدينة النبوية المنورة حتى وفاته عام ١٣٩٣هـ، وقرأ عليه في تفسيره (أضواء البيان)، ورسالة (آداب البحث والمناظرة)، وأخذ عنه علم النّسَب، وقرأ عليه فيه كتابَي أبي عمر بن عبد البر: (القَصْد والأمَم)، و(الإنباه على قبائل الرواة)، وكان يقول له: إن هذا العلم -يعني النسب - لم يأخذه عني في جزيرة العرب إلا أنت[1].

وقد أثّـر في شخصية الشيخ تأثيرًا بالغًا، فهو كثير الذكر له في مؤلفاته وإشادةً بتحقيقاته، ووفاء ببعض حقه أنشأ مشروعًا لطباعة كتبه سنة ١٤٢٣، وطُبعت عام ١٤٢٧ في تسعة عشر مجلدا[2] بدعم من مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية، ولله الحمد.

وكان لموت الشيخ الأمين صدًى في وجدان تلاميذه ومحبيه، وشيخنا من بعضهم، قال واصفًا ذاك الموقف: «وأَذكر موقفًا رهيبًا لمستلم أُستاذية العالم الإِسلامي في عصره في التفسير، بل في جلّ العلوم؛ الشيخ محمد الأَمين الشنقيطي، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ رحمه الله تعالى، دفين مقبرة المعلاة بمكة حرسها الله تعالى، وكم ذرفت لموته العيونُ، وانطلقت الأَلسنُ بالدعاء

(١) ذكره شيخنا في طبقات النسابين ص٢١٧، ٢٩٨. وربما نثر الشيخ بعض الفوائد في كتبه من مجالس قراءة هذين الكتابين.
(٢) سيأتي بعض خبر هذا المشروع في آخر هذا المكتوب.

له، والثناء عليه، في علمه وورعه وتقواه، وتَقَالِّه من الدنيا، ويتحسسون في العالَـم من يكمل تفسيره (أضواء البيان) على نَفَسِه: إيضاح القرآن بالقرآن، فلِلَّه دَرُّه ما أَبهى درره، ورحمه الله رحمة واسعة آمين»[١].

ومِن طريف ما يُذكر أن وفاة الشيخ الأمين والصلاة عليه كانت بمكة المكرمة، وقد صلي عليه صلاة الغائب في المسجد النبوي الشريف، وكذلك في بعض مساجد الدوادمي. كما ذكر الشيخ عطية سالم في ترجمته للشيخ[٢]. وكان الشيخ بكر هو من أوصى أهله ومعارفه بالدوادمي بالصلاة على الفقيد رحمه الله[٣].

ومن طريف ما قيّده شيخنا عن العلامة الأمين قوله: (وقد كان جماعة من العلماء المعاصرين لا يأخذون عوضًا عن مؤلفاتهم، منهم شيخنا المذكور (يعني الشنقيطي) رحمه الله تعالى، وكان يزجر عن ذلك لمّا قلت له: لو طبع «أضواء البيان» طبعة تجارية لكان أكثر لانتشاره، فقال: (لا أتاجر في البيان لكتاب الله تعالى، وما أظن أحدًا يجترئ على كتابي فيبيعه فأدعو عليه إلا أن تصيبه الدعوة). هكذا شافهني وأنا بجانبه في المسجد النبوي الشريف. رحمه الله تعالى. ومنهم الشيخ محمد الحامد - رحمه الله تعالى - كما في ترجمته. وقد أدركت عددًا من علماء نجد كذلك. والله تعالى أعلم)[٤].

ومن طريف ما ذكره عنه: أنه لما تخرج فوج من الجامعة الإسلامية بمدينة النبي ﷺ بعد سنة ١٣٨٥ أعد حفل التخرج، وكانت كلمة الأساتذة لشيخنا العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٩٣ - رحمه الله تعالى- فأخذ في كلمته يوصي بتقوى الله والصبر على ما يلاقيه الدّاعي إلى الله من المشاق، وقال ما محصله: إن طريق الدعوة شاق وطويل، ومملوء

(١) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير، ضمن الردود: ص٣٣٧.
(٢) مقدمة أضواء البيان ١/ ٧-٨ .
(٣) مقال في عكاظ سنة ٢٠٠٨ م، عدد ١٥١٤٨ لعبدالله بن سعد أبو زيد.
(٤) فقه النوازل: ٢/ ١٨٣ .

بالشوك والحفر فتسلحوا بالإيمان والصبر والتحمل ... إلخ. فكانت وصية وقعت في القلوب موقعًا، ثم كان من الحضور الشيخ محمد محمود الصواف المتوفى سنة ١٤١٣ - رحمه الله تعالى - فعقب على ما ذكر، وقال ما محصله: إن طريق الدعوة سهل، ومفروش بالورود والرياحين، والعالم الإسلامي يفتح ذراعيه لاستقبالكم .. إلخ. فَعَقَّب عليه الشيخ الأمين - رحمه الله تعالى - بقوله: إذا كان ما يقوله الصواف صحيحًا فليرجع إلى مسقط رأسه العراق داعية إلى الله لينظر ماذا سيلاقيه؟! فَضَجَّت الصالة بالتكبير وانصرف الحضور وهم للأمين شاكرون[1].

صلته بالشيخ سليمان بن حمدان:

وممن أخذ عنهم: الشيخ سليمان بن حمدان النجدي الحنبلي المولود سنة ١٣٢٢ المتوفى سنة ١٣٩٧ . وقد شرح الشيخ قصة تعرفه إليه وصلته في مقدمة تحقيقه لهداية الأريب الأمجد[2]، نلخّص هنا عيون ما ذكره:

ذكر أنه لقيه عام ١٣٨٥ ، وأنه حداه الشوق للقائه ورؤيته ما كان يسمع عنه من أخبار مواقفه في الأمر والنهي، وأنه جرى التعارف عند كرسي درسه في الحرم المكي، وجرى التباحث معه في مسائل فقهية (ذكر بعضها).

وأنه أجازه بالمدّ النبوي وبثَبَته، وتطرّق الشيخ لبعض المسائل الفقهية والاختيارات التي كان يقول بها، وما جرى فيها من أخذ وردّ.

ثم ذكر أنه أطلعه على إضبارة كبيرة فيها مراسلاته مع الأجوبة عليها مع الملوك والأمراء والعلماء في مجالات مختلفة، ثم لما زاره في وقت لاحق وجد بينه وبين أحد تلاميذه القائمين بخدمته وهو: شوقي بن إبراهيم المصري أبو قتيلة جفوة، سببها أنه أخذ منه هذه الإضبارة ولم يعدها بدعوى فقدها!

وذكر عدد كتبه وعنواناتها البالغة ١٨ .

---

(١) المداخل إلى آثار ابن تيمية ص ٣٨ .

(٢) ص: ز - ك.

ومولده ببلدة المجمَعة، وولي القضاء سنة ١٣٦٣ بالمدينة، وصارت له حادثة أدت لنقله إلى مكة سنة ١٣٦٥ بعد أن استُعفي من القضاء، فبقي في مكة ودرّس في الحرم المكي عدة فنون، وكان لا يلحن في دروسه وكان شديدًا على اللُحَنة. وأنه أوتي خطًّا حسنًا، وكان له جلَد على كتابة الكتب الكبيرة، فشارك في نسْخ المغني وكتَب ذيل طبقات ابن رجب بخطه. وله شعر كثير لم يحفظ.

وأخذ الشيخ عن جملة المشايخ ابتداء من الدراسة في مسجد الدوادمي القديم، وكان شيخه الشيخ عبدالله الصقيران، وأخذ أيضًا عن الشيخ عثمان بن دَهَش ومحمد بن عبدالله الصقيران[١].

ومنهم الشيخ صالح بن مطلق ت١٣٨٥ (قرأ عليه علم الميقات، وفي الفقه كتاب البيوع من زاد المستقنع، وخمسةً وعشرين مقامة من مقامات الحريري).

ومنهم الشيخ الفاضل والأديب الشاعر الشيخ (هكذا حلاه شيخنا) سعد ابن محمد اليحيى الوهيبي التميمي من بلد الشعراء قرب الدوادمي، توفي -رحمه الله تعالى- سنة ١٤٠٢هـ في الدوادمي، ودفن بها، قال: وله قصيدة من ضمن مجموعة عدد كبير من شعره في: الإسلاميات والرثاء ومناسبات أخرى. وأبيات في المعاياة والألغاز. أرجو من الله أن يمن عليّ بتحقيقها وطبعها[٢].

شيوخ تأثـر بهم ولم يلقهم:

قال لي شيخنا : ما ندمتُ على شيء ندمي على عدم لقائي واستفادتي من عالمين إمامين جليلين (محمد بن إبراهيم ١٣٨٩، وعبد الرحمن المعلمي ١٣٨٦).

تأثّر شيخُنا في كتابته وأسلوبه بعالمَين جليلين من المغرب هما (محمد

---

(١) مقال عبد الله بن سعد أبو زيد في عكاظ رقم ١٥١٤٨.

(٢) تغريب الألقاب العلمية ص ٣١١، ضمن المجموعة العلمية.

البشير الإبراهيمي الجزائري، ومحمد الخضر حسين التونسي ثم المصري) كما صرح لي ولغيري أكثر من مرة.

وانتفع أيضًا بأساليب فحول الكُتّاب في المجلات العريقة كمجلة مجمع اللغة العربية بمصر، ومجلة الرسالة [1]، ومجلة المجمع العلمي العربي، وغيرها.

وصرّح الشيخ بأنه انتفع أيضًا بأسلوب الشيخ العلامة أحمد شاكر، وبشيخه الأمين الشنقيطي قال: «وقد استفدت من كتب هؤلاء الثلاثة الأعلام (البشير والخضر حسين وأحمد شاكر) وتأثرت بأسلوبهم البيانيّ الفريد، مع ما مَنَّ الله به عليَّ من ملازمة شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٩٣هـ، صاحب أضواء البيان نحو عشر سنين في مدينة النبي ﷺ، فالحمد لله على توفيقه» [2].

ومما يُذكر ولا ينسى أن لتراث شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم وتراث مدرستهما (كالمزي والذهبي والبرزالي وابن كثير وابن رجب) الصافية من أوشاب المتكلمين وأخلاط المتكلفين وكودنة الجامدين= أثرًا بالغًا في نشأة الشيخ العلمية، إذ عكف على تراث هذين الإمامين الجليلين قراءة ودرسًا وتقييدًا واختيارًا وطباعة ونشرًا. فيصح أن نقول: إنه تلمَذَ لكتبها وتراثهما، وتخرج في مدرستهما.

***

(١) ميراث الصمت والملكوت ص٤٧ و ٥١ للهدلق.

(٢) التعالم ص٨١.

شيوخ الإجازة

(الأسانيد أنساب الكتب)

هدى الساري

التفتَ الشيخ مبكرًا نحو سنة (١٣٩٥) مدةً من الوقت إلى تحصيل الإجازات الحديثية من عدد من الشيوخ ممن لهم علوّ في الإسناد وباع في العلم، وخُرّج له ثبَتٌ بذلك، أعطاني الشيخ نسخةً منه قديمًا، أسوق هنا أسماءهم بحسب ورودهم في هذا الثبت وهم:

١. عبدالعزيز ابن باز، والظاهر أن الشيخ لم يُـجِز غير الشيخ بكر[١].
وقيل: إن الشيخ ابن باز ليس له شيخ سوى سعد بن عتيق، لكن ذكر شيخنا بكر أن للشيخ ابن باز إجازة من الشيخ مفتي باكستان محمد شفيع[٢].
٢. بديع الدين الراشدي السندي.
٣. حماد بن محمد الأنصاري.
٤. إسماعيل بن محمد بن ماحي الأنصاري.
٥. محمد ياسين الفاداني.
٦. سليمان بن حمدان (ذكر سنده في آخر المدخل المفصل).
٧. حمود بن عبدالله التويجري.
٨. عبدالوكيل بن عبد الحق الهاشمي.
٩. محمد عبد الله نور إلهي الهندي.
١٠. محمد تقي العثماني بن محمد شفيع الديوبندي.
١١. محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي.

---

(١) سألت كثيرًا من المهتمين بالإجازات فلم يعرف أحدٌ أن الشيخ ابن باز أجاز شخصًا معينًا غير الشيخ بكر، وقد أفاد عدد ممن أرسلوا أو طلبوا الإجازة من ابن باز أنه اعتذر إليهم بلطف، وأن له إجازة من الشيخ سعد بن عتيق لكنها ضاعت منه؛ منهم الشيخ صالح آل الشيخ والدكتور أكرم الندوي (ولدي صورة من خطابه للشيخ وجواب الشيخ له) ود. رياض بن سعيد. لكن ذكر الدكتور عمر بن غرامة العمروي أن له إجازات من الشيخ ابن باز، ولم يفصح عن نوعها وهل هي مكتوبة أم شفوية، وذكر بعض المهتمين بالإجازات أن بعض المشايخ من اليمن زعموا أن لهم إجازات من الشيخ، ولم يثبت لنا في ذلك شيء يقطع الشك. فالله أعلم.

(٢) المدارس العالمية ص ١٣٦، ضمن فقه النوازل المجلد الرابع.

١٢ . عبد الله بن محمد بن الصدّيق الغماري[١].

١٣ . أخوه عبدالعزيز بن محمد بن الصدّيق الغماري[٢].

وقد دفعَ شيخُنا أصولَ إجازاته لبعض طلاب العلم، فكتب مشايخ الإجازة، وحرّر تراجمهم، ثم ذكر أهم الأثبات التي تتصل أسانيدُ شيخنا بها.
وقد أعطاني الشيخ نسخة منه عام ١٤١٩، حينما ذكرتُ له عزمي على كتابة ترجمة له لتطبع ضمن سلسلة (علماء ومفكرون معاصرون) كما سبق ذكره.

وعدد المشايخ الذين استجازهم شيخنا وورد ذكرهم في الثبَت: أربعة عشر شيخًا، وكان تحريره سنة ١٤١١هـ، وهل استجاز الشيخ أحدًا بعد ذلك؟ لا أدري، بل لا أظن.

وهذا الثبَت مكتوب بخط اليد، وغالب ظني أن محرّر هذا الثبت هو الشيخ د. صالح بن عبدالله العصيمي ـ وفقه الله ـ؛ لأن نسختي ليس عليها اسم كاتبه، بل مضروب على اسم كاتبها، لكنني استظهرته بخبرتي في قراءة المخطوطات!

وكان الشيخ يشير إلى هذه الإجازات في مناسبات متعددة، كما في صدر «الأجزاء الحديثية»[٣]، قال: «وإن جميع ما في هذه الأجزاء من الأحاديث والآثار أرويه بأسانيد متصلة بطريق الإجازة عن عدد من الشيوخ الثقات

---

(١) قال الشيخ في كتابه (ابن القيم حياته آثاره موارده ص ٣٢) :عالم مشتغل بالحديث، ومؤلف مكثر له ما يزيد عن أربعين كتابًا جلها رسائل، وقد أجازني بكافة مقروآته ومسموعاته، وحرر لي إجازة بالأثبات التي يرويها. وذكر ذلك الغماري في كتابه (سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق) ص ١٢٨. وأن اللقاء كان سنة ١٣٩٦هـ، وأن الشيخ بكرًا ذهب به إلى بيته، وأراه في مكتبته ركنًا خاصًا بمؤلفاته ومؤلفات أخيه أحمد بن الصديق.

(٢) ذكر الشيخ في(جزء الحوالة ص٧) أن عبد العزيز الغماري سلّمه نسخة مخطوطة من كتاب «التفريج بأصول العزو والتخريج» من تأليف أخيه الشيخ أحمد بن الصديق الغماري، وأصله أسئلة سألها إياه.

(٣) ص: ١٠. وانظر سياق أسانيده إلى كتب الفقه الحنبلي في المدخل المفصل: ٢/ ١٠٩٠-١٠٩١ من طريق شيخه سليمان بن حمدان.

الموصولة بالعديد من الأثبات والفهارس والمشيخات».

ولم ينصب شيخُنا نفسَه للإجازة، ولا أظنه أجاز إلا عددًا محدودًا لا يتجاوز الخمسة في غالب ظنّي.

وممن بلغني أن الشيخ بكرًا أجازه: الشيخ محمد العوشن، ود. حمد العنقري ـ فيما أخبرني بنفسه.

وللشيخ صالح العصيمي إجازة من الشيخ بكر فيما هو مشهور متداول، وقد سألته (عن طريق أحد طلابه، وهو أخونا الفاضل جعفر الغامدي) عن هذه الإجازة، فلم يثبت ولم ينف (تورّعًا) بحسب ما نقله لي الأخ السائل.

وللعلم والتاريخ فإن شيخنا لم يُـجِزني مع سؤالي له مرتين عام ١٤١٨، وإن كنتُ لم ألحّ في المسألة! وما كان ذلك لعدم أهليتي للإجازة ـ إحسانًا للظن بنفسي على الأقل! ـ ولكن لعله لم يُرد فتح الباب على نفسه فيكثر الطالبون للإجازة، وأيضًا من أجل نظرٍ جدّ للشيخ في «الإجازات» التي ظهر الاهتمام بها على الساحة العلمية منذ عام ١٤١٢ تقريبًا وتناما وبولغ فيه مع مرور الوقت. وهو ما سأختصره فيما سيأتي.

مذهب الشيخ في الإجازات:

للشيخ مذهب أحسبه آب إليه بآخَرَة في مسألة الإجازات، ملخّصه: أنه ما عاد يرى للإجازات أي فائدة من الناحية العلمية، ولم يبق لها من الناحية الاعتبارية إلا رسوم شكليّة، وقد كان ألمح إلى ذلك في وقت مبكّر نسبيًّا؛ قال تعليقًا على قول الخطيب في «الجامع ١/ ١١٥: والذي نستحبه طلب العالي؛ إذ في الاقتصار على النازل إبطال الرحلة وتركها، فقد رحل خلق من أهل العلم قديمًا وحديثًا إلى الأقطار البعيدة، طلبًا لعلو الإسناد».

قال شيخنا: «يريد الخطيب بهذا رحمه الله في عصر الرواية وامتدادها بالإسناد والإجازة، أما في عصرنا فما بقي فيه إلا رسوم إجازات، والسنة ولله الحمد محفوظة بأسانيدها ومتونها في دواوين الإسلام، فعلى الطالب أن

يعمد إلى أبرع أهل عصره في رواية الحديث ودرايته»[1].

ثمّ كأنه أعرضَ عن الاشتغال بها طلبًا وإجازةً، لهذا السبب وغيره، حدثني بذلك حين طلبته الإجازة سنة ١٤١٨، وكان ينكر حالَ أولئك المبالغين في التكثّر والرحلة والرواية والأسانيد وعقد مجالس هذّ القراءة هذًّا، والتحديث عن كلّ من دبّ ودَرَج، مع ما يصحبها من إضاعة الأموال والأوقات، ثم التزيّد بها على الخلق ورؤية النفس، وكان ينقل لي أحيانًا كلمات لعلماء لا يرون فائدة للإجازات في العصور المتأخرة كالعلامة المعلمي، بل يتندرون بالمبالغين في الاهتمام بها كالشيخ البشير الإبراهيمي وغيره.

فما عاد يجيز - لعله - من تاريخ ١٤١٩ فما بعدها[2]، ومن علم غير ذلك ممن أجازه الشيخ أو علم غيرَ ما ذكرته من رأيه فليُفد مشكورًا مأجورًا. هذا ملخص رأيه، وتبقى تفاصيل ليس محلها هذا المكان.

***

(١) آداب طالب الحديث ص ٢٣٠، ضمن المجموعة العلمية. وقد طبع الكتاب عام ١٤١٢.

(٢) ثم أخبرني الأستاذ حمد العنقري أن الشيخ أجازه سنة ١٤٢٠.

المناصب و الوظائف

سعى في اكتساب الحمد طولَ حياته   ولم تره في غير ذلك قد سعى
ولم تُلْهه الدنيا بزخرف صورةٍ   عن العلم كيما أن تَغُرَّ وتَخْدعا

شيخنا عصاميّ النشأة من ابتداء الطلب حتى تسنّمه أعلى المناصب، لم يعرف إلا الجدّ والاجتهاد، وقد قال لي مرة: «لا أعرف أن لي صبوةً[1] قط».

وحدّثني الشيخ د. سعود الفنيسان ـ وهو من زملاء الشيخ من المرحلة المتوسطة ـ : أن الشيخ من صباه كان جادًّا لا يعرف العبث ولا اللعب ولا مخالطة أترابه فيما يشتغلون به عادة، بل كانت حياة الاجتهاد والمثابرة والدرس هي الغالبة عليه.

وقد تولى الشيخ وظائف متنوعة من زمن مبكر من شبابه، وترقّى حتى وصل لأعلى المناصب وأرفعها، دون تشوّف منه ولا وقوف بالأبواب، ولا مزاحمة لمجالس ذوي الدولة والسلطان، ولا تسوّل على مستوًى رفيع، بل ربما كان كارهًا لبعض المناصب مؤثرًا العكوف على العلم والتفرّغ له، وربما قدّم اعتذاره من بعضها فلم يُقبل. وقد قال في بعض حديثه: ليتني أستطيع أن أنقطع إلى العلم لا يشغلني عنه شيء[2].

وهذا سردٌ موجز بالوظائف التي تولاها الشيخ مع تواريخها:

- أمين مكتبة الجامعة الإسلامية ١٣٨٤. وعمره تسعة عشر عامًا.
- تولى القضاء في المدينة النبوية من عام ١٣٨٨ حتى ١٤٠٠. وعمره ثلاثة وعشرون عامًا.
- التدريس بالمسجد النبوي الشريف من عام ١٣٩٠ إلى ١٤٠٠. وعمره خمسة وعشرون عامًا.
- عُيّن إمامًا وخطيبًا في المسجد النبوي الشريف من عام ١٣٩١ إلى ١٣٩٦. وعمره ستة وعشرون عامًا.
- عُين وكيلًا عامًا لوزارة العدل عام ١٤٠٠ إلى عام ١٤١٢. وعمره خمسة وثلاثون عامًا.
- عُين ممثلًا للمملكة في مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن

(١) الصبوة: الميل للهوى واللهو واللعب.

(٢) ميراث الصمت ص: ٤٩.

منظمة المؤتمر الإسلامي، واختير رئيسًا للمجمع من عام ١٤٠٥ (وعمره أربعون سنة) حتى أعفي من ذلك لمرضه عام ١٤٢٨.

- عُين عضوًا في المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة من عام ١٤٠٦. وعمره واحد وأربعون عامًا.
- عين عضوًا في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وعضوًا في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤١٣ إلى عام ١٤٢٨. وعمره ثمانية وأربعون عامًا.

ولم تُثنه الوظائف على علوّها وتداخلها واجتماعها في وقت واحد عن القراءة الواسعة والنشاط للكتابة والتأليف.

بل كان من شأنه أنه ترك آثارًا علميّة في كل تلك الوظائف، وهذه الآثار الجليلة النافعة كلها تشير إلى أن بكرًا مرّ من هنا، فهو لا يفتأ أن يفتتح مشروعًا علميًّا أو يكمل ما سبق أو ينشر ما تعثّر أو يخطط لآخر، وهكذا...

ففي وزارة العدل قام على مشروعين مهمين:

١. التصنيف الموضوعي لتعاميم وزارة العدل خلال ٧٤ عامًا (١٣٤٥-١٤١٢) وصدر في طبعته الأولى في ستة مجلدات. وقد كتب الشيخ مقدمة حافلة له.
٢. تحقيق كتاب كشاف القناع لمنصور البهوتي، وصدر في طبعته الأولى في خمسة عشر مجلدًا.

وفي مجمع الفقه الإسلامي سعى في المشروعات الآتية:

١. معلمة القواعد الفقهية. طبع بعد ذلك في نحو ٤٠ مجلدًا.
٢. تحقيق كتاب (معرفة السنن والآثار) للبيهقي، لم يطبع.
٣. تحقيق كتاب (عقد الجواهر الثمينة) لابن شاس. طبع في ثلاثة مجلدات ضخمة.
٤. تحقيق كتاب (بلغة الساغب وبغية الراغب) لمحمد بن أبي القاسم ابن

تيمية. من تحقيقه، طبع في مجلد واحد.

٥. المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد بن حنبل. من تأليفه، طبع في مجلدين.

٦. آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال. طبع منها حتى الآن ٣١ مجلدًا.

٧. آثار الإمام ابن القيم وما لحقها من أعمال. طبع منها إلى الآن ٤٨ مجلدًا.

٨. آثار العلامة عبدالرحمن المعلمي. طبعت في ٢٥ مجلدًا.

٩. آثار العلامة الأمين الشنقيطي. طبعت في ١٩ مجلدًا.

وفي هيئة كبار العلماء كانت له مشاركاته الفاعلة في بيانات اللجنة الدائمة لحينها في عدد من القضايا المهمة التي ابتليت بها الأمة أو حصل السؤال والاستفتاء عنها.

كما أصدر عددًا من الكتب الصغيرة التي تتضمن فتاوى جامعة محررة لعدد مما تمس إليه حاجة الناس ويكثر وقوعه أو السؤال عنه. مثل: بطاقة التخفيض، والائتمان، وعيد اليوبيل، وزكاة العقار، وفتاوى تتعلق بالعزاء وما إليه.. وغيرها

***

العُزلة

(عزلة العالم؛ مالَك ولها معها حِذاؤها وسقاؤها..)

ابن عقيل

لم يكن الشيخ رجلَ عامّة، وكان يعرف هذا عن نفسه، فلم يتقحّم بابًا يرى أنه لا يحسنه أو لا يفيد فيه، فكان الشيخ حِلْس بيته إذا انتهى من وظائفه، لا شاغل له في عامة وقته إلا العلم والقراءة والجمع والتأليف، أو لقاء بعض مَن يصطفيهم، وقد يفتح باب الزيارة في أحيان قليلة، وقد وُضع له القبول فيما تفرّغ له واهتمّ به، ورُزق في كتبه حظًّا قلّ نظيره عند فوَقَة القراء وطلاب المعرفة.

وكان يرى من نفسه أن موهبته في قلمه خير من موهبته في تدريسه أو مخالطته للطلبة والناس، فاستغلّ هذه الموهبة؛ فآتت أُكلها ضعفين بحمد الله.

وهذا من أحسن ما يوفّق له الإنسان؛ أن يعرف كل واحدٍ قدراته، وكيف يستغلها ويعكف على تنميتها ليبدع فيها، أما تشتيت النفس وتقسيم الهمّ والدخول في كل باب، فيُذهب الطاقات هدرًا والجهود سدًى!

وقد قال لي مرة: إن الشيخ محمد السبيّل رحمه الله ألحّ عليه في درس في الحرم المكيّ الشريف أسوةً ببقية كبار العلماء، وأنه اعتذر من ذلك، فلما أكثر عليه في الإلحاح تدخّل شيخه عبد العزيز ابن باز وقال: دَعوه فإن الشيخ (يعني بكرًا) يكفينا قلمه. فكفّ عنه حينئذٍ.

ولا يذهب بك الظنُّ بعيدًا ونحن نتحدث عن العزلة أننا نعني العزلة التامة والانقطاع عن الناس، كلا، وإنما نريد قلّة المخالطة إلا في الحدود الضيقة، وإلّا في أناس يصطفيهم الشيخ للمجالسة واللقاء.

وقد تكلم كثير من العلماء في فضول الخلطة وما تجلبه على الشخص من ضياع للوقت واشتغال بفضول الكلام، كابن عقيل وابن الجوزي وابن قيم الجوزية وغيرهم[١]. ولم يكن شيخنا بدعًا من تقريرات هؤلاء العلماء وطريقتهم.

---

(١) ينظر صيد الخاطر ص ٢٤٥-٢٤٧، ٢٧٥- ٢٧٦، ٤٠٦ ، وبدائع الفوائد ٢/ ٨١٧- ٨٢١، والعزلة للخطابي، والعزلة لابن الوزير اليماني.

سئل ابن عقيل عن عزلة العالم؟ فقال: ما لَك ولها، معها حِذاؤها وسِقاؤُها، ترِد الماءَ وترعى الشجر إلى أن يلقاها ربها[١].

إلى ذلك... ما كان شيخنا أيضًا يبرز إلى القضايا المستجدّة والنوازل الحادثة بخفة وطيش، أو يسابق إلى الحديث عنها قبل أن تعرف وتتبيّن، لا كما يفعله متسرّعة الخائضين في العلم ممن قلّ نصيبهم من العلم والورَع، فطاشت أحلامهم بالجهل وتكلموا في قضايا تُعقد لها الجلة من كبار العلماء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد نوه الشيخ بهذه الصفة الحسنة في العالم إذا لم يكن صادعًا بقولةِ الحق في المدلهمات في ترجمته للدكتور عمر المِتْرك رحمه الله[٢]، قال: «وكان حِلْس بيته إذا دقّت الفتنُ الأبواب، وهذه مَـحْمَدة لمن لا يتهيّأ للمواجهة».

وفي الوقت نفسه ما كان الشيخُ غائبًا عما يواجه الأئمة من أخطار على الصعيد الديني والنوازل والأخلاق، بل كان مجاهدًا بقلمه ما استطاع البيان، وكان يشير إلى ذلك بـ (جهاد القلم)، وينقل كلمات كثيرة للعلامة المحدّث أحمد شاكر، وأن هذا ما يجب على العالم وهذه وظيفتُه وهذا ما يستطيعه: «جهاد عالم بقلمه»، كما سيأتي ذكر شيء من ذلك ببعض التفصيل عند الحديث عن كتبه وما إليها.

وأيضًا لم يكن الشيخ يرى أن وظيفة العالم تجاه الأمة والشباب هو ما كان يحسنه هو فقط ويتفرغ له، فيتوهم متوهّم أنه يقصره على ذلك أو يرى أن كل العلماء يجب أن يتوجّهوا التوجه ذاته، بل كان يؤمن بتعدد المواهب والقدرات، فليعمل كلٌّ بما فتح الله عليه فيه، قال وهو يشرح وظيفة العلماء العاملين تجاه الشباب:

«ومن واجب العلماء نحو الشباب: حسن التعامل معهم بدقة، وحكمة، وروية؛ بتوجيههم، والجلوس لهم بالدرس، والتلقين، والأخذ عنهم، والتلقي

(١) ذيل طبقات الحنابلة: ١/ ١٦١.

(٢) في مقدمته لكتاب (الربا والمعاملات المصرفية) للشيخ عمر المترك ص: هـ.

منهم، والكتابة، والتأليف، والفتيا، كل بما وَسِعَهُ، حتى يحتوي العلماء توجهات الشباب: العقدية، والسلوكية سليمة من الانحراف في الفكر، والسلوك.

وإن التحذير لَيَقوم على أشده؛ من مواجهة الشباب بالعنف، والغلظة، والقمع، والملاحقة، والتشكيك في نياتهم، والانصراف، وصرف الوجوه عنهم، فلهذه وأمثالها آثار في غاية الخطر، والتمزق، وسرقة في السلوك والاعتقاد، على أنقاض غليان الأفكار في مراجل الشباب، فحينئذ تَطْمُرُ بهم طمرة، ترميهم في أعاصير مدمرة، وتدفعهم إلى الأعمال في السراديب المظلمة، تحت مضلات منحرفة مختلفة، يفضي بعضها إلى بعض باغتيال المنهج الحق، والمسلك الرشد.

ومن كان سببًا في هذا، فيا ويله من عذاب الله، ومقته، وغضبه إن لم يتداركه الله برحمته»[1]!

ولأجل حديث العزلة هذا، ولأجل قلة مشاركات الشيخ من بعد سنة ١٤٠٥ في التدريس والخطابة، ولأجل بُعد الشيخ عن وسائل الإعلام، ونُدرة ما له من تسجيل أو أشرطة= ظن بعضهم شيئًا يتعلق بالفصاحة وانطلاق اللسان، وليس من ذلك شيء، بل كان فصيحًا مبينًا كما سنذكر شواهده ونجلّيه عند الكلام على الخَطابة والتدريس، فانظره لو شئتَ.

***

(١) الردود ص ٩٠-٩١ .

الخَطابة والتدريس

قالوا: جواهر لُفظِ، قلت: لا عجبٌ   بحرُ البلاغة قد أدى لنا دُررَه

الخطابة:

عُيِّن الشيخ إمامًا وخطيبًا بالمسجد النبويّ الشريف من عام ١٣٩١هـ حتى عام ١٣٩٦، فهذه نحو ستّ سنين، وكان الشيخ يكتب خُطَبَه ثم يلقيها غيبًا، كان الشيخ جهوريّ الصوت فصيحًا، يتبّع السنة في تقصير الخطبة.. وكثيرًا ما كان يذكر لي تجاوزات الخطباء فيما يتعلق بوقت الخطبة وما يقال فيها.

وذكرتُ له مرة (لعله عام ١٤١٧) فتوى للعزّ بن عبد السلام في (الفتاوى الموصليّة) تتعلق بإنشاد الشعر في الخطب وذمّ ذلك، فطلب مني تصويرها، ثم أرسلها لبعض خطباء الحرمين.

وفي الطائف صلى مرة -لعله عام ١٤١٩- في مسجد ابن سرور بحيّ قروى، وقال لي: هذا الخطيب على شروط البخاري ومسلم. وكان يخطب آنذاك زميلنا في الجامعة الإسلامية الشيخ عبدالله القرشي.

وليس في تسجيلات المسجد النبوي من خطب الشيخ شيء الآن، فقيل: إن الشيخ أمرَ بسحبها من الأرشيف، وقيل: لم تسجل، وقيل غير ذلك، فالله أعلم.

ومن الطريف أنني كنت أقرأ في مقدمة كتاب الشيخ في ترجمة ابن القيم، فدار بخلدي أن هذه الافتتاحية تصلح أن تكون افتتاحية لخطبة جمعة، ووقع في نفسي أنها إحدى افتتاحيات خطب الشيخ في المسجد النبوي، فسألت الشيخ عن ذلك، فأكدّ الأمر، وصدق توقّعي.

التدريس:

درّس الشيخ في المسجد النبوي لمدة عشر سنوات كما مضى، ومما درّسه: (الفوائد الجلية في المباحث الفرَضيّة) لابن باز في الفرائض، وله عليها حواش وتعليقات مهمة، والرحبية في الفرائض[1]، و(سنن ابن ماجه)، وقد سمّى لي شيخُنا بعضَ مَن حضر هذه الدروس.

---

(١) المدخل المفصل ٢/ ٨٥٣.

ودرّس أيضًا في الدراسات العليا في المعهد العالي للقضاء وكلية الشريعة بجامعة الإمام، وأشرف على عدة رسائل علمية، وناقش رسائل أخرى.

أما مكان الدرس ففي المسجد النبوي الشريف في الحرم القديم، قريبًا من حلقة الشيخ العلامة محمد المختار الشنقيطي رحمه الله تعالى[1].

وكان ممن حضر هذه الدروس الدكتور عامر حسن صبري أيام كان طالبًا بالجامعة الإسلامية نحو سنة ١٣٩٧، وقد كتب لي ذلك بنفسه في رسالة خاصة، قال فيها واصفًا درس الشيخ في (سنن ابن ماجه):

«وكان الدرس في سنن ابن ماجه، وقد أخذت عنه الربع الأول منه، وكان الشيخ آنذاك إمامًا بالمسجد النبوي، وكان يصلي صلاة المغرب، وكان من أندى الناس صوتًا بالقرآن[2]، وكنت أقول له: لو أطلت شيئًا في القراءة، فكان رده أن صلاة الجماعة لا ينبغي أن يطيل فيها.

لقد كان الشيخ يقرأ عليه الإسناد والمتن، وفي بعض الأحيان يقوم هو بالقراءة، ويتكلم على الإسناد والمتن، وقد يذكر أقوال العلماء، ولكن باختصار. وأذكر مرة أنه تطرق إلى مسألة التسمية بناصر الدين وعلاء الدين ونحوهما، فقال: إن العلماء كرهوا ذلك لما فيه من التزكية والثناء، ثم ذكر عن شيخنا العلامة محمد ناصر الدين الألباني فقال: إنه لم يكن يرغب بذلك، ثم ذكر كلامًا آخر لا أذكره.

لقد كان الشيخ بكر رحمه الله طيبًا متواضعًا يسمع من الطلبة ويردّ عليهم باحترام، وأذكر أني التقيت بالشيخ في بداية التسعينات الميلادية من القرن الماضي في أبو ظبي، وذكرت له تتلمذي عليه في الحرم النبوي» انتهى بحروفه.

---

(١) من رسالة خاصة أرسلها لي د. عامر حسن صبري التميمي جزاه الله خيرًا.

(٢) وقد انتشر مؤخرًا تسجيلٌ صوتيّ بقراءة حدرية، فقيل: إنها للشيخ بكر حال إمامته بالمسجد النبوي، لكن نفى ذلك ابنه عبدالله، وقال: إنها لعمه الشيخ القاضي عبدالعزيز، وهو أسنّ من الشيخ بسنوات، وكان قد أمّ أيضًا بالمسجد النبوي.

فصاحته:

زعم بعضُ الناس ـ وقد سمعته من بعضهم وسألني آخرون عنه ـ ممن لم يعرف الشيخ أن في لسانه حُبْسة عن البيان، فيتجنب الظهور والكلام!

وهذا ظنّ في غير مكانه، بل كان الشيخ فصيحًا كأحسن ما أنت سامع، جهوري الصوت، إذا قال أسْمَع، وإذا سامَر أمتع.

وشواهد ذلك كثيرة: فقد تولى الخطابة في المسجد النبوي الشريف نحو ستّ سنين، وخطبه مرتجلة ما علمتُ.

وكذلك خطاباته في افتتاحيات وخواتيم دورات مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن مؤتمر التعاون الإسلامي ـ وكان الشيخ رئيسه ـ مسجَّلة معروفة، وقد استمعتُ إلى بعضها، وهي غاية في الفصاحة والاسترسال والبيان.

وقال الشيخ عبدالله بن جبرين رحمه الله: إن الشيخ بكرًا كان وهو في سن العشرين يتكلم في المساجد ويعظ الناس بكلام بليغ فصيح(١).

وقد كتب الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الله العزّام في صفحته في تويتر: «وأفصح علمائنا بلا منازع: بكر أبو زيد رحمه الله».

ولو كان الشيخ كما زعم من زعم أو ظنّ مَن ظنّ ما تكلفنا خلافه، ولقلناه نحن قبل غيرنا، ولو صح أنه كذلك، فليس ذلك بعيبٍ يُعاب به الناس، ولكن ذكرنا الواقع ولا شيء غيره، فليذهب هذا الظن أدراج الرياح!

***

(١) نقلته من كلمة له مسجلة بعد وفاة الشيخ رحم الله الجميع.

الأريحيّة وترك التكلّف

وَصولٌ إلى الغايات يُرجى ويُتقى   كريمُ السجايا لم يُشِبْه التكلّفُ

من أبرز صفات شيخنا في مجالسه الخاصة: البساطة وعدم التكلّف، وذلك ظاهر في معيشته ولبسه وأكله وشربه، ما علمتُه ـ وما شهدنا إلا بما علمنا ـ يستقبل الناس (في منزله بالطائف) في تلك الغرفة المتواضعة (وقد سبق وصفها)، يتبسّط في حديثه لضيفه، يسكب له الشاي بنفسه، ولا يقبل أن يأخذه الضيف ولو كان طالبًا أو تلميذًا إلا بعد التي واللَّتيا.

ومن الطريف أنني في أول تعرّفي إليه كلما حاولت أخذ إبريق الشاي أو دلة القهوة من يده يمتنع ويقول: هذا له طريقة خاصة! ليصرفني عن أَخْذه، فأنصرف عن المحاولة لأنظر هذه الطريقة، وفي الحقيقة ما من طريقة خاصة في الأمر، وما هو إلا أسلوب خاصّ للتخلص وزيادة في إكرام الضيف وخدمته. وبعد أن عرفتُ (هذه الطريقة الخاصة) ما عادت تنطلي عليّ حيلتُه، فكنت أصرّ على مباشرة الأمر بنفسي وأقول له: قد فهمت الطريقة!

ومن تواضُعه الذي شهدته في مجالسه: أنه قد يصنع الشاي لِزَوْرِه بنفسه إذا لم يكن عنده من يخدمه، و حصل هذا معي مرارًا.

وكنت ربما جئته بعد العِشاء فنتناول عشاء خفيفًا غير متكلف (قطع من الدجاج مع شيء من المعكرونة)، ومرة دعاني للعشاء (في مكة) ومعه سائقه الأخ سعود ـ وكان الشيخ يحبه ويثني عليه ـ وكان عشاؤنا (قطع من جبن وحلاوة طحينية وشرائح الخبز) وهكذا في غالب أموره التي رأيتها.

وكنتُ إذا جئت للرياض أتصل به مسلّمًا، فغالبًا ما يدعوني للعشاء، وقد أستأذنه في حضور مرافق لي فيأذن، وتجري أمور الضيافة كما عهدتُه من عدم الكلفة، مع إكرام الضيف حالًا وقالًا، بل كان يصنع أمورًا طالمًا أُحْرِجت منها؛ إذ كان يسبق الضيف إلى المغسلة فيفتح له الماء ويناوله المنديل أو المنشفة.. رحمه الله وغفر له.

وكان لذلك أثَـر في نفسي، وصرت أقيس به من أراه من أبناء جنسي، وأحزن حين أرى بعض أترابي يتصنّع المشيخة أو يتفاصح في الحديث أو

يمشي بأبَهة متصنّعة وعُجب، وقد سقط منهم مَن سقط حين حاولوا الارتفاع بازدراء الناس والتعالي عليهم، والله الهادي!

وقد صرّح لي مرارًا أنه يكره التكلّفَ وزيادةَ الرزانة والركانة في المجالس والمسامرات وإن كان عالمًا، وليس في ذلك إخلال بوقار العلم ولا انتقاص من سَمْت العالم، فالتكلف شيء والسمت والوقار شيء آخر.

وبمناسبة ذِكْر الرزانة، فقد سَمّى لي الشيخ اثنين قال: هما أرْزَن مَن رأى. وما أرادَ ولا أردْتُ عيبَهما والعياذ بالله، ولكني استدعاني لذكرهما الحديث عن الرزانة المتكلفة، وما كانا من أهلها.

وقد كنتُ أبهمتهما في حديث لي سابق، وأذكرهما الآن: وهما الشيخ الدكتور أكرم ضياء العمري، والشيخ المربّي محمد عبدالله النمر، حفظهما الله وبارك في عمرهما. وهما ممن عرفتُ وجالستُ، خاصة الأخير منهما فقد كانت لي به صلة خاصة ومعرفة متينة.

وصدق الشيخ في الوصف، وهذا من فراسته ومعرفته بالرجال.

***

النَّقْد و النَّقَدَة

خذ الثمار وألق الحطَبَة في النار

تقبُّل النقد صفةٌ عزيزةٌ، وهذا متساوق مع طبيعة النفس البشريّة وما جُبلت عليه من حب الثناء وكراهية النقد، فإن الشخص غالبًا ما يتبرّم من ناقديه ويضيق بهم، حتى وإن كان ما يقولونه حقًّا وما ينقدونه علميًّا صِرفًا، فكيف إذا شابَتْه قلةُ إنصاف، أو كدّرته عبارات غمط أو إسفاف أو كان للناقد غرضٌ شخصيّ أو تعصّب مذهبيّ؟!

وأعزّ مِن تقبّل النقد الترحيبُ به والأريحية له، ومحبةُ الناقد وعقد الصداقة معه، وليست هذه العزّة من سمات هذا العصر بل هي ضاربة في القِدَم، نعم زادت غربتُها في العصور المتأخرة، لضعف العلم وقلة العلماء وكثرة الدّخلاء والضعف العام الذي يحيط بالأمّـة!

وهذا الصفات العزيزة وجدتها عند الشيخ رحمه الله عن قُـرْب، وعَلِمتُه من مواقف عديدة حدثت لي وحدثت لغيري ممن عرفتهم. ولا أدل على تمكّن هذه الصفة منه: أن تكون كتابتي لبعض الأوراق التي تعقبته بها واستدركتُ عليه= كانت هي الطريق إلى قلب الشيخ، والمفتاح الذي فتحتُ به بابه (الموصد) لي بالزيارة أو الاتصال في أي وقت، ثم كانت كتابتي لبعض الملحوظات على كتاب (تقريب التهذيب) الذي قدّم له الشيخ سببًا آخر في توثّق العلاقة واستحكام الصّلَة[1]!

ما وقع لي:

وألخّص خبرَهما هنا بعد ما شرحته فيما سلف من هذا المكتوب، وذلك: أنه في عام ١٤١٦هـ قبل تعرّفي إلى الشيخ كنت قد قيّدت بعض الملاحظات على طرر نسختي من كتاب «النظائر» ثم بيّضتها في مجموعة أوراق، وسلمتها لأخي الشيخ د. يحيى الثمالي ـ وكان من أوثق الناس صِلةً بالشيخ ـ، فسلّم له الأوراق بنفسه. فلما كان من الغد بشرني أن الشيخ قد أعجبته الملحوظات وأنه يدعوني لزيارته!

(١) تقدم خبر هذه الأوراق بالتفصيل في فاتحة الكتاب.

ففرحتُ بزيارة الشيخ التي كانت أمنية لي، لكن تمنيت ألا تكون بعد نقدي إياه؛ لكن هكذا قُدِّر، فذهبنا واسْتَقْبَلَنا الشيخُ استقبالًا جميلًا لطيفًا، كأنه يعرفني مِن زمن، ونعتني بالشيخ، وجرت في المجلس أحاديث متفرقة.

وأذكر أني اعتذرت له عن طريقة سرد الملاحظات إن بدا فيها شيء من الجفاء، فقال «لا يضيء الكتاب حتى يظلم»(١).

ووقع لي أيضًا بعد ذلك بيسير أن وقفت على نسخة من كتاب «تقريب التهذيب» تحقيق الشيخ أبي الأشبال شاغف الباكستاني وتقديم الشيخ بكر، وكنت في تلك الأيام مهتمًّا بدراسة «التقريب» ومقارنته بـ «التهذيب» مع وقوفي على بعض مخطوطاته، فعلقت على النسخة بعض الملحوظات وأعدتها إلى صاحبها، فلما زرت الشيخ بكرًا كان قد بلغه خبر تعليقاتي تلك، فأعطاني نسخة وطلب مني التعليق عليها، وفي غضون عدة أيام علقت على نحو تسعين موضعًا، فأخذ الشيخ تلك النسخة ـ بعد أن نقلت تعليقاتي إلى نسخة أخرى ـ وأرسلها إلى محقق الكتاب.

وكنتُ قد تجرّأتُ حينها فقلت له: إن طبعة الشام خير من طبعة الرياض ـ أعني التي قدم لها ـ فلم يعلّق بشيء!

هذا ما وقع لي، ووجدت نظائره وقعت لغيري:

حادثة أخرى:

حدثني أخي البحاثة محمد عُزير شمس أنه علق بعض الملحوظات على كتاب الشيخ «ابن القيم: حياته، مؤلفاته، موارده»، وكان متوجّسًا من تقبّل الشيخ لها، فما كان من الشيخ إلا أن اتصل به وشكره عليها وإن خالفه في بعضها.

والعجيب في الأمر أن عزيرًا قد بعث بتلك الأوراق (الناقدة) مع شخص يريد شفاعة الشيخ في إيجاد عملٍ له، فما كان من الشيخ إلا أن شفع له، فكانت

---

(١) تقدم ذكر قائلها.

تلك الأوراق الناقدة عظيمة العائدة، في حين أنها عند كثيرين جالبة للسخط والشناءة!!

وحادثة ثالثة ـ تؤكّد أن هذه الاريحية ديدن الشيخ، لا تكلفًا عابرًا وتجملًا فائتًا يُفتضح عما قريب ـ:

وقع ذلك أيضًا لأستاذنا الجليل د. سليمان العمير، إذ يقول في مقالة له بعنوان «ومات حارس الفضيلة»(١) قال: «ترجع أول صلتي بالشيخ - رحمه الله- إلى عام ١٤١٠هـ حيث ظهر لأول مرة كتابه الماتع (معجم المناهي اللفظية) فقمت بشرائه، وقرأته من أوله إلى آخره، فقيدت عليه بعض الملاحظات اليسيرة، واستدركت عليه بعض المناهي ـ وهي قليلة ـ والناقد بصير، فدونتها في وريقات ثم أرسلت بها إليه بالبريد، مذيّلةً باسمي فقط بلا عنوان ولا تعريف، لكنه استطاع ـ رحمه الله ـ الاهتداء إلى رقم هاتفي، فما لبثت مدة إلا والهاتف يهتف، فرفعت السماعة فإذا بصوت مهيب يقول: السلام عليكم، الشيخ سليمان؟ معكم بكر أبو زيد. هكذا: (بكر أبو زيد)؟ دون مقدمات ولا ممهدات، أو إضافات من ألقاب وتفخيمات. وكان آنذاك وكيلًا لوزارة العدل، ورئيسًا لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، فلم يمنعه ما هو فيه من شَغْل المنصب والتأليف والتصنيف من التواصل مع شخص مجهول لديه، في حين أنك تجد من صِغار الدعاة من يتّخذ منظِّمًا لأعماله ومنسّقًا لاتصالاته حتى في علاقاته مع أقاربه... أخذ الشيخ يشيد بتلك الملاحظات والاستدراكات، ويُتْبع ذلك بعبارات الشكر والثناء، وأنه لابد من اللقاء. وهكذا يكون تواضع العلماء، وأخلاق أهل الوفاء، إذ كان يمكن طي تلك الملاحظات في الخفاء، وإسدال الستار عليها دون عناء» انتهى.

وحدثني د. أبو أيمن اليحياوي التونسي بحديث قريب من ذلك، وقع له مع

---

(١) نشرت في جريدة المدينة عام ١٤٢٩، مع حذف أشياء من أصلها، وبعث لي كاتبها نسخة تامة منها.

شيخنا.

قلت: كان الشيخ أحيانًا يسأل عن كتبه بعد أن تـطبع ماذا قيل فيها، وما انطباع الناس تجاهها؟ فكنتُ أذكر له ما سمعته من الثناء، فيقول ما معناه: دعك من هذا، هاتِ الملاحظات؟

وكان الشيخ رحمه الله يذكر مَن أفاده بفائدة إذا أعاد طبع الكتاب، كما تراه في الطبعة الثانية من «طبقات النسابين»[1].

وأختم هذا المبحث بالقول: إن الشيخ كان سهل المأخذ في تقبل الملاحظات التي أسجلها أنا ـ أو غيري ـ عند مراجعتي لما يسنده إليّ من كتبه قبل أنه تطبع، وكان من ذلك أني ما انتهيتُ إلى ذِكر ملاحظة أو فائدة أو مخالفة للشيخ في رأي أو عبارة إلا ويتسلمها شاكرًا حالًا أو مقالًا، ثم يأخذ بما صحّ له أو يدع دون تبرّم أو انزعاج أو جلَبَة.

إلى ذلك فلن تخلو الدنيا من مناكد أو حاسد، والشيخ بشرٌ يخطئ ويصيب، ويقع في كتبه ما يقع في كتب سلفه من العلماء، فربما عَمَد بعضهم لكتابة تعقيبات على بعض كتبه يريد شينَها أو الغضّ منها ومن مكانة الشيخ، أو التسلّق والبروز على قامته العالية، أو الغمزَ فيه بعبارات وإشارات يستوحش منها السويّ، ثم يتجرّمون عليه بأمور ما طرأت له على بال ولا سنحت له على خاطر!

فأقول لهؤلاء وأولئك: إن الشيخ بحمد الله لا يكره النقد ولا يتبرّم به، ولا يؤذيه أن يتعقبّه أحدٌ أو ينقده، لكنه في الوقت نفسه لا يرفع رأسًا بمن لا يُمرّ ولا يُحْلي ولا يريش ولا يبري، وقد وطّن نفسَه على عدم الدخول في مهاترات الردود ولا مكايدات الخصوم ولا لجاج المشغّبين، يطوي كل ذلك على غِرّته، ويلبس على كلامهم سمعه.

وهو إلى ذلك ـ ما علمتُ ـ لا يعمِدُ إلى ذكرهم ولا يستدعيه ولا يخفّ

---

(١) ص٥ من ط الثانية. وفي الردود: رسالة تحريف النصوص، وغيرها.

إلى الإساءة إليهم، وإن ذُكروا في مجلسه عرَضا قطع الحديث وصرَفه إلى ما ينفع، وقد يذكر له بعضُهم بعضَ ما قالوا وما كتبوا؛ فيطوي عنه كشحًا، ويعيده في ظرفه من حيث أتى، وقد صنعتُ هذا معه مرّة... ثم لم أعد!

وعلى طول ما جالسته ما سمعته يذمّ من حصل بينه وبينهم ردّ وأخذ، بل كان يثني على بعضهم بما يستحقون.

وللشيخ قاعدة ذهبية يعيدها ويكررها: «**خذ الثمار وألق الحطبة في النار**». فهو يأخذ من تعقبه ما يفيد من الثمار، ويترك ما عداه تأكله النار.

***

مجالس العلم والفوائد

قد كان تُسلينا مجالس علمه عن سالف الآباء والأجداد
أترى تعود لنا لياليُ أُنْسِكم هيهات لكن ذاك يوم معادي

أحبّ شيء إلى الشيخ في مجالسه الخاصة: الكلام في العلم ونكته ودقائقه وطرائفه، وأخبار الكتب ومؤلفيها، والأعلام وسِيَرهم.

وشيخنا خبير بهذه الأمور، وعنده منها أخبار لا تنتهي ومعين لا ينضب، وذلك لسعة اطلاعه، وتقييده لعامة هذه الفوائد.

فلا يزال الشيخ يقيّد ويفيد ويستفيد.. والمذاكرة بالعلم فوق كونها لذّة فإنها تثبّته وتحفظه.

يَطرَب للفائدة اللطيفة والنكتة النادرة، ويستحسنها ويثني عليها ويقيّدها ويسأل عن مصدرها، ومن ثَمّ تجدُ طريقها إلى كتبه ومؤلفاته، فكل فائدة عنده لها المكان الذي يليق بها في بحوثه وتصانيفه، ومَن نَظَر في تصانيفه عرف ذلك، وربما تعجّب البعض من إيراد بعض الفوائد وكيف استحضرها الشيخ حال تأليفه، والشأنُ ما ذكرتُ.

وللشيخ طريقته الخاصة في استجادة الفائدة والإعجاب بها، فقد شهدتُه كثيرًا إذا سمع[1] ما يَطرَب له منّي أو من غيري يقول: «هذه (أي الفائدة) جيّدة يا شيخ» أو «هذه فائدة» أو «هذه تُقيّد»، أو يستعيدها.

وأُخبِر بشيء لم أره من غيره، فحينما تطرقُ سمعَه نكتة لطيفة أو نادرة، يغمره شعورٌ بالفرح والارتياح، تلمس ذلك في انبساط أسارير وجهه، ولا تخطئ العينُ حركةً خفيفةً لطيفة من أطراف يديه وقدميه تنبيك عن مدى انفعاله لسماع تلك الفائدة والنكتة، وكأنه يتحسّسها، فتلتذّ جوارحُه لسماعها فتصدر ذاك الانفعال الطبيعي[2]. وكما قيل:

وتمايلي طربًا لحلّ عويصة … أشهى وأحلى من مدامة ساقي

وشيء آخر تميّز به الشيخ، ولحَظْتُه منه أنا وربما غيري: أني ما ذكرت له

---

(١) والاهتزاز للفائدة والطرب لسماعها دليل على يقظة القلب، وحب العلم والاحتفال به. وللدكتور محمد أبو موسى كلمة في هذا اشتهرت عنه وسمعتها في بعض دروسه قال: «يا بُني إني أعيذك بالله أن تسمع ما يُدهش ولا تندهش».

(٢) وانظر أيضًا ميراث الصمت ص ٤٢.

فائدة أو لطيفة... إلا ردّ بفائدة مثلها أو أحسن منها، فربما كان فرحي بفائدة الشيخ تلك أكثر من فرحي بفائدتي التي ذكرتُ.

وأذكر مثالين ما يزالان عالقين في الذاكرة:

أحدهما: ذكرتُ له مرة فائدة عن أستاذنا الدكتور عبد الرحمن العثيمين ت١٤٣٥ رحمه الله تعالى، وهي أنه لما وقف على إحدى مخطوطات كتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي (ت٧٦٤هـ) وكانت بخطه، لاحظ أن بعض التراجم مرموز أمامها بحرف (ع)، ولم يتبين له في أول الأمر المراد منه، ولما تأمل ذلك وتتبع كثيرًا من التراجم انكشف له السر، ووجد أنها إشارة من الصفدي إلى أن المترجَم أعمى، فكان ذلك تمهيدًا لتأليف كتابه «نكْت الهِمْيان في أخبار العميان».

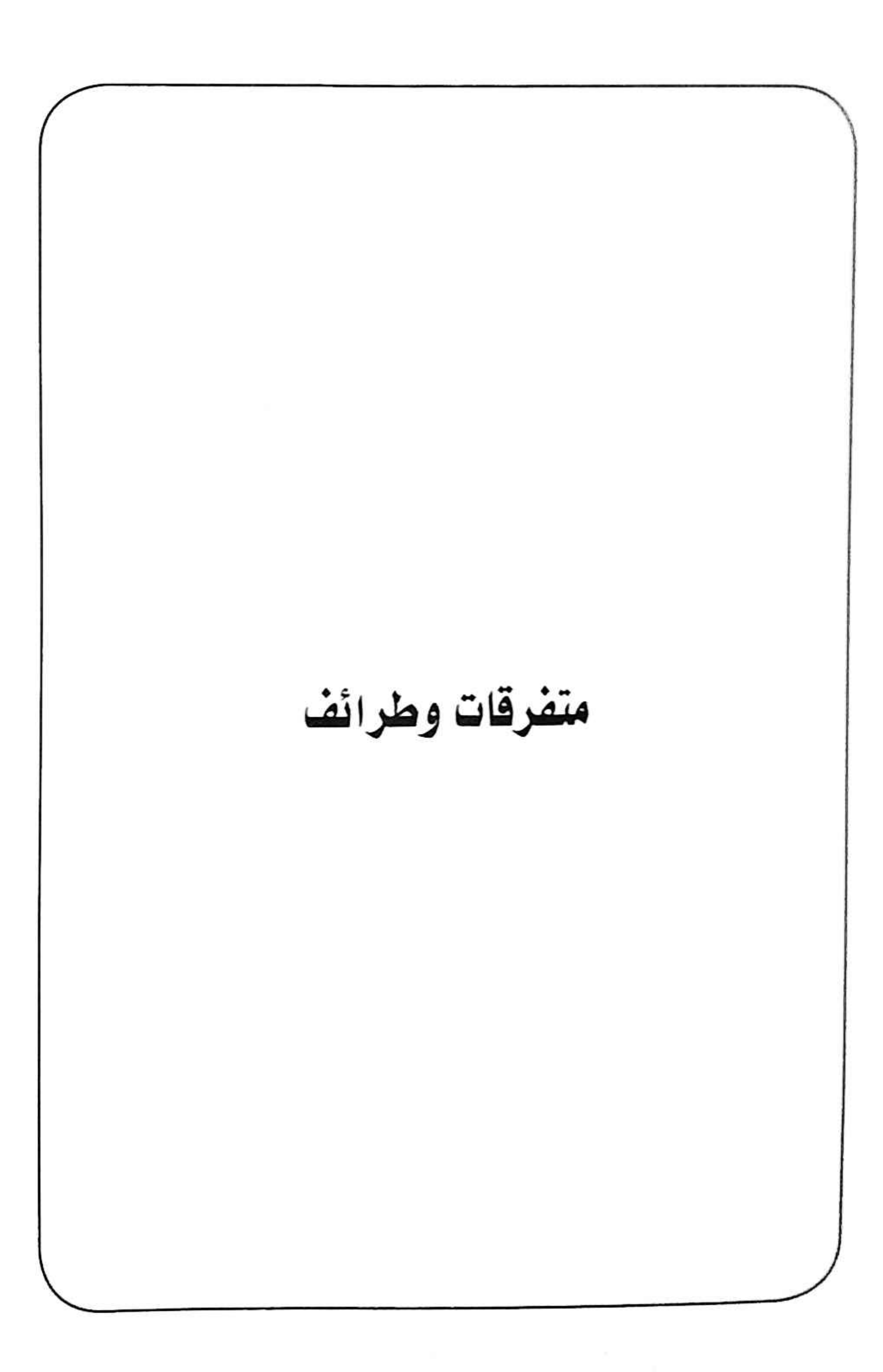
فطرِب لها الشيخ وقال لي في الحال: خذ هذه الفائدة: في طبعة «مسند أحمد- الميمنية» تجد إشارة في أثناء الكلام مثل قلامة الظفر أو رقم (٧) فهذا رَمْز إلى أن في هذا الموضع بياض في النسخة الخطية.

الثاني: ذكرت له مرةً فائدة عن مؤلّف كتاب «منتخبات التواريخ لدمشق» محمد أديب الحِصْني (ت١٢٥٢هـ) وأن نسَبَه يعود لتقيّ الدين الحِصني الشافعي الفقيه المعروف (ت٨٤٢هـ)، وأن التقي الحِصني هذا (الحِصْني نسبةً إلى حصن كيفا) قد انقطع نسلُه، وبقي نسل إخوته، لكنهم نُسِبوا إليه لشهرته.

فذكر لي مباشرة مقابل تلك الفائدة: أنه قد بقي من آل قدامة خلَفٌ باقٍ إلى اليوم، وذكر لي اسمه[1]، وأن بعض آل تيمية باقون إلى اليوم وإن كانوا لا ينسبون إلى هذه النسبة. وذكر أن العلامة حمد الجاسر هو من أخبره بذلك.

***

(١) ثم رأيت خبره وصورته في مجلة العرب للجاسر، وأنه أحد أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق.



متفرقات وطرائف

› مكث شيخنا رحمه الله اثنتي عشرة سنة ونصفًا قاضيًا، ومثلها وكيلًا لوزارة العدل؛ سمعت هذا التحديد منه. وأظنه مكث مثل ذلك في اللجنة الدائمة للإفتاء. وهذا من لطيف الاتفاق!

› كان شيخنا في أوائل الطلب ـ ربما إلى الخامسة والعشرين ـ يُتبع اسمه بلقب (الأثري) رأيت ذلك بخطه في خاتمة رسالة لشيخه الأمين الشنقيطي نَسَخَها شيخنا بخطه، ورأيته كذلك في مقال له قديم سنة ١٣٨٨ (سيأتيك خبره)، ثم عدل عن ذلك واكتفى في عنوانات كتبه بـ(بكر ن عبدالله أبو زيد).

والتلقّب بـ (الأثريّ) قديم معروف، قال الحافظ العراقي في فاتحة ألفيته:

يقول راجي ربه المقتدر عبدالرحيم بن الحسين الأثري

ومن آخر من تلقّب به من الأعلام (ثم تركه) الشيخ الإمام عبدالعزيز ابن باز، رأيته كذلك في بعض كتبه القديمة، فلعل الشيخ بكرًا اقتفى صنيع هؤلاء الأئمة، ومِن آخرهم شيخه الأثير إلى نفسه، ورأيت الشيخ أيضًا في ترجمته[1] للشيخ الدكتور عمر المِتْرك وصفه بـ(الحنبلي الأثري).

› كتب شيخنا مقالًا في مجلة الحج سنة ١٣٨٨ وعمره ٢٣ سنة اطلعت عليه مصادفة وأنا أجرد بعض أعداد المجلة، وذَكَرتُه له فبالكاد تذكَّره، وعَجِب من وقوفي عليه. موضوع هذا المقال عن تعظيم الآثار والمبالغة في العناية بها، وأنه قد يقود إلى اتخاذ هذه الأماكن مزارات وأماكن للبدع ونحو ذلك.

› من الطرائف: أني طلبت مرة أنا و د. الثمالي من شيخنا أن نقرأ عليه كتاب (المذكّرة في الأصول) للأمين للشنقيطي، فأحضرنا الكتاب، فلما أخذنا أماكننا استعدادًا للقراءة تناوله وأخذ هو يقرأ علينا!!

---

(١) مقدمة كتاب الربا والمعاملات المصرفية ص: هـ.

- كان شيخنا برّد الله مضجعه إذا ذكرتُ له شدّة أسلوب بعض الناقدين لمشاريعنا أو لكتبه يقول: «اجنِ الثمار وألقِ الحطبة في النار». وكم انتفعت بهذه النصيحة الغالية، فصاحب المشروع الكبير لو التفت إلى أذيّة الصغار والمشاغبين وقُطّاع الطريق لتعثر وانقطع.
- ذكر لي أحد الأفاضل أنه حضر عند الشيخ يومًا في مكتبه، فجاءه أحدهم بمجموعة من الفتاوى يريد طبعها، ويطلب إذن الشيخ بطباعتها، فطلب منه الشيخ أن يقرأ صفحة منها، فلم يحسن قرأتها، فصرفه الشيخ وحثّه على طلب العلم قبل الاشتغال بالجمع أو التأليف.
- قال الشيخ في «معجم المناهي اللفظية»: «ومن لطيف ما يورَد أنني لما بُليت بشيء من أمر القضاء في المدينة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، وذلك من عام ١٣٨٨هـ، حتى عام ١٤٠٠هـ ما كنت أرضى أن يدوّن في الضبوط ولا في السجلات أي علَم إلا مثبتًا فيه لفظة (ابن) فواقفني واحد من الخصوم، فقلت له: انسِبْ لي النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: هو محمد بن عبد الله. فقلت له: لماذا لم تقل محمد عبد الله؟! وهل سمعت في الدنيا من يقول ذلك؟ والسعادة لمن اقتدى به، وقَفَى أثره صلى الله عليه وسلم. فشكَرَ لي ذلك».
- قال الشيخ: «لطيفة: ومن لطيف الاستطراد في ذلك أن أحد الشعراء من السودانيين النزلاء المقيمين في جدة أنشد قصيدة له أعدها لحفل سيقام، وبينما هو يتغنى بها ليثقف أوزانها ويهذب ألفاظها، وإذا بأحد المجاورين له يسمعه ويكتب على حين غفلة منه حتى استوعبها كتابةً فسجل اسمه في الحفل وسعى حتى قدمت قصيدته في البرنامج فلما ألقاها أصيب أخونا السوداني بالذهول فاعتذر عن إلقائها»[1].
- قال د. يوسف الحوشان: أثنيت عند الشيخ بكر على شيخ معمّم

(١) فقه النوازل ٢/ ١٣١.

يدرسنا الحديث في الكلية (بجامعة الإمام) من أهل الشام فصيح متحدّث يجيب عن الأحاديث على الخاطر، فحذرني منه وقال: ارصد ما يقول واكتبه وراجعه ثم ترى، فكان مثل ما قال أكثر إجاباته غير صحيحة خاصة في العزو الى الصحيحين والسنن، ثم أخبرت الشيخ فقال: بلغني أنه يرقص (يعني صوفي جلد)، فما هي إلا شهور وأبعِد هذا الشيخ عن الكلية لما بان معتقده، وقد ذكر القصةَ الشيخُ في كتابه التعالم(١).

- وذكر لي الأخ جميل المعطاني أنه لقي الشيخ لأول مرة عند اللواء علي زين العابدين (ت ١٤٢٨)، وذَكَر اللواء أن جميلًا خبير بالكتب، فسأله الشيخ في الحال: أنا أبحث عن كتاب «مختصر تاريخ الأنبياء» للخياري، قال جميل: فصادف أن الكتاب عندي منه خبر وعندي منه نسخة زائدة، فأعطيت الشيخ النسخة، وكانت واسطة الصِّلة بيننا.
- وبخصوص تلقيب الكوثري للإمام ابن القيّم بابن زفيل قال الشيخ: «ولقد تصفحتُ الكثير من كتب التراجم والمعاجم، فلم أر هذا النبز لابن القيم ولا لغيره من أهل العلم، وقد سألت كثيرًا من علماء الأمصار عن هذا النبز المذكور فلم أر من يعيرني عليه جوابًا، وفي حج عام ١٣٩٧هـ اجتمعت بالشيخ عبد الله بن الصديق الغماري صاحب طنجة، فسألته عن ذلك فأفاد بأنه لما خرج هذا الكتاب بهذا الاسم، صار استغرابه من عامة أهل العلم بمصر، وقال: فكنت ذات يوم في مكتبة الشيخ حسام الدين القدسي بمصر أنا وأخي أبو الفيض أحمد الغماري، فجاء إلينا الكوثري فسأله أخي أحمد عن ذلك؟ فقال الكوثري: إن زفيلًا اسم لجد ابن القيم من قِبَلِ أمه والمراد منه نبزه بذلك، على عادة العرب حينما يريدون التحقير لشخص ينسبونه إلى

(١) ص: ٧٤، ضمن المجموعة العلمية.

جده لأمه، ومن ذلك: قول المشركين في حق النبي صلى الله عليه وسلم: لقد أَمِر أَمْر ابن أبي كبشة. وأبو كبشة كنية جد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أمه. فسأله الشيخ أحمد: أين وجدت أن ذلك اسم لجد ابن القيم لأمه؟ فلم يجب بإيجاب.

وهذا من السباب. وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ))**

ولا يضر بذلك الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، فالكوثري خصم ملد ليس لابن القيم فحسب، بل لكل من ليس حنفيًا، ومن أراد كشف ذلك فلينظر كتاب «التنكيل» للمعلمي»[1].

- ذكر الشيخ[2] أنه بعد وصول نسخة (من رسالة تغريب الألقاب العلمية) في طبعتها الأولى إلى رصيفنا الشيخ أحمد ابن الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد بعث إليَّ برسالة في ١٥/ ٤/ ١٤٠٣هـ مطولة مشفوعة بهذين البيتين مِن قوله:

استبدلوا لفظ الفقيه بغيره ... ومن الغريب مُحَدِّثون دكاتره
والله لو علِم الجدود بفعلنا ... لتناقلوها في المجالس نادره

***

(١) ابن القيم حياته آثاره موارده ص: ٣١-٣٢.
(٢) تغريب الألقاب العلمية ص ٣٣٢، ضمن المجموعة العلمية.

صِلاتُه وحوارُاتُه

تعودت تصريحي بكل حقيقة   وللمرء من دنياه ما يتعودُ
إذا رُمْتُ نصحًا جئتُ بالنصحِ واضحًا   وما كان من شأني الكلام المعقدُ

ليس المقصود من هذا العنوان هو المحاكمة بين الشيخ وبين من وقع بينه وبينهم حوار أو نقاش أو ردود، وإنما قيّدتها بقلم المؤرّخ الذي يصف ويشـرح وجه القضية التي وقع فيها التداول ويوثّق، لا بقلم القاضي الذي يصدر الأحكام ويحقق. ولم يكن المقصود أيضًا استقصاء ما وقع ممن سمّيتُ هنا أو لعموم من ناقشَ الشيخ أو حاوره، لكني ذكرت ما حضرني أثناء أكتوبتي هذه، وذكرت من حصل بينه وبين الشيخ تداول ونقاش في كتب ورسائل مطبوعة، توثيقًا لها ووضعًا لما جرى في سياقه، وكيف تعامل كل طرف بما اتضح لنا من ردود الأفعال ونتاج الأقلام.

وتطرّقت أيضًا لعلاقة الشيخ ببعض الأعلام ممن له معهم مواقف جميلة أو اشتراك علمي.

محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠):

لعل أول حوار وقع بينهما في مسألة العجن وهو الاعتماد على اليدين عند النهوض والقيام، فالشيخ الألباني يصحح الحديث في كتابه صفة صلاة النبي ﷺ وغيره، فخالفه الشيخ فكتب جزءًا في تضعيف الحديث، ونُشِرَ مفردًا.

ثم رد عليه الألباني في (تمام المنة)[1]، واشتدّ في طريقة النقد وأسلوبه، مما حدا بالشيخ بكر أن ينوّه بهذا الأمر في كتابه (التحديث)[2] متعقبًا على تعقيبه في تمام المنه في طريقة النقاش والحوار فقال: «ثم رد عليه في تمام المنة ردًا بدت فيه حدّة ظاهرة، مخالفًا ما عليه أهل العلم من ضبط النفس في الردود. وطريقته هذه هنا ليست على وفق منهج السلف ومسلكهم في تداول مسائل العلم، فانظر إلى ابن قدامة في المغني إذا ذكر الخلاف العالي هل يأتي بجارحٍ من القول، أو أنه العلم والعمل والأدب، فلا نحب للعلامة الألباني خلافَ ذلك».

---

(١) ص: ١٩٧ وما بعدها.

(٢) ص: ٥٧-٥٨.

وقد بقي الشيخ على عهده في احترام أهل العلم فإن الخلاف لا يعني الخصومة، فضرب مثالا عمليًّا حين أثنى على الألباني بما يستحق حين غمطَه الصابونيُّ في بعض كتبه قال شيخنا: «وهذا عين التجاهل، وغمط الناس أشياءهم بغير حق. وارتسامُ علمية الألباني في نفوس أهل العلم، ونصرته للسنة وعقيدة السلف أمرٌ لا ينازع فيه إلا عدوٌّ جاهل..»[1].

وأيضا كان للشيخ اهتمام قديم بفقه الألباني واختياراته، وأنه كان يهم بجمع كتاب مختصر فيه المسألة ودليلها . ثم أخبرني أن له كتاب في التعقب على الشيخ سمّاه الإيراد على الألباني في المتن والإسناد.

وكذا أهل العلم يختلفون لكنهم إخوة يعرف بعضُهم لبعض أقدارهم ومقاماتهم ويبقى الوداد والمحبة، فلا يزال الشيخ يستفيد من كتب الألباني ويعزو إليه ويشيد به ويلقّبه بالعلامة، وبينهما مراسلات علمية..

وكذلك العلامة الألباني فقد ذكره في (السلسلة الصحيحة)[2] وقال عنه: فضيلة الشيخ، ووصفه بأنه من أهل الإنصاف، ونقل عنه نقلًا جميلًا في طريقة أهل العلم في التعامل مع ما يختلف من أقوال العلماء من كتابه مرويات دعاء ختم القرآن.

محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢٠):

شرح الشيخ العلامة محمد العثيمين كتاب (حلية طالب العلم) في دروس لعله عام ١٤١٢، ثم فرّغت وطبع في مجلد عن مؤسسة ابن عثيمين وغيرها، وكان الشيخ أخبرني قديمًا بذلك محتفيا به.

وقد وقع بين الشيخين نقاش في مسائل علمية ودارت بينهما رسائل وردود، بعضها موجود في فتاوى الشيخ العثيمين، مثل نقاشهما في مسألة رفع السبابة بين السجدتين.

---

(١) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير ص: ٣٤٣-٣٤٤، ضمن الردود.

(٢) ٦/ ٥، وذكره أيضًا في ٦/ ٨٨٠٩ واستفاد من تصحيحه للفظة في الحديث وقعت مصحّفة، وكذلك في السلسلة الضعيفة ١٣/ ٩١٧ ذكره وأشاد به.

وقد أثنى ابن عثيمين على أسلوب الشيخ وأن قارئ كتابه يحتاج لمراجعة القاموس المحيط، وأنه لا يبدو عليه التكلف في هذا.

وقد قال الشيخ بكر في (المدخل المفصل) [1] كلمةً ربما أَحْفظَت بعض طلاب الشيخ العثيمين قال: «وهذا الشرح ما خطّه قلم مؤلفه، وليس من إملائه، ولكنه بلفظه من شرحه للزاد من دروسه، فيسجّله طلابه ثم يفرّغونه كتابةً ثم يطبع، وهذا نمَط من التأليف جديد».

وليس في ذلك ما يُحْفِظ إن شاء الله، بل هو وصف لطبيعة التأليف ونمطه، وهذا ما يشرحه القائمون على طبع كتب الشيخ في مؤسسة ابن عثيمين في كل مفتتح كتاب يطبع على هذه الشاكلة، وقد نفع الله بها وسارت مسير الشمس، والحمد لله رب العالمين.

عبد الله البسام (ت ١٤٢٨):

انتقد الشيخ صنيعه في كتاب (علماء نجد خلال ثمانية قرون)، وأنه أخذ من ابن عيسى معظم تراجم الكتاب ، قال حين ذكر تاريخ ابن عيسى: «مخطوط في مجلدين. وهو عمدة ابن بسام في كتابه: «علماء نجد» وقد أشار إلى ذلك إشارة خاطفة في مقدمته. ولو ساق تراجمه بكاملها ثم زاد ما لديه- إن كان- لكان أولى، ولو طبع تاريخ ابن عيسى لكان أتم، ولكن لله الأمر والإنصاف عزيز»[2].

وقد ردّ هذا النقد الشيخ عبد الله البسام في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه وعقَد فصلًا سمّاه (وهم الشيخ بكر)[3] وأجاب عن كلامه بثلاثة أجوبة، خلاصتها: أنه لا يعلم بهذا الكتاب الذي ذكره الشيخ بكر، وأن مَن هم أعلم من الشيخ بكر لم يذكروا هذا الأثر لابن عيسى، وأن هناك تراجم كثيرة في الكتاب لا علاقة لابن عيسى بها.

---

(١) ص: ٥٧-٥٨.

(٢) المدخل المفصل ١/ ٤٤٢-٤٤٣.

(٣) علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/ ٧٥-٧٩.

وكتب غيرُهما في هذه القضيّة على صفحات الجرائد والمنتديات في ذلك الوقت بين مؤيد للتهمة ومعارض، ولن يحسم الجدل إلا خروج تاريخ ابن عيسى وكنانيشه التاريخية ومذكراتها ومقارنتها بكتاب ابن بسام، والله أعلم.

ربيع المدخلي:

أول ما وقع من الخلاف حول كتاب (أضواء إسلامية على عقيدة سيّد قطب وفكره) للشيخ ربيع سنة ١٤١٤، حيث أرسل مسوّدته للشيخ بكر للنظر فيه وإبداء رأيه هل يطبعه أو يتركه طيّ النسيان؟ فأرسل له الشيخ بكر أربع ورقات وفيها رأيه في هذا الكتاب، وأنه يرى عدم طبعه، وذكر فيه مجموعة ملاحظات.

ولما طبع الكتاب أخذت هذه الورقات بالانتشار بأيدي الناس، ثمّ سعى بعضهم في طبعها باسم الخطاب الذهبي، ولم يكن لدى الشيخ علم بذلك، ولا سعى إليه ولا حريصا عليه، لأن رأيه قد وصل للمؤلف، وهو وشأنه في الأخذ به أولا..

وفي السنة نفسها ردّ الشيخ ربيع بكتاب سماه (الحد الفاصل بين الحق والباطل) تطرّق فيه لتلك الورقات وأجاب عما ورد فيها.

وفي العام نفسه نشـر الشيخ بكر كتابه (تصنيف الناس بين الظن واليقين) وهو وإن لم يسمّ فيها أحدًا بعينه لأن مقصوده علاج الظاهرة التي أطلّت برأسها على المجتمع وعلمائه ودعاته، لا الشخوص والأفراد= إلا أن المقصودين لم يكونوا ليخفون على المتابعين للساحة العلمية والفكرية آن ذاك.

عبد الرحمن العثيمين (ت ١٤٣٤):

اشتركا معًا في تحقيق كتاب (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة)[1]، قال الشيخ في مقدمة تحقيق الكتاب: «حينئذ تولى فضيلة الشيخ عبدالرحمن

---

(١) طبع عن مؤسسة الرسالة في ثلاثة مجلدات، وحقق الكتاب بطلب من الإمام عبدالعزيز بن باز من الشيخين.

تحقيق الكتاب وتخريج تراجمه وتدارك الفوت على مؤلفه، بحواش ممتعة حسان مشبعة بالعلم والتحقيق، جامعة لعزيز الفوائد والتدقيق في التراجم، ولم شتات البيوتات الحنبلية بما لا يقوى عليه إلا هو، ولا أقول مثله؛ لأنه في زماننا متفرد بخدمة تراجم علماء المذهب عن تحقيق وتدقيق وبصيرة نافذة في تحرير التعاليق، أجزل الله مثوبته وجعله في ميزان حسناته»[١].

ووصفه بـ: صديقنا وشريكنا في تحقيق (السحب الوابلة)[٢].

عبد القادر الأرناؤوط (ت ١٤٢٨):

من عجيب المواقف الكريمة بين العلماء: ما حكاه غير واحدٍ عن الشيخ عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله أنهم سمعوا الشيخ يتحدّث عن منزله الذي انتقل إليه قبل وفاته بسنوات وكان منزلا فسيحا أنيقا من أجمل البيوت وأوسعها، فتكلم الشيخ عبد القادر رحمه الله عن كيفية حصوله على هذا المنزل الفخم، فذكر أن الشيخ بكرا أبو زيد زاره مرة في منزله القديم في الميدان القديم، وهو حي معروف ببيوته القديمة المتآكلة، وحان وقتها صلاة المغرب فذكر الشيخ عبد القادر للشيخ بكر أبو زيد أن لديه درسًا بعد صلاة المغرب، وكان الشيخ يشرح صحيح البخاري، فعرض عليه أن يصطحبه لحضور الدرس، وفي الطريق ذكر الشيخ بكر للشيخ عبد القادر أنه يرغب بشراء منزل فسيح في منطقة جيدة، فوكّل الشيخ عبد القادر شخصًا للبحث عن بيت مناسب يليق بمقام الشيخ بكر، و تم الحصول على منزل فخم في منطقة الميدان الجديد، واشتري البيت بمبلغ أربعة ملايين ليرة سوري أي ما يعادل ٣٥٠ ألف ريال سعودي، ثم قدّم الشيخ بكر أبو زيد هذا المنزل هدية للشيخ عبد القادر وقال له: ما يليق بك يا شيخ أن تسكن في ذلك البيت الضيق، وبعد إلحاح وإصرار قبل الشيخ عبد القادر هذا المنزل الذي انتقل إليه بعد ذلك .

---

(١) مقدمة السحب الوابلة ١/ ٩.

(٢) المدخل المفصل ١/ ٤٢٦.

وكان الشيخ عبد القادر رحمه الله يتحدث بهذا الموقف الكريم من الشيخ بكر كثيرًا أمام الخاصة والعامة.

د. صلاح الصاوي:

ناقش كتاب (حكم الانتماء للأحزاب والجماعات الإسلامية) في كتاب سماه (مدى شرعية الانتماء للأحزاب والجماعات الإسلامية). وكان منصفًا في بحثه وحواره بغض النظر عن النتيجة التي اختلف مع الشيخ فيها، وكنت قد ذكرتُ للشيخ هذا الكتاب لحينه، ولم يظهر لي هل اطلع عليه قبل ذلك أو بعده أولم يطلع!

عاتق بن غيث البلادي:

تعقّب في كتابه (الميضاح ص ٢٩٥-٢٩٩) الشيخَ بكرًا بأنه فاته في طبقات النسابين (الطبعة الأولى) عددٌ من المعاصرين ممن هم على شرطه، وقد طبعت كتبهم قبل صدور كتابه سنة ١٤٠٧. وذكر منهم عشرين مؤلفًا وهو أحدهم..

وهذا الاستدراك لا إشكال فيه لولا تطرّقه لمسألة الهوى وأنه أهملهم عن عمْد، وهذا تظنّن منه بلا برهان رحم الله الجميع.

وقد ذكر الشيخ في الطبعة الثانية (المنقحة والمزيدة) الأستاذَ البلاديَّ ص٣٤٢. وذكر له كتابين مما ألفه في الأنساب. رحم الله الجميع بمنه وكرمه.

عبدالله الغماري (ت ١٤١٣):

ذكره الشيخ في كتابه (ابن القيم)[1] وأنه اجتمع به في حج سنة ١٣٩٧ وسأله بعض الأسئلة، وقال عنه: «عالم مشتغل بالحديث، ومؤلف مكثر له ما يزيد عن أربعين كتابًا جلها رسائل. له رسالة في جواز بناء القباب والمساجد على المقابر. مفوض في باب الأسماء والصفات.

وقد أجازني بكافة مقروآته ومسموعاته. وحرر لي الإجازة بالأثبات التي

(١) ص: ٣٢.

يرويها. ترجم لنفسه في خاتمة كتابه «بدع التفاسير» الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ بدار الطباعة المحمدية بمصر، وفيها ص١٨٠ كشف عوار صاحبه الكوثري كما توجبه الأمانة العلمية».

وذكر الشيخ أن الغماري لقّب الشيخ أبا غدة في مجلس مشهود بـ (محضّر النصوص)[1].

وذكر عبد الله الغماري[2] أنه التقى بالشيخ بكر عام ١٣٩٦ في المدينة المنورة وكان (قاضيًا ورئيس الحرم النبوي، وكان كريم الخلق، وأنه ذهب به إلى بيته وأراه ركنًا في مؤلفاته ومؤلفات أخيه أحمد) وأن الشيخ بكرًا زيادة في الإكرام لما ذهب إلى مكة اتصل بالقاضي محمد الرفاعي لاستقباله فبقي عنده شهرًا كاملًا..

ثم كتب عبد الله بن الصديق رسالة صغيرة سماها (بيني وبين الشيخ بكر) أنكر فيما أنه لقّب أبا غدة بـ(محضّر نصوص) وأشياء أخرى.

عبدالفتاح أبو غدة (ت ١٤١٧):

وهو أكثر من تعرّض له شيخنا بالنقد والتعقّب، في أربعة كتب خاصّة، كتابان في رد وتفنيد كتابين (العلماء العزاب، عقيدة ابن أبي زيد)، وكتابان تبعًا لمشرب من وافقهم أبو غدة (براءة أهل السنة، تحريف النصوص). وربما اشتدّ الشيخ في النقد في مواضع اقتضاها الأمر، وله في ذلك تخريج ذكره في (الرد على المخالف)[3].

الرسالة الأولى (العلماء العزاب): جمع فيها مَن قيل في ترجمته: إنه لم يتزوج، أو أنه عَزَب، أو ما يفيد ذلك، مع ذكر سبب ذلك إن وُجد. وقدّم قبل ذلك بعض الفوائد المتعلقة بالموضوع، وكان من غرضه أيضًا الرد على الشيخ عبدالفتاح أبي غدة في رسالته (العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج)

(١) في براءة أهل السنة ص: ٢٧٦، ضمن الردود.
(٢) في كتابه سبيل التوفيق في ترجمة عبدالله بن الصديق ص: ١٢٨-١٢٩.
(٣) ص ٦٩، ضمن الردود.

فناقشه في هذا التسبيب وأنه غير صحيح، وذكر فيه الحث على الزواج، وأنه هو السنة، وأن تركه ليس محمدة في الإسلام، وأن أعذار مَن تركوا الزواج متعددة منها ما هو منصوص في تراجمهم وغالبها غير مسببّة، فتسبيبها افتئات عليهم.

الرسالة الثانية: (عقيدة ابن أبي زيد القيرواني وعبث بعض المعاصرين بها). ويدور النقد على تعليقات لأبي غدة تخرج الكتاب عن سمته السلفي، وعن تحريفات في نصه لا تتماشى والأمانة العلمية.

الرسالة الثالثة (براءة أهل السنة): وفيها تركيز الكلام على الشيخ محمد زاهد الكوثري وتجنيه على علماء السلف وأهل السنة وإقذاعه في وصفه والتحطط عليهم، وتضمن ذكر أبي غدة بالتّبَع باعتباره مشيدا بالكوثري ومبالغًا في تعظيمه وناشرًا لأفكاره ومقالاته رغم عداوته السافرة للسلف وعلماء السنة.

الرسالة الرابعة (تحريف النصوص): وفيها مُثُل كثيرة لتحريفات في كتب السنة وغيرها، كان للشيخ أبي غدة ذِكْر في مواضع منها.

محمد بن علي الصابوني:

كتب نحو ثلاثين عالمًا وباحثًا مناقشات وردودًا على الشيخ محمد بن علي الصابوني تتعلق بمختصراته في التفسير ومؤلفاته فيه، وكان شيخنا ممن كتب في ذلك رسالة مستقلة سمّاها (التحذير من مختصرات محمد على الصابوني في التفسير) فنبّه إلى تصرفه في أمرين بما ينافي الأمانة العلمية:

الأول: اختصاره لتفسيري ابن جرير وابن كثير وتغييره لمنهجهما السلفي، بما هما بريئان منه.

الثاني: تسمية كتاب بـ(صفوة التفاسير) فيه تغرير بالقراء، إذا جمع فيه بين تفاسير السلف وتفاسير المعتزلة والأشاعرة والرافضة بما لا يتميّز به أحدها عن الآخر.. ودار الكلام على أمور: إخلاله بالأمانة العلمية، ومسّه العقيدة بما

ينابذها، وأمثلة لضعفه في السنة!

ثم كتب الشيخ الصابوني كتابًا سماه (كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات) والتنبيهات رسالة للشيخ محمد جميل زينو يتعقب فيها الصابوني. وقد تعرّض في رسالته هذه لرد الشيخ بكر، فردّ الشيخ عليه بأكتوبة وسمها بـ (مع الكاتب في جولته الأخيرة) وألحقها بكتاب التحذير في نحو أربعين صفحة.

***

تآليفه وكتبه

قال الربيع:

(لم أر الشافعي آكلًا بنهار، ولا نائمًا بليل؛ لاشتغاله بالتصنيف)

«أما الاشتغال بالتأليف النافع لمن قامت أهليته، واستكمل أدواته، وتعددت معارفه، وتمرس به بحثًا، ومراجعة، ومطالعة، وجردًا لمطوّلاته، وحفظًا لمختصراته، واستذكارًا لمسائله= فهو من أفضل ما يقوم به النبلاء من الفضلاء»[1].

ينبغي أن يكون الحديث عن مؤلفات الشيخ طويل الذيل، باعتبارها من أهم ما تميّز به، وباعتبارها ثمرة جهوده العلمية، ونتاج حياته التي وقفها للعلم والتأليف والجمع والتحرير، ولا أظنني سأستوفي الكلام في ذلك، ولا بعضًا منه، لكني سأتخذ خطة وسطًا، فأذكر جميع كتبه ورسائله لا أغادر منها شيئًا، ذاكرًا عدد صفحاتها، ورقم الطبعة وتاريخها، والدار الناشرة، ملمعًا بنبذة مختصرة عن كل كتاب ورسالة تفي بالتعريف بها، وبسبب التأليف إن وجد، وما حصل حول الكتاب من ثناء أو نقد، أو نظم أو اختصار أو شرح، وقد أورد من مقدمة مؤلفها ما يصلح أن يكون كاشفًا ومعرّفًا بها، ومن أخبر بالكتاب أكثر من مؤلفه؟!

وفي الوقت نفسه كنت أروم أن لا أعيد على الناس ما يعرفونه عنها، لكن أردت أن يكون كتابي هذا جامعًا لذكر كتبه وتصانيفه، تمهيدًا لمبتغي المعرفة من الدراسين ومن بعدهم ممن يلحق بهم من خلفهم، وقبله سأذكر أمورًا منجّمة تعطي تصورًا عنها، وعن ميزاتها وخصائصها ونهج الشيخ فيها ولطائف أخرى في نقاط.

مميزات كتبه:

تميزت كتب شيخنا بميزات كثيرة، نشير إلى جوانب منها:

١ . التأني في التأليف وعدم العجلة في النشر.

كتب الشيخ العديد من البحوث والمؤلفات منذ عام ١٣٨٥هـ، إلا أنه لم يدفع بشيء منها للطبع إلا بعد ذلك بأعوام كثيرة تزيد على الخمس عشرة

---

(١) الحلية ص ١٩٩، ضمن المجموعة العلمية.

سنة، وبعد إنهائه لجميع المراحل الدراسية حتى العالمية العالية (الدكتوراه)، ثم من بعد عَرْضه والمذاكرة به على من يثق بهم.

فقد أنجز رسالته «زيارة النساء للقبور» عام ١٣٨٥هـ وعمره عشرون عامًا، إلا أنه لم يقدّمها للطبع إلا بعد عشرين عامًا من تأليفها.

وكَتَب «التقنين والإلزام» عام ١٣٩٢هـ إلا أنه لم ينشره إلا بعد ذلك بعشرة أعوام سنة ١٤٠٢هـ[١].

ولم يكن ذلك اتفاقًا بل منهجًا ينتهجه وأسلوبًا يحتذيه، وها هو الشيخ يهتبل الإشارة إلى طرفٍ من ذلك، فيوجّه نصيحةً غاليةً إلى كل طالب علم: «أن لا يسارع إلى التأليف والنشر وهو في مراحل الطلب، وإن كتبَ فلا يدفعه إلى الطبع والنشر إلا بعد إتمام المراحل النظامية، ويأنس مِن نفسه التأهّل والرشد لنشر ما كتب، مع إعادة النظر فيه بعد تركه غُفلًا، والإلحاح في سؤال الله تعالى الخِيَرة فيما يأتي ويَذَر، وإعمال المشورة، والعَرْض لما كتبه على من يثق بدينه وعلمه ويأنس برأيه، فإنه لن يعدَم خيرًا»[٢].

وكثير من كتب الشيخ تعتمد الاستقراء منهجًا في الجمع والتحرير، فهي لا تتأتّى إلا بطول الزمان وتفتيش المطولات، فليس للعجلة مدخَل، وإنما الاجتهاد والصبر وطول النفَس.

وقد حذّر الشيخ في «حلية طالب العلم»[٣] من الاشتغال بالتصنيف قبل استكمال أدواته واكتمال الأهلية، وعدّ البِدار إلى التأليف قبل التأهّل مِن سماجات المتعالمين[٤].

٢. أسلوبه المتميّز ولغته العالية.

للشيخ أسلوب متميّز لم يقلّد فيه أحدًا، وله عبارات وتراكيب مبتكرة لم

(١) انظر مقدمة جزء زيارة النساء ص٥.
(٢) جزء زيارة النساء ص: ٦-٧.
(٣) ص ١٩٩، ضمن المجموعة العلمية.
(٤) التعالم ص ٥٨، ضمن المجموعة العلمية.

يُسبق إلى بعضها، وقد يستعمل عبارات قد تبدو متكلَّفَة لأنها من وحشيّ الكلام، ولم يكن الشيخ بحمد الله يتعمّد التكلّف ولا استخراج هذه العبارات من المعجمات للإغراب والإلغاز لكنها تجري على قلمه دون تكلف!

قال الشيخ في بيان جملة من آداب صياغة الكتب والمؤلفات: «التزام لسان العرب في الصياغة من غير إغراب ولا تعقيد؛ فإن الألفاظ قوالبٌ للمعاني، وهي رسل لها، فغيرُ مقبول من مدافع عن الشريعة ونصوصها بلسان عربي مبين، أن يدافع عنها بالمولّد والدخيل، ولغة الجرائد بأساليبها المولَّدة الوافدة، والمصطلحات الأجنبية التي لا عهد لكتب الشريعة بها، بَلْهَ الكتاب والسنة، وإذا فات جمال العرض آلت إلى مرض محض»[1].

وقد مر معنا أن الشيخ عبدالعزيز بن باز كان يتعجّب من أسلوب الشيخ، وقال الشيخ ابن عثيمين في «شرح حلية طالب العلم»[2]: «ثم إن كلامه في غالب كتبه يدل على تضلّعه في اللغة العربية، ولهذا يأتي أحيانًا بألفاظ تحتاج إلى مراجعة قواميس اللغة، والذي يظهر أنه لا يتكلف ذلك ...».

وهذا (أعني التميز وابتكار الأسلوب) يلحظه كلُّ من قرأ له، من حين تبدأ بالكتاب إلى أن تصل إلى منتهاه، وأنتَ في طريقة مبتكره من الأسلوب، في ألفاظ جزلة وتراكيب غير مألوفة، نعم، ليس أسلوبًا أدبيًا منمّقًا على نمط بلاغة المتأخرين التي تطغى فيها الصنعة، ويقل فيها الماء والرونق، بل براعته غالبًا من تراكيب الجُمَل واستعمال الكلمات التي لم تؤلَف -بلا تكلف- لتعطي جرْسًا في الأذن ووقْعًا في الذوق وقوة في البيان ونشوة تطرب وتعلو باللغة والأسلوب.

قال د. عبدالوهاب الطريري: «كانت كتبه مميزة ليس بالمادة العلمية الرصينة التي فيها ـ وهذه كانت ميزة لها ـ، وأيضًا أسلوب مغاير للأساليب العلمية التي كنا تعودنا عليها، أسلوب أدبي راقي وعبارات جزلة لا ندري من

(١) الرد على المخالف ص ٦٧، ضمن الردود.
(٢) ص ٨.

أين يقدّها، ومع ذلك هو يتداولها بغاية المرونة، فكنت تقرأ الكتاب له حتى لو أن المعلومة لا تعنيك بشكل مباشر حتى تعيش نشوة التلذذ بهذا الأسلوب»[1].

وقد سبق لنا ذِكر من تأثر الشيخُ بأساليبهم في الكتابة من أمثال الخضر حسين والبشير الإبراهيمي وأحمد شاكر، وكتّاب مجلة الرسالة كالزيات وغيره. لكنه لم يحتذ حذو واحدٍ منهم، بل انتفع بهم فارتفع، وسامى فوصَل أو كاد، واختط لنفسه طريقة فامتاز بها وعُرِف.

والمتابع لكتب شيخنا يعلم أنه لم يمتشق القلمَ فكتب عاليًا من لحظته وساعته، لكنه ارتاض في ميادين الكتابة والتحبير، وكسر قلم النقل واستلّ قلم الفكرة والتحرير، وأظن أول رسالة تفتّق فيها أسلوب الشيخ هي (براءة أهل السنة) تلاها (الحلية) و(التعالم).

٣. الاستقصاء في البحث والتتبع.

ومن نظر في معجم المناهي اللفظية، والمدخل المفصل، والنظائر، وفقه النوازل، ورسالة السبحة، وغيرها= علم أن هذه الميزة من أهم ما تميّزت به بحوث الشيخ وكتبه، وأنه لأجل الوقوف على معلومة واحدة ربما يمر على المجلد الكامل فلا يجد فيه بغيته، أو يقف فيه على فائدة فاذّة واحدة!!

٤. جمع النظائر.

وهذا لا يخفى بل جمع الشيخ كتابًا بهذا العنوان أودع فيه أربع رسائل كما سيأتي، وجرى في كتبه الأخرى على هذا السنن المهم المضني.

وللشيخ كلام طويل ـ أوردته في أول هذه الأكتوبة ـ عن جمع النظائر وما هُدي إليه من سلوك هذه الطريقة السهلة الممتنعة، وذِكْر الأفكار التي جمعها، وكثير منها تحوّل لكتاب مطبوع أو فكرة محبّرة لمشروع.

٥. تنوّع المصادر وكثرتها بين القديم والحديث.

وهذا ظاهر جدًّا في كتبه، فإنك قد تظن أحيانًا مما تراه من مراجع تراثية أنه

(١) برنامج (في سماء الذاكرة) على قناة المجد الفضائية، ثم أرسل لي الدكتور نص اللقاء مكتوبًا، ومنه أنقل.

قليل الاطلاع على أبحاث المعاصرين، لكن لا يفتأ هذا الظن بالتبدد حينما ترى إحالاته لكتب العلماء المعاصرين، ومنهم من هو أصغر منه سنًّا سواء في البحوث الأكاديمية أو غيرها.

٦. ذكر المراجع وتوثيق النصوص.

وهذه صفة ظاهرة في جميع كتبه بحمد الله، وهو ما أضفى عليها قدرًا كبيرًا من الوثوقية والاحترام لدى الباحثين. وللشيخ كتابان «أكاديميان» هما رسالتا الماجستير والدكتوراه (أو: العالِمية والعالِمية العالية كما يحب الشيخ أن يسميها)، ومن الطبيعي أن يكون التوثيق فيهما ظاهرًا، لكن كتبه الأخرى لا تختلف عنهما. ولو قارنّا مؤلفات الشيخ بمؤلفات أترابه ولِداته مكانًا وزمانًا لظهر الفرق في جوانب عديدة منها ما نحن فيه الآن.

٧. الابتكار والإبداع في التأليف[(١)].

لم يكن الشيخ فيما حبّرته يراعته من مؤلفات وتصانيف يجري عاى النمط السائد لأترابه من المشتغلين بالعلم والتأليف، أعني لم يكتب على طريقة الشروح والمختصرات والحواشي ونظائرها، بل كتب في أكثر أغراض التأليف المعروفة، وكتب في فنون متعددة، وشارك في التأليف في العلوم من نواحي و أغراض شتّى؛ فكتب في التأصيل لها، وكتب المداخل والممهدات، وكتب في نوازل العلوم والمستجدات، وكتب في السنن والمناهي والمبتدَعات، وفي طرائف العلم ومُلَحه. كما كتب في السير والتراجم، والردود والمناقشات، وكتب على الطريقة المعجمية غير ما كتاب، وكتب في الموارد، وفهارس العلوم وتقريبها، وجملة أشياء لم يُسبق إليها.

وبمطالعة عنوانات كتبه يتبين ذلك بجلاء، كل ذلك في عرض ناصح وتصوير صحيح وأسلوب أخّاذ، وتدقيق وتحقيق، وأخْذٍ بمجامع المباحث ونواصي المساءل.

(١) ينظر الحلية ص ١٩٩، ضمن المجموعة العلمية.

٨. الجمع بين الكتابة في التراث والمستجدات المعاصرة.

فكتب في التراث من جانبين، من جهة نشر التراث والمشاركة في تحقيق طائفة من الكتب المختلفة الأغراض، وفي الدراسات الفقهية والحديثية وما إليها.

ومن جهة المستجدات كتب في فقه النوازل وقضايا المعاملات المعاصرة، والبدع المحدثة، والآداب وما مسّها من شوب تغريب أو انحراف في السلوك جرّاء التأثر بالفكر الغربي.. وما إليه.

٩. تنوّع مؤلفاته على الفنون.

كتب الشيخ فنون متعددة، فجمع وحرّر واحتج واستدل وناقش، فكتب في باب الاعتقاد، وفي التحذير من البدع والمبتدعة، وصنّف في الحديث وعلومه، وفي الفقه كان له في باب التأصيل والتفريع مصنفات عدة، واتّجه إلى فرعٍ منه وهو ما عُرِف بـ«فقه النوازل» فكتب عدة بحوث محررة تنيف على خمسة عشر، وألف في مواجهة التغريب والغزو الفكري، وفي العلم وآدابه وآفاته، وفي فنّ التراجم والسير، وكتب أيضًا ما لا يدخل تحت فن مما سبق.

١٠. معاشته لقضايا عصره ومشاركته في حلها.

وهذا ظاهر في جملة من كتبه وبحوثه، فكتب في (فقه النوازل) رسائل عديدة، وكتب في مدافعة خصوم أهل الإسلام كحراسة الفضيلة، في الدفاع عن الحجاب وردّ عادية منتقديه، وكتب عن خطر (المدارس العالمية) على الناشئة والتعليم، وكتب عن العولمة وخطرها على الدين في رسالة (الإبطال لنظرية الخلط بين الأديان). وغير ذلك.

لطائف وطرائف:

١- اختيار العنوانات الرشيقة المناسبة؛ فللشيخ ذوقٌ خاص في اختيار العنوانات المبتكرة الرشيقة، وكان كثيرًا ما يذكر ملاحظات على عنوانات

الكتب ويقترح عنوانًا أنسب. وأذكر أني لما طبعتُ كتابي (المشوّق إلى القراءة وطلب العلم) أول مرة سنة ١٤٢٠ قال لي: لو سميته (المشوق إلى القراءة والطلب) لكان أرشق! لكنه كان قد طبع فما أحببت تغييره.

٢- أكثر كتابٍ تعِبَ شيخُنا في تأليفه هو (حراسة الفضيلة) لا لصعوبته العلمية أو لحجمه أو موضوعه الشائك، لكنه كان يكتبه والألم يعتصره، وكان ذلك باديًا على نفسيّته، ويشهد بذلك مَن كان قريبًا من الشيخ في تلك المدة غيري. وأذكر أنه حين كتب مقدمة (حراسة الفضيلة) هاتفني وحضرت عنده، فقرأها عليّ كاملة بفصاحة وبيان وصوت جهوري، فما انتهى إلا وقد علته الرحضاء وبدا عليه التعب.

٣- أحْفَلُ كتبه لديه وآثرها عنده: (المدخل المفصّل)، و(معجم المناهي اللفظية)، و(التأصيل) - ذكر في مقدمته أنه مشروع العمر، ولم يكمله -، و(حراسة الفضيلة)، و(التعالم)، و(الحلية).

وهذا استنتاج من عندي وليس خبرًا من الشيخ.

٤- كتاب (الرد على المخالف من أصول الإسلام) كتبه بمناسبة تتابع الردود على الشيخ محمد الغزالي بخصوص رسالته فقه أهل الحديث[1]، فأراد أن يؤصّل لهذه الردود لتكون قضيّةً منهجية مضبوطة المعالم والحدود.

٥- كتاب (حلية طالب العلم) كان جزءًا من كتاب (التعالم) ثم رأى الشيخ إفراده لتعم فائدته، ونعم الرأي كان. وكذلك كتاب (الرقابة على التراث) كان جزءًا من كتاب (تحريف النصوص) من مآخذ أهل الأهواء، ثم رأى إفراده. كما ذكر هو في تيك الكتب.

٦- سُئلتُ كثيرًا عن تلك الورقات المعروفة في الرد على الشيخ ربيع المدخلي والدفاع عن الأستاذ سيد قطب رحمه الله، وهل هي ثابتة للشيخ.

فأقول: هي ثابتة قطعًا، وإن كان الشيخ لم يتعمّد إظهارها وإشهارها فضلًا

(١) أفادني بذلك د. يوسف الحوشان.

عن طباعتها، وأذكر حين طبعت في كتيب بعنوان (الخطاب الذهبي) سألته عنه؟ فلم ينكره، ولم يحرص على نشره. وقال لي: «لم آمر بها ولم تسؤني». وقد وقفت على نسخة من هذه الورقات عند أخي د. عبدالله البطاطي، كان أخذها من عند أحد الوجهاء من جلساء الشيخ المقرّبين منه سنة ١٤١٤هـ في شعبان منها، فالظاهر أن الشيخ كان يعطيها بعض خاصته ممن يسأل أو يستعلم، ثم انتشرت بعد ذلك!

٧- شيخنا من أقلّ الناس احتفالًا بالردود والجدل والمنازعات. ورأيه - وما أحسنه من رأي - أنها تُذهِب العمرَ وتوغر الصدر، ويدخل الشيطانُ منها مداخله[1]، والسعيد مَن سَلِم منه الناس وسَلِم منهم، وأنى..!

لا أقصد بـ(الرد) الردّ على المخالف مطلقًا، فقد ألف شيخنا فيها كتابًا برأسه، وسماه (الرد على المخالف من أصول الإسلام)، ولكن أعني كثرة الجدل بالهوى والتعصب، والرد على الرد، والتعقب على الجواب.. وهكذا في سلسلة من التناكد العلمي والحظوظ النفسية ومغالبة الهوى.. وكلٌّ كاسر مكسورٌ !!

والواقع شاهد، والأمثلة كثيرة، فواغوثاه!

٨- كتاب (حراسة الفضيلة) طُبعت منه ملايين النسخ، إلا أن شيخنا لم يأخذ من أي مكتبة أو جهة فَلْسًا واحدًا، وهذا دأبه في عموم كتبه!

وكنتُ قد اقترحت عليه أن يتقاضى على النسخة من (حراسة الفضيلة) مبلغا زهيدًا (ربع ريال مثلًا) ونجعل هذا المال وقفًا لطباعة الكتب النافعة، سواء من كتبه أو كتب غيرها، لكنه رفض الفكرة في مهدها!

ومع ما حقَقْته كتبُ شيخنا من الشهرة، ومع ما بلغت من التحقيق والإفادة غير أنه قليل الذِّكْر لها في كتبه؛ إشارة أو إحالة ولم أسمعه يبالغ في وصفها أو مدحها.

(١) ينظر الردود ص: ٦٨-٦٩.

لا أزعم أن شيخنا لا يحبّ الثناء على كتبه (وكلنا يحب الثناء)، ولكنه ما كان حريصًا على ذلك، ولا كان يذكره، على كثرة ما كان يأتيه من مراسلات الثناء والمدح، ومن قليل ما أثبتَ في مؤلفاته، وفيه ثناء على كتبه:

- مقدمة الشيخ عبدالعزيز بن باز لرسالة براءة أهل السنة.
- قصيدة للواء علي زين العابدين رحمه الله في مدح كتاب «التعالم».
- رسالة من الدكتور عبدالعظيم الديب رحمه الله في الثناء على رسالته (الرقابة على التراث)[1].
- مقدمة د. الحبيب بن الخوجة لكتاب (المدخل المفصل).

***

(١) سقت نص القصيدة والرسالة في الملاحق آخر الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة

هذا سرد مؤلفاته المطبوعة مع ذكر عدد صفحات كل كتاب وأين نُشِر، وبعض ما أعرفه عنها، وبعض الطرائف حولها أو مناسبة تأليفها، وغير ذلك ونرتبها على موضوعاتها وفنونها:

أولًا: في الاعتقاد وما إليه:

١. الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان.

جزء في ١١١ ص، الطبعة الأولى عام ١٤١٧ عن دار العاصمة.

تصدّى فيه لدعواتٍ آثمة طُبخت في غير بلاد المسلمين ويُراد لها أن تنضج وتستوي في البلاد الإسلامية، وخلاصة هذه الدعاوى: أنه يمكن الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، وأن الإسلام دين يقبل المزاحمة والمراغمة، وأنه يصحح غيره من الأديان، فيكون في مجمع واحد: مسجد وكنيسة ومعبد!= كل ذلك بدعوى الانفتاح والتعايش والعولمة والشوملة، فبين الشيخ فساد هذا القول وبطلانه بالأدلة الواضحة وأقوال أعلام الإسلام وحماته.

٢. عقيدة ابن أبي زيد القيرواني وعَبَث بعضُ المعاصرين بها.

جزء لطيف في ٧٠ ص من القطع الصغير، طبع عن دار العاصمة سنة ١٤١٤.

نشَر الشيخ هذه العقيدة الصافية على مذهب السلف في الاعتقاد، خاليةً من أكدار المتأخرين وعبارات المتكلمين. وسبب إعادة نشرها والتقديم لها: صدور نشرة جديدة للكتاب من تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، ذكر الشيخ أن في نصها تحريفات، وفي تعاليقه مخالفات لعقيدة السلف. فنشرها خالية من أوضار التصرّف ومن حشو التعليق.

٣. درء الفتنة عن أهل السنة.

جزء في ٦٤ ص من القطع المتوسط، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩ ، عن دار العاصمة بالرياض.

وغرضه بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في حقيقة الإيمان والكفر، والرد على من خالفهم، سواء من جهة الإرجاء، أو من جهة الغلو في التكفير، وحَسْم اللجاجات التي وقعت من بعض طلبة العلم المعاصرين في هذه المسائل، وتثبيت عقيدة أهل السنة والجماعة.

٤. عيد اليوبيل بدعة في الإسلام.

رسالة في ٦٣ ص من القطع المتوسط، الطبعة الأولى عن مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٦.

وموضوعه في تقرير أن الأعياد الإسلامية ثلاثة فقط: عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد يوم الجمعة، وأنه يحرم إقامة أي عيد غير هذه الثلاثة، وأن الاحتفال بعيد اليوبيل (أي بمضي مدة من الزمن على شيء ما، ومنه ما هو فضي وذهبي وماسي وثمانيني)= محرم شرعًا للتشبه والابتداع.

٥. السُّبْحة، تاريخها وحكمها.

رسالة كبيرة في ١٤٠ ص من القطع المتوسط، طبعت عن دار العاصمة سنة ١٤١٧، ثم أدرجها الشيخ ضمن كتاب (تصحيح الدعاء) الآتي ذكره.

تناول فيها الكلامَ على تاريخ السبحة عند الأمم، وكيف انتقلت إلى المسلمين، وعن حكم استعمالها في العبادات والعادات، ورجّح كون استعمالها بدعة في الأذكار، وأنها من الوسائل المحدثة في الدين التي فيها تشبّه بالكافرين.

٦. بِـدع القُرّاء القديمة والمعاصرة.

كتيب صغير الحجم من القطع الصغير، طبع سنة ١٤١٤ عن دار الفاروق بالطائف.

جمع الشيخ مادته من خلال قراءاته الواسعة في مختلف الكتب، وخصصه للبدع التي وقع فيها القراء عبر العصور، سواء في الأداء، أو في الأفعال، أو توقيتات مخترعة لبعض السور والآيات.

٧. هَجْر المبتدع.

نشر أول مرة في عدة مقالات في مجلة البيان سنة ١٤٠٨، ثم طبع الطبعة الأولى في رسالة عام ١٤١٠ عن دار ابن الجوزي.

وموضوعه في بيان أحكام الهَجْر الشرعيّ للكافر والمبتدع الضال والعاصي المجاهر، وركز على المبتدع لعظيم خطره، وذلك كله بعد إعمال الضوابط الشرعية في ذلك. ورؤوس مقيّدات هذه الرسالة عشرة تنظر ص ١٠ منه.

٨. براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة.

وهو كتيب في ٥١ ص من القطع المتوسط، طبع أول مرة سنة ١٤٠٧، وقدم له الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز.

والكتاب كشْف لحال الشيخ محمد زاهد الكوثري، وما اقترفته يده (في كتبه وتعليقاته) من قذف وسبّ لأهل العلم والإيمان من أتباع السلف الصالح والعلماء والمحدّثين والمصلحين، وتعرّض فيه لتلميذه الشيخ عبدالفتاح أبو غدة؛ في إكثاره من العزو إليه والمبالغة في مدحه وإطرائه والتعلق به ومشاركته في بعض ما وقع فيه.

٩. التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير.

طبع في في ١١٠ ص وأعيد طبعه مرارًا، وهو ضمن الردود.

بين فيه خطأ الشيخ محمد بن علي الصابوني على تفسير الإمامين ابن جرير وابن كثير، وتصرفه في نصوصهما حذفًا وإضافة بما يخالف ما فيها من تقرير عقيدة السلف في الأسماء والصفات وغيرها.

ثانيًا: في الحديث وعلومه:

١٠. التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل.

طبع في مجلد واحد في ٢٨٠ ص عن دار العاصمة سنة ١٤١٣، ولم يطبع إلا المجلد الأول منه. وبقي من الكتاب مجلدان بحسب تقسيم المؤلف لم

يطبعا، ولا نعلم هل تمكن الشيخ من تبييضهما أم بقيا في المسوّدة[1].

وهذا الكتاب كان الشيخ يعتبره من مشاريع العمر كما في مقدمته، بدأ به من وقت مبكر حيث ذكره وأحال إليه في كتاب التعالم المطبوع سنة ١٤٠٨. وقد استجمع له نفسَه وقوّته العلمية وأحسن التقسيم والترتيب والسبك، وشحنه بالفوائد واللطائف والإشارات. ولو تمّ لكان شامة في كتب أصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل. ولله الأمر. وقد أثنى عليه المختصون في الحديث بما يليق به.

١١. معرفة النسخ والصحف الحديثية.

كتاب في ٢٩٩ ص من القطع العادي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ عن دار الراية بالرياض.

وهو ضمن سلسلة (مدّ علوم الحديث رقم ٢) ويبحث في النسخ والصحف الحديثية التي تروى بإسناد واحد المحتوية على جملة من المتون الحديثية، ثم البحث في منزلتها وكيفية الرواية لها. ثم مسرَد بأسماء ما ذكر منها في كتب الرجال والتاريخ، وبلغ عدد ما فيها (٢٨١) نسخة وصحيفة.

١٢. التحديث بما قيل لا يصح فيه حديث.

كتاب في ٢١٩ ص من القطع العادي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ عن دار الهجرة بالدمام. وفي الطبعة الثانية التي ستخرج قريبا زيادات وإضافات كثيرة.

وهو ضمن سلسلة (مد علوم الحديث رقم ١) وموضوعه جمع ما قال فيه الحفّاظ: إنه لا يصح فيه شيء مما روي في باب أو مسألة من حديث أو أكثر. وقد سبقَ الشيخَ إلى ذلك عدد من المؤلفين كابن بدر الموصلي والغزي وابن القيم والفيروزآبادي وغيرهم، غير أن الشيخ حاول الاستيعاب، فجاء حافلًا من أجمع ما في الباب.

١٣. مرويات دعاء ختم القرآن.

---

(١) ذكر الدكتور عبدالله الطخيس في جزء سؤالاته للشيخ بكر: أن الشيخ دفع هذين المجلدين للطباعة ثم سحبهما من المطبعة. وهذا خبر غريب!

جزء حديثي طبع مستقلًا، ثم طبع ضمن (الأجزاء الحديثية) عن دار العاصمة عام ١٤١٧.

تكلم فيه على دعاء ختم القرآن وهل يشرع الدعاء؟ وإذا كان مشروعًا هل يكون داخل الصلاة وخارجها عن إمام أو منفرد؟ وإذا كان داخل الصلاة أهو قبل الركوع أم بعده، أم في دعاء القنوت للوتر؟

١٤. تحبير المقالة في حديث الحوالة.

جزء حديثي طبع مستقلًا، ثم ضمن (الأجزاء الحديثية) عن دار العاصمة عام ١٤١٧.

وهو تخريج لحديث: «مطل الغني ظلم، وإذا أُحيل أحدكم على مليء فليحتل» والكلام على ما فيه من الفقه.

١٥. زيارة النساء للقبور.

رسالة من القطع المتوسط في ٦١ ص، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤ عن دار العاصمة بالرياض. وهو أول مؤلف يكتبه الشيخ فقد كتبه سنة ١٣٨٥، ولم ينشره إلا بعد نحو ٣٠ سنة.

وموضوعه واضح، وانتهى فيه إلى القول بالتحريم؛ لأنه الموافق لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهيه، وقواعد شريعته، ومصالح أمته.

١٦. مسح الوجه باليدين بعد رفعهما للدعاء.

جزء حديثي طبع ضمن (الأجزاء الحديثية) عام ١٤١٧ عن دار العاصمة.

وموضوعه: هل يُشرع مسح الوجه باليدين بعد دعاء القنوت في الصلاة أو بعد الدعاء خارجها؟ جمع فيه ما احتج به المتكلمون في هذه المسألة وذكر خلاف العلماء فيها.

١٧. كيفية النهوض في الصلاة وضَعْف حديث العجن.

طبع أولًا مستقلًا في جزء كبير سنة ١٤٠٦، ثم طبع ضمن (الأجزاء الحديثية) عن دار العاصمة بالرياض سنة ١٤١٧.

وحديث العجن هو ما أخرجه أبو إسحاق الحربي عن الأزرق بن قيس قال: رأيت ابن عمر يعجن في الصلاة، يعتمد على يديه إذا قام، فقلت له: فقال: رأيت رسول الله ﷺ يفعله. ومال إلى ضعف الحديث ورد فيه على العلامة الألباني تصحيحه له.

ومن ثم ناقشه الألباني في كتابه (تمام المنة في التعليق على فقه السنة)[1].

ثالثًا: في الفقه:

١٨ . المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل .

طبع في مجلدين ضخمين في ١٢٠٠ص، عن دار العاصمة سنة ١٤١٧، وهو من مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

وموضوعه: التعريف بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، وقد كسَرَه الشيخ على ثمانية مداخل:

الأول: معارف عامة عن التمذهب. وهذا المدخل يصلح لدراسة كل المذهب الفقهية.

والثاني: معارف عامة عن المذهب الحنبلي.

والثالث: التعريف بأصول المذهب.

والرابع: التعريف بمصطلحات المذهب.

والخامس: التعريف بطرق كيفية معرفة المذهب، ومسالك الترجيح فيه.

والسادس: التعريف بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

والسابع: التعريف بعلماء المذهب.

والثامن: التعريف بكتب المذهب.

وسبب تأليفه أنه في أحد المجالس العلمية سأل أحدُهم عن قولهم: (قال القاضي) فلم يُجَب، فرأى أن يؤلف كتابًا يجمع فيه كل ما يتعلق بالمذهب[2].

١٩ . الحدود والتعزيرات عند ابن القيم، دراسة وموازنة.

---

(١) انظر ما سبق تحت عنوان: (صلاته وحواراته).

(٢) ذكره الأستاذ دخيل الله العتيبي عن الشيخ فيما كتبه لي من أوراق سبقت الإشارة إليها.

رسالة علمية، قال مؤلفها: (في ليلة الخامس والعشرين من شهر الله المحرم من عام أربعمائة وألف من الهجرة النبوية منَّ الله تعالى عليَّ بمناقشة رسالتي باسم: «الحدود والتعزيرات عند ابن قيم الجوزية/ دراسة وموازنة»، وذلك في قاعة المعهد العالي للقضاء بمدينة الرياض، وكانت هذه الرسالة تقع في ثمانٍ وثمانمائة صفحة بقسميها... مقدّمة لنيل الشهادة العالِـمية العالية. وبالاصطلاح الغربي الوافد (ماجستير). وقد حصلتُ على تقدير (ممتاز)).

طبعت في مجلد كبير في ٥٥٢ ص عن دار العاصمة بالرياض، ط الثانية سنة ١٤١٥ هـ.

وقد شرح الشيخ طريقته ومنهجه في مقدمته، وأن الباعث له على هذا الموضوع عدة أمور، منها انتفاع القضاة بها وهو منهم، وأن ابن القيم ليس له مؤلف مستقل في ذلك رغم كثرة بحوثه المحررة في ذلك، إلى غير ذلك.

٢٠. أحكام الجناية على النفس وما دونها عند ابن قيم الجوزية، دراسة وموازنة.

وهي رسالته للعالِميّة العالية (الدكتوراه). وقد أبان في مقدمتها عن منهجه وطريقته وسبب عنايته بمثل هذا الموضوع بنحو ما سبق في رسالته للماجستير فهما يتبعان من مشكاة واحدة.

طبعت في مجلد في ٤٣٨ص، عن مؤسسة الرسالة بالرياض سنة ١٤١٦ هـ.

٢١. لا جديد في أحكام الصلاة.

طبع سنة ١٤١٣ عن دار الراية بالرياض في ٦٩ ص من القطع المتوسط، ثم أعيد طبعه عن دار العاصمة سنة ١٤١٨ في ٧٧ ص مع زيادة مسألة جديدة.

ناقش الشيخ في كتابه هذا ثماني مسائل متعلقة بالصلاة في هيئاتها وصفاتها، ورأى لفت أنظار بعض أهل العلم إلى القول الصواب فيها وهي: في كيفية المصافة في الصلاة، وخطأ وضع اليدين على النحر تحت اللحية أثناء القيام

في الصلاة، وخطأ الزيادة في الانفراش والتمدد في السجود، وخطأ القول بالإشارة بالسبابة حال الجلوس بين السجدتين، وخطأ قيام المصلي من ركعة إلى أخرى على هيئة العاجن، وهو أن يجمع يديه ويتكئ على ظهورهما عند القيام كحال من يعجن العجين، وخطأ إظهار أصابع القدم اليسرى فيما بين الفخذ والساق أثناء الجلوس، وخطأ ضم العقبين حال السجود، وشذوذ قصر عقد التسبيح وعده على أصابع اليد اليمنى.

٢٢. حد الثوب والأزرة وتحريم الإسبال ولباس الشهرة.

رسالة في ٣٢ ص من القطع المتوسط، الطبعة الأولى ١٤١٦عن دار العاصمة.

وهو في بيان تحريم الإسبال ولباس الشهرة، والبحث في حدّ الثوب والإزار، وبيان الفرق بينهما، والتنبيه على بعض أخطاء المعاصرين.

٢٣. العلامة الشرعية لبداية الطواف ونهايته.

طبع في جزء من القطع الصغير في ٣٦ص عن دار العاصمة سنة ١٤١٩.

وموضوعه في الخط الذي في صحن المطاف بامتداد الحجر الأسود، وعدم مشروعيته، والدعوة لإزالته؛ لأنه محدث، والاكتفاء بمسامتة الحجر الأسود، وهو العلامة الشرعية لا غير. وناقش فيه حجج المجيزين ورد عليهم. وقد أزيل الخط بعد طبع الرسالة.

٢٤. فتوى جامعة في زكاة العقار.

رسالة في ٣٢ص من القطع الصغير، الطبعة الأولى عن دار العاصمة سنة ١٤٢١.

٢٥. فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر.

رسالة في ٤٤ص من القطع الصغير، الطبعة الأولى عن مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٧.

٢٦. فتوى جامعة في آداب العزاء الشرعية والتنبيه على بعض ما أحدثه الناس فيه.

رسالة في ١٦ص من القطع الصغير، الطبعة الأولى عن مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٧.

٢٧. تسمية المولود.

رسالة في ٧٢ص من القطع المتوسط، الطبعة الثالثة عن دار العاصمة سنة ١٤١٦.

وهي رسالة لم يسبق إلى مثلها، في بيان الأسماء المشروعة والأسماء الممنوعة أوالمكروهة، وذكر ما يتعلق بالتسمية من آداب وما أحدثه الناس من مخالفات.

٢٨. دعاء القنوت.

رسالة في ٢٤ ص من القطع الصغير، الطبعة الأولى عن دار العاصمة سنة ١٤١٧.

وهي رسالة في بيان الدعاء المشروع في القنوت والتحذير من الاعتداء فيه، وذكر جمل من المخالفات التي يقع فيها الداعون.

٢٩. تصحيح الدعاء.

طبع في مجلد كبير في ٥٠٠ص عام ١٤١٩ عن دار العاصمة بالرياض.

وهو في أحكام الأدعية والأذكار والقواعد الضابطة لها التي تُبنى عليها، ثم ذكر الأدعية الثابتة مرتبةً على الأبواب العلمية مع التنبيه على ما خالفها.... وهكذا.

وقد ضمّنه الشيخ عددًا من الرسائل المطبوعة مفردة مثل: السبحة، ودعاء القنوت، وأذكار طرفي النهار.

٣٠. المثامنة في العقار (نزع ملكيته للمصلحة العامة).

رسالة في ٤٧ ص من القطع الصغير، الطبعة الأولى عام ١٤١١ عن دار

العاصمة.

٣١. أثر الرجوع عن الإقرار بحدّ.

رسالة في ٣٢ ص من القطع المتوسط، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ من مطبوعات وزارة العدل ضمن سلسلة (بحوث قضائية ١).

رابعًا: فقه النوازل:

للشيخ رحمه الله عناية بالمسائل النازلة والقضايا المعاصرة، وألف فيها عدة مؤلفات، ويتميز منهجه فيها بالسعة والشمول واستيعاب ما قيل في المسألة من جميع جوانبها، فيذكر الأقوال ويعتني بالأدلة ويبين وجوه الاستدلال، ثم ينتهي به المطاف إلى القول المختار الذي يدعمه الدليل، مؤيدًا له بما يسنده من وجوه الأدلة المتنوعة ومقاصد التشريع وغيرها.

كما تتميز هذه الكتابات بذكر الشيخ في كل نازلة من سبقه في الكلام عليها من متقدم أو معاصر، وهذه فائدة عزيزة.

وما طبعه الشيخ من تلك النوازل هو:

٣٠. التقنين والإلزام.

كتاب في ١٠٤ ص من القطع العادي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ بدون ناشر.

٣١. المواضعة في الاصطلاح على خلاف الشريعة وأفصح اللغى.

كتاب في ١٢٦ ص من القطع العادي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ بدون ناشر.

٣٢. أجهزة الإنعاش وعلامة الوفاة.

٣٣. طفل الأنابيب، أو طرق الإنجاب في الطب الحديث.

٣٤. خطاب الضمان البنكي.

٣٥. الحساب الفلكي لأوائل الشهور العربية.

٣٦. البوصلة ودلالتها على القبلة.

٣٧. حق التأليف، تاريخًا وحكمًا.

٣٨. المرابحة للآمر بالشراء.

٣٩. التشريح وزراعة الأعضاء.

انتهى ما ضمن إلى فقه النوازل المجلد الأول والثاني.

٤٠. بطاقة الائتمان.

رسالة في ٧٦ ص، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦، عن مؤسسة الرسالة.

٤١. بطاقة التخفيض.

رسالة في ٢٤ ص، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦، عن مؤسسة الرسالة.

٤٢. التمثيل: حقيقته، تاريخه، حكمه.

رسالة في ٦١ ص من القطع المتوسط، الطبعة الأولى عام ١٤١١ عن دار الراية بالرياض.

بين فيها حكم هذا التمثيل الذي أصبح (فنًّا) يعرض على مسمع الناس وأبصارهم في كل مجمع وناد، وعقد لبيانه سبعة مباحث ألمّت بشتات القضية ليتبين بعدها من يستمزجها أَلَهُ (خيال) أم (خبال)؟!

خامسًا: في مواجهة التغريب والغزو الفكري:

٤٣. تغريب الألقاب العلمية.

رسالة في ٦٥ ص من القطع المتوسط، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ عن دار الراية بالرياض.

وهو بحث في إنكار الألقاب الحادثة المستنسخة من الغرب للمناصب العلمية؛ كالعالم والفقيه والمحدّث والحافظ وغيرها، كلقب (دكتور) و(بروفسور)، وأن استبدال هذه الألقاب ونبذ الألقاب العلمية المتعارف عليها عند المسلمين والمتوارثة عنهم= يعتبر محض تشبه بالكفار، وانهزام لحضارتهم، ولا يليق بأهل الشرع وأهل اللغة استعماله.

٤٤. حراسة الفضيلة وكشف دعاة المرأة إلى الرذيلة.

كتاب في ١٩٧ ص من القطع المتوسط، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠ عن دار العاصمة، ثم تتابعت طبعاته في وقت وجيز بأحجام مختلفة حتى طبع منه أكثر من ثلاثة ملايين نسخة.

وموضوعه كما أفصح الشيخ عنه: تثبيت نساء المسلمين على العفة والصيانة والحجاب، والتحذير من الاختلاط والسفور، وكشف دعاة إفساد المرأة في جزيرة العرب، و الرد على دعاة الرذيلة من كتَّاب الصحافة وحاملي الأقلام المسمومة المنحرفين عن الصراط المستقيم.

٤٥ . المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها.

طبع في ١٢٦ ص من القطع العادي، الطبعة الأولى ١٤٢١ عن دار العاصمة، ثم طبع عن دار عالم الفوائد طبعة ثانية وفيها زيادات وتصحيحات.

وهذا الكتاب في بيان تاريخ دخول المدارس الأجنبية إلى بلاد المسلمين، وذكر آثارها السيئة، وحكم الإسلام فيها، وجهود علماء المسلمين تجاهها.

٤٦ . خصائص جزيرة العرب.

كتاب في ١٠٠ صفحة من القطع العادي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ عن دار ابن الجوزي بالدمام. ثم طبع عن دار عالم الفوائد وفيها تصحيحات وزيادات كثيرة.

وهو إيقاظ وتنبيه لضرورة الاهتمام بجزيرة العرب وصيانتها عن كل ما يفسدها عقديًّا وفكريًّا وسلوكيًّا، ووضع التدابير الضامنة لذلك.

سادسًا: في العلم وطلبه وآفاته:

٤٧ . حلية طالب العلم.

كتيب في ٧٥ ص من القطع المتوسط، وطبع بأحجام مختلفة، ثم ضمن في المجموعة العلمية. وكان سيكون جزءًا من التعالم ثم رأى الشيخ إفراده.

وهو في الصفات التي يجب أن يتحلى بها طالب علم الشريعة، وشرح لمنهاج طالب العلم وتدرّجه في العلوم والآداب المتعلقة بذلك ونواقضها.

٤٨. التعالم وأثره على الفكر والكتاب.

كتاب في ١١٤ ص من القطع العادي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ عن دار الراية بالرياض. وقد طبع طبعته الثانية في العام نفسه.

وهو في التحذير من ادعاء العلم ومظاهر ذلك، وخطره على الدين والمجتمع، ووجوب الوقوف أمام المتعالمين وردعهم. وذكر صور من عبث المتعالمين.

٤٩. تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء.

وهو في التحذير من تحريف النصوص الشرعية وكلام العلماء لتوافق الأهواء، وأن ذلك مِن طرائق أهل الأهواء في الاستدلال، وذكر أمثلة كثيرة من التحريف وقع فيها بعض المعاصرين.

٥٠. آداب طالب الحديث من الجامع للخطيب.

جزء طبع مفردًا في ١٠٠ ص، ثم ضمن في المجموعة العلمية.

وهو تجريد لكلام الحافظ الخطيب البغدادي في المقدمة وفي أثناء وخواتيم الفصول والأبواب في كتاب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.

٥١. الرد على المخالف من أصول الإسلام.

كتاب في ١٢٠ ص طبع مفردًا، ثم ضمن في كتاب الردود.

وهو في بيان مشروعية الرد على من خالف الإسلام، سواء كانوا من الكفار الأصليين أو المرتدين من أصحاب المذاهب الهدامة، أو كان المخالف من أهل البدع والدعوات المنابذة للسنة، وبيان تاريخ الردود، وأنواع المخالفات، وشروط وآداب الردود.

٥٢. لطائف الكَلِم في العلم.

طبع ضمن النظائر، ولم يسبق أن نشر مفردا من قبل.

وهي الكلمات التي يكثر تداولها لدى العلماء في العلم ومتعلقّاته وتكون مما اكتسبت ذيوعًا ورشاقة واختصارًا، ويقلّ إسناد المشايخ لها أو عزوها

إلى مصدر قديم، فجمع ما تناثر منها مع عزو موجز لها ما أمكن، مرتبةً على حروف المعجم.

سابعًا: في التراجم والسير:

٥٣. ابن القيم: حياته- آثاره - موارده.

طبع في مجلد واحد عن دار العاصمة في ص سنة ١٤١٦.

وهو ترجمة وافية عن الإمام ابن القيم وحصر لمؤلفاته واستقصاء لموارده، وتعتبر أول دراسة مستوعبة عن الإمام ابن القيم نابعة من قراءة جميع كتبه واقتناص ما يتعلق بترجمته منها. فأضحت هذه الدراسة من العمد في ترجمة ابن القيم، فلا يفتأ الدارسون يحيلون إليها ويكتفون بها أحيانًا عن التراجم المعادة المكررة، فكل الصيد في جوف الفَرا.

وقد طبعت الموارد مفردة ثم ضمت إلى الترجمة في غلاف واحد.

٥٤.طبقات النسابين.

طبع في غلاف كبير سنة ١٤٠٦هـ في طبعته الأولى، ثم أعيد عن مؤسسة الرسالة في مجلد في ٥٧٢ صفحة مزيدًا ومنقّحًا.

وهو كتاب لم يسبَق إلى مثله، إذ لم يفرد هذا النوع أحدٌ من علماء أهل السنة، وطريقته طريقة الاختصار، حيث يذكر العَلَم وجرّ نسبه ووفاته، وما يشهد لكونه معتنيًا بهذا الفن، من وصف أو تأليف، والكتاب مرتب على الطبقات، ابتداء من الصحابة فمن بعدهم... إلى العصر الحديث.

٥٥. علماء الحنابلة، من الإمام أحمد إلى وفيات القرن الخامس عشر الهجري.

طبع في مجلد ضخم في ١٢٠٠ص عن دار العاصمة عام ١٤١٩هـ.

وهو فهرس أو دليل لأعلام المذهب الحنبلي، من إمام المذهب حتى العصر الحديث. يذكر اسمَ الشهرة في صدر الترجمة ثم تاريخ الولادة والوفاة ومكانهما إن وُجدا، ثم اسم العلَم كاملًا ، ثم يتبعه بمواضع ترجمته من كتب

تراجم الحنابلة القديمة والمعاصرة، ولا يضيف إليها غيرها من كتب التراجم، وهو مرتب على القرون وكل قرن مرتب على الأسماء. وفي آخره فهارس مفصلة يضارع حجمها حجم الكتاب بل يزيد.

٥٦. فائت التسهيل.

طبع في آخر التسهيل للعثيمين، ملحقًا بالمجلد الرابع في ١٢٠ ص عن مؤسسة الرسالة.

وهو ذيل على كتاب: «تسهيل السابلة لمعرفة مريد الحنابلة»، للشيخ صالح العثيمين البردي، ذكر فيه مَن فات المؤلف ذِكْرهم، ابتداء من تلاميذ الإمام أحمد إلى وفيات عام ١٤١٨هـ (تاريخ تأليف الكتاب)، فبضمّه إلى أصله (التسهيل) يحصّل الباحثُ دليلًا لعلماء الحنابلة يضيف إليه ما يستجد أو يستدرك فيه ما يضاف.

٥٧. التراجم الذاتية.

طبع أولًا مفردًا في رسالة، ثم ضُم إلى كتاب (النظائر)، وطبع عام ١٤١٣ عن دار العاصمة بالرياض.

وفيها قائمة بأسماء العلماء والأدباء وغيرهم الذين ترجموا لأنفسهم في كتاب مستقل أو ضمن كتاب، ابتداء من القرن الرابع حتى العصر الحاضر، مقتصرًا فيه على اسم العَلَم ووفاته وما يفيد ترجمته لنفسه. وهو مرتب على الوفيات. ثم يتبعه بذكر مصادر الترجمة بلا استيعاب.

٥٨. التحوّل المذهبي.

طبع أولًا مفردًا في رسالة، ثم ضم إلى كتاب (النظائر)، وطبع عام ١٤١٣ عن دار العاصمة بالرياض.

جمع فيه من نُقل أنه تحوّل من مذهب إلى آخر من المذاهب الفقهية الأربعة، أو غيرها من المذاهب الفقهية، وقد يدخل العقيدة أحيانًا، مرتبًا على الوفيات، يذكر الاسم والوفاة وخبر التحول وتسبيبه إن وُجد، ثم المصادر.

٥٩. العزاب من العلماء وغيرهم.

طبع أولًا مفردًا في رسالة كبيرة، ثم ضم إلى كتاب (النظائر)، وطبع عام ١٤١٣ عن دار العاصمة بالرياض.

جمع فيه مَن قيل في ترجمته: إنه لم يتزوج، أو أنه عَزَب، أو ما يفيد ذلك، مع ذكر سبب ذلك إن وُجد. وقدّم قبل ذلك بعض الفوائد المتعلقة بالموضوع، وكان من غرضه أيضًا الرد على الشيخ عبدالفتاح أبي غدة في رسالته (العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج) فناقشه في هذا التسبيب وأنه غير صحيح، وذكر فيه الحث على الزواج، وأنه هو السنة، وأن تركه ليس محمدة في الإسلام، وأن أعذار مَن تركوا الزواج متعددة منها ما هو منصوص في تراجمهم وغالبها غير مسببّة، فتسبيبها افتئات عليهم.

ثامنًا: متفرّقـات:

٦٠. معجم المناهي اللفظية.

طبع أولًا سنة ١٤١٠هـ في مجلد متوسط، وفيه ٨٠٠ لفظ، وطبع أخرى في السنة نفسها، ثم طبع طبعة ثالثة مزيدة نحو ضعف الطبعة الأولى فيها ١٥٠٠ لفظ. في مجلد ضخم عن دار العاصمة بالرياض.

وهو تأليف لم يسبق إليه على هذه الطريقة المعجميّة. جمع فيه جملة كبيرة من الألفاظ والعبارات الدائرة على الألسن قديمًا وحديثًا، المنهي عن التلفظ بها لذاتها أو لمتعلقاتها، سواء كان النهي للتحريم أو الكراهة، وذلك في جميع الأبواب: في الاعتقاد، والعبادات، والآداب، واللغة، وغير ذلك، وقسمه في طبعته الأخيرة إلى ما يترجّح النهي عنه سواء كان نهي تحريم أو تنزيه، وبلغت ألفاظ هذا القسم (١٢٥٠)، والقسم الثاني ملحق فيه (فوائد في الألفاظ) بلغت (٢٥٠).

وقد بين طريقته فيه بقوله: «وقد تم التقييد لما ذكرته هنا من مَطَاوِي المطالعة، لِمَا وَقَفْتُ عليه من الشَّوارد في متفرقات الكتب في: التفسير،

والحديث، والفقه، والتاريخ، والسير، والمحاضرات، المؤلفة على اختلاف الأزمان، وتطاول القرون، فلا يقُولَنَّ أحَدٌ في بعضها: هذه (لغة ميتة) أو (هذه ألفاظ محلية إقليمية) فلا تشاع؛ فإن في ذكرها تجلية لمواقف العلماء، ودقيق اهتماماتهم، وكثيرًا ما ترى الارتباط بين القديم والجديد، فيقيم الناظر سَوْقَ التدليل والتنظير، كما أنك سترى ألفاظًا هي قمة في الألفاظ الإسلامية لكن لا تشرع في مواضع؛ فصار إدخالها في هذه المناهي لهذا السبب وحسبما نبَّه عليه العلماء، رحمهم الله تعالى».

ولم يشترط المؤلف الصحة في كل ما يورده من الأحاديث والآثار، ولم يكن هو مقصوده، ومن أراد إصدار حكم فعليه التحقق من الصحة والنظر فيما نقل. قال موضحًا ذلك: «وجُلُّ العمل هنا هو في الجمع والترتيب، لا في الوضع والتصنيف، والمقصود: الدلالة على الألفاظ وعزوها حسبما يقع، وعليه: فليغض الناظر الطرف عن النزول في العزو، وعدم استقطاب المراجع وترتيبها حسب السبق الزمني...

وأما الكلام على ذات اللفظ؛ فإن كان يدل على النهي عنه نصٌّ فما زاد؛ فقد أكتفي بسياق نص واحد، ثم أُتبع ذلك المراجع، ليرجع إليها منشد التحقيق، ومبتغي التدقيق، وإن كان بدلالة مقتضى النظر والتعليل؛ نقلت نص أحد العلماء في اللفظ، أو صغت من مجموع كلامهم ما يدل على المراد، وأردفته بذكر المراجع، وكم من لفظ يحتاج إلى مزيد من البيان، والتحرير، ومرتبة المروي، فحسبي أن مصادره - ما أمكن- مرصودة أمام طالب العلم لينظر في تحقيق مقصوده».

وإنما سقت كلام الشيخ بطوله حتى يعلم الناظر فيه شَرْطَه وطريقتَه من كلامه هو، ويعلم أيضًا أن مَن كتَبَ في تعقبه في هذا السبيل إما غافل عن شرطه فيه، أو ملزمٌ له غيرَ ما اشترطه. وكل أولئك غير وارد على كتاب الشيخ، والله الهادي.

والكتاب إلى ذلك فيه من الفوائد والنّكات ولطائف التحقيقات ما يرحل إليه، وتُعقد الخناصر عليه.

٦١. حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية.

كتاب في ١٩٥ ص من القطع العادي، طبع طبعته الأولى سنة ١٤٠٨، والثانية سنة ١٤١٠ مزيدة «بخلاصة مهمة» كما كتب المؤلف بغلافها.

بحثَ فيه حكم الانتماء إلى الجماعات الإسلامية المعاصرة التي نشأت إبان إلغاء الخلافة الإسلامية، وهل هذه الجماعات مرفوضة سندًا ومتنًا؟ أو هي المتنفس الذي ينفذ منه المسلمون إلى إقامة الإسلام؟

هذا هو السؤال المفصلي في الكتاب. ومهّد للجواب عن الحكم بمباحث سبعة استغرقت نحو أربعين صفحة، ثم بنى الجواب المعقود في المقدمة على تسعة عشر أصلًا، ثم عقد فصلًا في مضارّ الأحزاب على جماعة المسلمين، فذكر واحدًا وأربعين من مضارها، ثم بين النتيجة الحُكْمية، والطريق إلى جماعة المسلمين، ثم الخاتمة، ثم لخص مباحث الكتاب في إحدى عشرة نقطة (وهذا التلخيص من زيادات الطبعة الثانية).

٦٢. التقريب لعلوم ابن القيم.

طبع أولا في أربعة أجزاء مقسمة على الأبواب العلمية، ثم ضمت في الطبعة الثانية في مجلد واحد تحت هذا العنوان، وطبع عن دار العاصمة.

وقد عمد المؤلف لأسبابٍ شرحها في فاتحة الطبعة الأولى «إلى اختيار علَم من أعلام الإسلام الذين شهدت لهم البرية بالرسوخ في العلم وثبات القدم في التحقيق، فبذلوا خدمة فائقة في مجال الفقه الإسلامي ودونوه على سبيل التحقيق والتدقيق؛ وذلك لأتناول فقهه بالتقريب والتيسير لأهل العلم وطلابه؛ فوقع الاختيار على فقه الإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١.

قال: ولشدة عناية أهل العلم بعلومه وتطلعهم إلى الوقوف على فقهه

واختياراته، فقد رأيت أن أقرب فقهه لأهل العلم عامة ولأهل نجد منهم خاصة، لأنهم أشد الناس رغبة في علومه وإحياءً لآثاره، فتتبعت فقهه من خلال كتبه المطبوعة وهي واحد وثلاثون مؤلفًا. فقربته مرتبًا له على كتب وأبواب «زاد المستقنع» في الفقه الحنبلي لشرف الدين أبي النجا موسى الحجاوي»[1].

ثم شرح طريقته في هذا الكتاب والطبعات التي اعتمد عليها، وأشار في مقدمة الطبعة الثانية إلى أن ما ذكره من فقهه فهو بحسب ما يقع له لا بالتتبّع، وهذا يفتح مجال العذر لما يمكن أن يوجد من الفوت.

٦٢. موارد ابن القيم في كتبه.

وسبق الكلام عليه، وأن الشيخ أفرده، ثم ضمه إلى كتاب ابن القيم حياته آثاره موارده.

٦٣. أذكار طرفي النهار.

وهو وِرْد مختصر في وريقات يصطحبه المسلم معه في كل وقت فيه أذكار الصباح والمساء، وفي أوله فوائد وتنبيهات متعلقة بالأذكار. ألّفه لوالدته رحمها الله تعالى تسهيلًا لها وبرًّا بها[2].

٦٤. أدب الهاتف.

رسالة في ٣٩ ص من القطع المتوسط، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦ عن دار العاصمة.

وهو في الآداب الشرعية المرعية عند استعمال الهاتف بين المتصلين، مخرَّجة فقهًا على آداب الزيارة والاستئذان والكلام والحديث مع الآخرين، وقد بسطت هذه الآداب في كتب الفقه وشرح الحديث.

٦٥. جبل إلالٍ بعرفات، تحقيقات تاريخية شرعية.

---

(١) التقريب لعلوم ابن القيم ص: ١٠-١٣.

(٢) تأليف الكتب لأحد الأقارب له نظائر في التراث، فقد ألف العراقي كتابه (تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد) لابنه، وألف الحافظ ابن حجر كتاب (بلوغ المرام) ليحفظه ابنه، فحفظته الأمة، وغيرهم.

رسالة في ٨٠ ص من القطع المتوسط، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٩ عن دار العاصمة.

بحث فيها ما يتعلق بجبل عرفات أو جبل إلال، المشتهر عند العامة بجبل الرحمة، فذكر فيه خمسة فصول: في بيان صفة جبل إلال، وتعيين موقعه، والمعالم الباقية لما أحْدِث فيه ، وأسمائه، وأنه لا ذِكْر له في الروايات ولا يتعلق به نسك يخصه، وتعيين موقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة وحكمه للحجاج، وذِكر ما أحْدِث في الجبل والموقف من الأبنية والأقوال والأفعال وتاريخها. ثم خاتمة وخلاصة.

٦٦ . الرِّقابة على التراث.

رسالة في ٢٣ص من القطع العادي، طبعت مفردة، ثم ضمت إلى «المجموعة العلمية» عن دار العاصمة سنة ١٤١٦، وفيه دعوة إلى قيام هيئة علمية تتبنى الدفاع عن التراث، وتحميه من الأيدي العابثة، وفيه معالم وقواعد لحماية التراث، وبعض صور الجناية عليه، وقد كان جزءًا من كتاب «تحريف النصوص» ثم رأى إفراده ليعم نفعه.

٦٧ . تصنيف الناس بين الظن واليقين.

رسالة في ٩٧ ص من القطع المتوسط، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ عن دار العاصمة.

يتناول الكتاب ظاهرةً غزت المجتمع المسلم واستفحلَ ضررُها خاصة بين طلاب العلم والمشتغلين بالدعوة، وهي تجريح العلماء والدعاة بالظن والرّجْم بالغيب، والقدح في علمهم ودعوتهم بالظن والهوى، فشخّص الشيخ هذه الظاهرة في الواقع، وذكر طُرَق الوالغين فيها، ودوافعها وآثارها، وسبل علاجها والقضاء عليها.

***

كتبه المخطوطة وما نُمي إلينا خبرُه

سأذكر عنوانات كتبه التي رأيتُ مسوّداتها، أو سمعتُ خبرها منه، أوعد بها قراءَه، أو ذَكرها بعضُ تلاميذه وأصحابه [1]:

١. أخبار عن المؤلفين والمؤلفات (٣ مجلدات).

٢. ثمرات النظر في مصنفات أهل الأثر (عدة مجلدات).

٣. معجم ألفاظ الجرح والتعديل.

٤. دليل النوازل.

٥. المدخل إلى فقه النوازل.

٦. بذل السبب في جمع أبحاث النسب. (ذكره في طبقات النسابين ٣٤٠).

٧. الضوابط العلمية نظمًا ونثرًا.

٨. تقريب آداب البحث والمناظرة. لشيخه الأمين الشنقيطي.

٩. فتوى السائل عن مهمات المسائل.

١٠. التأمين.

١١. أصول الإسلام لدرء البدع عن الإسلام.

١٢. مدينة النبي ﷺ رأي العين.

١٣. قبة الصخرة: تحقيقات في تاريخ عمارتها وترميمها.

وسبب تأليفها[2]: أن الملك فهد بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ هاتف الشيخ في مكتبه بهيئة كبار العلماء، ورغب منه الفتوى دون غيره من أهل العلم، وكان الاستفتاء في حكم إعادة ترميم مسجد قبّة الصخرة. فاستمهله الشيخ ريثما يبحث المسألة ويحرّرها، وبعد أيام أبلغه الشيخ بالجواز، وجمع رسالته هذه على إثرها.

١٤. أبحاث في الاعتقاد.

---

(١) وقد انتفعت بما كتبه الشيخان: سليمان العمير وجديع الجديع في خبر جملة من هاته الكتب.

(٢) ذكره لي عن الشيخ بكر الأستاذ دخيل الله العتيبي في أوراق كتبها لي.

١٥. ثبت الإجازات (عندي نسخة منه، ناولني إياه الشيخ كما ذكرت خبره آنفًا).

١٦. فائت الفقيه.

١٧. رفع الأجلة عن الغلط على الأئمة.

١٨. الدر الثمين في ترجمة الشيخ الأمين. لم يكمل.

١٩. ذكر الجنائز المشهودة.

٢٠. أخبار نقل الموتى من بلد إلى آخر للدفن وأسبابه.

٢١. من ذكر أنه رأى النبي ﷺ ورؤياه في ذلك.

٢٢. مجابو الدعاء.

٢٣. وقائع نزع الملكية لعموم مصلحة المسلمين.

٢٤. الأسباب الحاملة لبعض أهل العلم على طلبه[١].

٢٥. أخبار الحفاظ في حفظهم.

٢٦. معجم الجن المترجَمِين وأخبارهم والمؤلفات عنهم.

٢٧. العطل الأسبوعية والحولية[٢].

٢٨. عِزّة العلماء.

٢٩. نسَب بني زيد. (ذكره في طبقات النسابين ٣٤٠).

٣٠. تفسير القرآن، مختصر (العمل جارٍ على إخراجه).

٣١. رسالة في إبطال دعوة التقريب بين السنة والشيعة (طبعت أخيرًا).

٣٢. جزء في مؤذني النبي ﷺ ذكره الشيخ في مقدمة الأجزاء الحديثية ص٧، و(عندي نسخة منه).

٣٣. مسند الربيع بن حبيب، تأليف منحول على مؤلف مجهول (سيطبع قريبًا).

٣٤. ما قيل فيه: لا أصل له، وقد وقع له أصل.

---

(١) وقد جمعتُ فيها رسالة، يسر الله تبيضها.

(٢) من رقم ١٩ إلى هنا مذكور في مقدمة النظائر.

٣٥. من طريق السلف.

٣٦. ليس من طريق السلف.

٣٧. سيرة الشيخ ابن باز رحمه الله (ذكره لي).

٣٨. جزء في المفاضلة بين العمرة في رمضان و أشهر الحج.

٣٩. جزء في الذين دعا لهم النبيّ ﷺ. ذكر في مقدمة الأجزاء الحديثية ص٧.

٤٠. رسالة في حكم الصلاة على الغائب.

٤١. جزء فيه بعض أخباره وذكرياته. (ذكره ابنه عبد الله).

٤٢. المؤلفات المنحولة. (أي المسروقة) ذكره في (فقه النوازل ٢/ ١٣٠-١٣١) وقال: إنه جمع فيه طائفة كبيرة على حروف المعجم.

٤٣. اختيارات الألباني (ذكره عبدالعزيز السدحان و علي الحلبي).

٤٤. الإيراد على الألباني في المتن والإسناد (ذكره لي).

٤٥. مقيدات على كتابي: «القَصْد والأَمَم» و«الإنباه على قبائل الرواة» لابن عبد البر.

٤٦. أمالٍ وتعليقات على كتاب (المباحث الفَرَضية) للشيخ ابن باز. ووصفها بأنها مهمة[1].

٤٧. رسالة في الاستدراكات على كتاب «الأعلام» للزركلي. ذكره لي، وذكره في كتابه «تحريف النصوص» ص٢٠٦ ضمن الردود، وقال: إن نشطت جمعتُ ما هنالك في كتيّب مستقل.

٤٨. الإسلاميات والرثاء ومناسبات أخرى، وأبيات في المعاياة والألغاز.

٤٩. رسالة في شأن مَن قسّم السنن إلى صحيح وضعيف. يقصد العلامة الألباني في تقسيمه للسنن الأربع إلى صحيح وضعيف. ثم عدل عنها فيما علمت منه.

---

(١) المدخل المفصل ٢/ ٨٥٣.

٥٠. تحقيق نسبة المسانيد المنسوبة إلى أبي حنيفة، خاصة «جامع المسانيد» للخوارزمي. ذكره لي.

٥١. التعاون العلمي بين العلماء [1]، (وقضية التقاريظ).

أبناء الشيخ - وعلى رأسهم نجله الأكبر الشيخ عبدالله - حريصون على إخراج ما كان منها كاملًا، أو يصلح للإخراج. يسّر الله ذلك عاجلًا غير آجل.

* * *

(١) للمعلمي محاضرة بعنوان: (صفة الارتباط بين العلماء في القديم والحديث)، طبعت ضمن آثاره ١٥/ ٤١٥-٤٢٦ بتحقيقي.

ثمار الصحبة

قل الثقات فلا تركن إلى أحد فأسعد الناس من لا يعرف الناسا
لم ألقَ لي صاحبًا في الله أصحبه وقد رأيت وقد جربت أجناسا

- ١ -

بيني وبين الشيخ

- ذكرت سابقًا أن أول معرفتي بشيخنا كانت سنة ١٤١٦ بمدينة الطائف، وقد توثّقت العلاقة بسرعة ما كنت أطمح إليها ولا أتوقعها!
- من أهم الفوائد التي أذكرها لشيخنا: أن تعامله معي كان يشعرني بالثقة في النفس، والتشجيع المستمر، وكان يحثني على عدم التبعيّة لأحد إلا للدليل، مع الاستمرار في الطلب، وعدم التعجل في قطف الثمرة، والأناء في انتحال الأقوال والمذاهب، والبعد عن أصحاب الدعاوى العريضة والدعاوى الفارغة.
- وكان لي في ذلك الحين مشاريعي العلمية الخاصة، ولم أجرؤ أن أعرض شيئًا منها على شيخنا إلا بعد أن توثّقت الصِّلة (وما أسرع توثقها)، فلمّا اطلع على بعضها شجعني على الاستمرار في الكتابة، مع مزيد التوثق، وعدم العجلة في الإخراج، فكان لكلمات شيخنا وقعٌ كبير في نفسي، من عالم كبير ومؤلف خطير.
- عرضت على شيخنا أول عمل حققته وهو (مقدمة في مصطلح الحديث) للعلامة عبد القادر بن بدران الحنبلي (١٣٤٢)، فرآها وأثنى على عملي، وقيّد بعض الملحوظات عليها، وهذه الرسالة لم أطبعها لأسباب ليس هذا مكان ذكرها، وكان قد جعلها ابن بدران مقدمةً لمختصره لتاريخ ابن عساكر، وطُبِعت في أول مجلد منه[1].
- ثم عرضتُ عليه كتاب (القواعد والفوائد الحديثية من منهاج السنة النبوية) في مسوّدته، فبقي عنده أيامًا، وأثنى عليه، وقال لي: «هذا هو العلم» فطرت فرحًا بكلمته هذه، وبادرت إلى تبييضه، وعرضه للطباعة، وقد طبع بعد ذلك بيسير سنة ١٤١٧ عن دار عالم الفوائد،

(١) ثم رأيتها مفردة مطبوعة بعد أن أعرضت عنها بأكثر من خمسة عشر عامًا.

وكان من بواكير ما طبعتُ، ومن أوائل ما طبعَتْ الدار، والحمد لله على توفيقه.

- ثم عرضتُ عليه كتابي (العلماء الذين لم يتجاوزوا سن الأشد) وهو الذي اقترح هذا الاسم، ولم أجاوز اقتراحه، وكنتُ قد كتبت له مقدمة حافلة (باعتبار سني آنذاك، والوقت الذي كُتبت فيه، وجِدّة الموضوع)، نالت إعجابه[1]، وقال لي: أنا من سيطبعه لك، فأخذه مني ودفعه لدار العاصمة بالرياض، وكانت من أشهر الدور جَودة في الاختيار، وجمالًا في الإخراج، فطبع في مجلد سنة ١٤١٨.
- وقد توّج الشخ تشجيعَه لي وثقته بأن كتب تقديمًا لتحقيقي لكتاب (الروض الباسم في الذبّ سنة أبي القاسم ﷺ) لابن الوزير اليماني (٨٤٠هـ) في أربع صفحات عام ١٤١٩هـ، أثنى فيها على العمل وعلى محققه ولم يبق الكتاب عنده إلا أربعة أيام، ولما انتهى من التقديم قال لي: اذهب للبيت واستلمه من الوالدة، وقد كان على سفر حينها فذهبت وسلمتنيه والدة الشيخ رحمهما الله تعالى.
- ثم توّج ثقته بأن كنت ساعِدَه الأيمن في تدبير المشروعات العلمية لكتب الشيخين (ابن تيمية وابن القيم) ثم ما ألحق من المشاريع وهي (آثار الأمين الشنقيطي والعلامة المعلميّ) رحم الله الجميع، والتخطيط لها والقيام بما يلزم وقت غيابه، فكان هو القلب النابض والعقل االمدبّر، وكنتُ له السمع والبصر!

(١) وأذكر أنه قال لي في أول الأمر: «هذا أمرٌ يسير، تصفّح كتاب الزركلي واجمع التراجم».
ولم أتنبه لهذه الفكرة إلا بعد الانتهاء، فعدت أتصفح كتاب الزركلي، فاستدركت عشر تراجم جديدة، وكان جمعي للكتاب من خلال جرد كتب التراجم، وتقييد من نصوا على أنه مات شابًا أو دون الأربعين.

- ٢ -

أخبرني الشيخ

وهذه الفقرة أثيرةٌ على نفسي؛ لأنها مقيّداتٌ أحتفظ بها من أيامي الأولى مع الشيخ رحمه الله من أكثر من عشرين عامًا، كتبتُها في دفتر خاص، وسأوردها الآن كما هي إلا ما اقتضى إصلاح عبارة أو لفظ أو سياق أو مناسبة السؤال أو مكانه، وقد يبدو للقارئ (الآن) أن بعضها غير حريّ بالتقييد، أو أنه ليس من دقيق الفوائد ولا جليلها، فذلك يعود إلى المنتقِي (وهو أنا) لا إلى المنتقَى منه (وهو الشيخ)، ويعود أيضًا إلى وقت تدوينها والحاجة إليه في حينه، ويلاحظ أيضًا أن بعض هذه المقيّدات قد سبق ذكره أو الإشارة إليه في تضاعيف هذا الكتاب لمناسبة ما، فلا مانع من إعادته هنا لغرض التجريد من السياق لكل ما أخبرني به مما يصح إدراجه هنا من لطيف الأخبار ورائق الفوائد، فإلى ما هنالك:

- قال لي الشيخ - ونحن في السيارة -: لا ينبغي للطالب أن يسأل العالمَ إلا فيما أشكل عليه؛ لئلا يضيع وقتُه ووقتُ العالم فيما هو معلوم.
- وقال: إنه ذهب إلى الشيخ عبد العزيز ابن باز يومًا في حدود سنة (١٣٨٥هـ) فقال له الشيخ: ماذا عندك من الفوائد؟ فقلت له: عندي فائدة تحتاج إلى إجابة، وذكرتُ له اللغز المنظوم لرشيد الدين الفارقي الذي ذكره ابن عبد الهادي في «العقود الدرية»[1]. وأجاب عنه شيخ الإسلام ابن تيمية نظمًا، فكثير من الأبيات غير واضحة المراد والمعنى، وبها إشارات غير مفهومة! فقرأ على ابن باز بعض الأبيات فقال: هذه من الإشكالات.
- وقال - ونحن في السيارة أيضًا -: هناك فائدة كان الشيخ عبد الله بن

(١) ص: ٢١-٣١ بتحقيقي، واللغز في كلمة (العلم) وهذا واضحٌ نصَّ عليه العلماء، لكن الشأن في معاني كثير من الأبيات.

حميد رحمه الله ينقلها عن ابن القيم رحمه الله ولا يذكر مصدره فيها؛ ضنًّا بهذه الفائدة. وهي: أن المقّري الجد قال: شهدت شمس الدين ابن قيم الجوزية قيّم الحنابلة بدمشق، قد سأله رجل عن قوله عليه الصلاة والسلام: «من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجابًا من النار» كيف إن أتى بعد ذلك بكبيرة؟ فقال: موت الولد حجاب، والكبيرة خرق لذلك الحجاب، وإنما يكون الحجاب حجابًا ما لم يخرق، فإذا خرق فقد زال عن أن يكون حجابًا، ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «الصوم جنة ما لم يخرقها». فقال لي الشيخ: ثم وجدتها في «نفح الطيب»[1] للمقّري الحفيد.

- وأخبرني: أنه من نعمة الله على الحنابلة أن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم منهم، خاصة في نجد لعدم التوسّع في العلوم هناك قديمًا؛ فاستناروا بعلمهما الواسع. ولذلك قلّت حدّة التعصب عند الحنابلة لتحرّر الشيخين من الجمود على المذهب واتباعهما للدليل.
- وأخبرني - ونحن في السيارة -: أن أبا زُهرة في كتابه عن ابن تيمية قد تابع الكوثري في أن شيخ الإسلام ليس عربيًّا! قال: وقد وقفت على نصين للعلماء بأنه عربي (نُميري). الأول: التبيان لبديعة البيان لابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢هـ) (مخطوط). والثاني: الزيارات للعدوي، وهو مطبوع في المجمع العلمي بدمشق قبل أربعين سنة[2].
- وقال ـ وكنا نتحدّث عن الحافظ ابن حجر ـ: إن الحافظ في غالب أمره على الجادة، وقد يقع في بعض التأويلات في الصفات ، وأنه إن شاء الله معذور في ذلك لتحريه الحق، ولأن غالب شيوخه ومجتمعه

---

(١) ٥/ ٢٨١، وقد ساق الشيخ الخبر بمعناه، وسقته بنصه من النفح. وذكر القصة شيخنا في كتابه عن ابن القيم ص ١٨٧.

(٢) قلت: والترجمتان مطبوعتان ضمن (الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)، ص: و، لعلي العمران وعزير شمس.

على ذلك الاعتقاد، وأن مصر في عصر الحافظ لم يكن فيها من يظهر الاعتقاد الصحيح إلا إذا استثنينا المقريزي، مع أنه قد غلب عليه فن التاريخ.

- وأخبرني: أنه أَلَّف رسالةً في نقد كتاب «مسند الربيع بن حبيب» وسمّاها: «كتاب منحول على مؤلف مجهول». وأنه قد دَرَسه دراسة ممحصّة متأنية. وقد دفع هذه الرسالة إلى أحد مشايخ الإباضية الذين يعرفهم في مجمع الفقه الإسلامي ليرى رأيه فيها، وهل لديهم جواب عما ذكره؟ قال: فجاءتني رسالة منه أنهم قد اطلعوا على ما كتب، وأن الأدلة العشرة التي ساقها ضعيفة ومنقوضة، وطلبوا إليه أن يتريّث في نشر الرسالة، فأجابهم إلى ذلك. وبعد مدة طبعت رسالة في توثيق (مسند الربيع بن حبيب) والرد على مَن قدح في ثبوته، وذكروا أن الذي قدح فيه مقدوح فيه، فقد تكلم فيه الألباني... ولم يصرّحوا باسم الشيخ. قال الشيخ: فعزمت على إخراج الرسالة، وسأدرجها في كتابي «خبر الكتاب»[(١)].
- وأخبرني أنه يعمل الآن في تحقيق نسبة مسانيد أبي حنيفة إليه، وعن ثقة جامعيها، وهل اعتمدها الحفاظ والأئمة؟ خاصة «جامع المسانيد» للخوارزمي.
- وأخبرني أن عائلة ابن تيمية قد وُجد منهم من عاش في القرن الثالث عشر وهو ... صاحب المشيخة (ت١٢٠٦هـ). وقال لي: إنه اتصل بالشيخ حمد الجاسر وأخبره بذلك فقال: إنها مفاجأة غريبة. ثم أخبره حمد الجاسر بأن أحد أحفاد ابن قدامة موجود اليوم، وقد رآه في مجمع اللغة بدمشق، وأنه ألف كتابًا وأهداه له.
- وأخبرني أنه يتصل بالعلامة حمد الجاسر في أوقات متباعدة، وأن

(١) والرسالة ستطبع ضمن آثار الشيخ التي تقوم على إخراجها دار التأصيل، وأشرفت عليها علميًا.

للشيخ حمد طريقة معيّنة في التخاطب... من مراعاة اللغة والنحو النبرة المحبّبة في الكلام.

- وأخبرني أنه ينوي طباعة كتب الجرح والتعديل الصغيرة في حجمها، التي تضخّمت بعد تحقيقها، فصارت الرسالة التي في ٤٠ ص في ٦٠٠ص وزيادة، يعني الكتب التي حققها الشيخ عبدالفتاح أبو غدة؛ كالرفع والتكميل وغيره.
- وأخبرني أنه ندم على أمور:

  أنه لم يأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت١٣٨٩هـ).

  ولم يلقَ الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (ت١٣٨٦هـ).
- وقال لي: إن علم النحو سهل من جهة الدراسة والحفظ النظري، لكن صعوبته في التطبيق، والطريقة الأفضل للتمكن من ذلك هي أن تقرأ على شيخ قراءة ضبط وتعليل وإعراب؛ فتعرف لماذا رُفع هذا ولماذا خفض هذا...وهكذا.
- وقال: مما ينبغي على الطالب أن تكون (الآجرّومية) محفوظة له، وتكون في جيبه دائمًا.
- وأخبرني أنه بصدد جمع التعاون العلمي بين العلماء، وأن سبب إثارة الموضوع عنده قضية كتابة التقاريظ للمصنفات، لكنه لا يدري تأريخ هذه المسألة ومتى كانت بدايتها، وأن مما يدخل فيها أن عالمًا ألف كتابًا وعليه خطوط العلماء بتأييد قول المؤلف، والموافقة على ما كتب وأفتى.
- أخبرني أن (الفتاوى الحديثية) لابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ) مأخوذة في كثير من مباحثها من (الحاوي للفتاوي) للسيوطي (ت٩١١هـ) فيأخذ البحث من الحاوي ملخصًا له ومهذّبًا.
- وأخبرني أنه يجمع كتابًا في مصطلحات كتب التراجم والسير. وأنه قد

جمع فيه ما يزيد على مائتي لفظ. وذلك مثل قولهم: «كان رُحلة» «كان حُفَظَة».

- وأخبرني أن الشيخ المفتي محمد بن إبراهيم (ت١٣٨٩هـ) لما طُبع كتاب (الإنصاف) للمرداوي في الفقه الحنبلي أهدى نسخةً منه للشيخ عبدالرزاق عفيفي (ت١٤١٤هـ). ثم سأله الشيخ محمد عن الكتاب؟ فقال: لم أر فيه ﷺ إلا في المقدمة والخاتمة..! فقال له الشيخ: إنه مبنيّ على أقوال النبي ﷺ صحّ الاستنباط أو أخطأ.
- وأخبرني الشيخ أن أحد الطلاب حينئذٍ في الجامعة الإسلامية (وأصبح قاضيًا فيما بعد) سأل الشيخ عبد الرزاق عفيفي (١٤١٤هـ) عن الفرق بين «صمت، وسكت» اختبارًا! فغضب الشيخ ووبّخ السائل بكلام شديد، ثم لم يحد عن الإجابة، بل تكلم على الفرق بينهما وتوسّع في ذلك، كأنه راجع المسألة عن قرب...
- وأخبرني عن شيخه العلامة الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) أنه كان إذا بدأ في إيراد الدرس بدأ هادئًا ثم يلقي الجبة (البشت) عنه، ويغتلم غلمة شديدة كأنما هو في ساحة وغى.
- وأخبرني أنه لازم الشيخ الأمين عشر سنوات من عام (١٣٨٣هـ) إلى سنة وفاته (١٣٩٣هـ). لأنهم قد انتقلوا إلى المدينة عام (١٣٨٢هـ).
- وأخبرني أن أفضل طريقة في البحث خاصة لما يُجمع بالتتبع أن يُجعل لكل حرف من حروف المعجم دفترٌ خاصٌّ (ملف إفرنجي أو إضبارة) ثم كل ما وجد الباحث معلومة تتعلق ببحثه وضعها في حرفها المناسب. وقال لي: هكذا صنعتُ في «معجم المناهي اللفظية».
- وسمعته يذكر لأحد الباحثين الذين يُشرف عليهم في رسالة علمية أن الطريقة المثلى في البحث هي:

١. إحصاء الكتب والبحوث والدراسات وغيرها في المسألة أو البحث

المراد الكتابة فيه.

٢. قراءة المراجع وتدوين كل ما يتعلق برؤوس الموضوعات في البحث؛ تمهيدًا لتقسيمه إلى أبواب وفصول ومباحث. مع كتابة اسم الكتاب والصفحة ...وهذا لا يأخذ شيئًا وربما يكون في عدة أوراق.

٣. ثم يبدأ في كتابة المسائل وتحريرها، وذكر من سبقك في الباب، لتبدأ من حيث انتهوا.

٤. يمكن حينئذٍ البدء من أي موضوع في البحث سواء من أوله أو آخره إذا لم يكن للمسائل ترتيب بنائي. ويمكن أن يبدأ بالمبحث السهل ويتدرج حتى يستوي البحث على سوقه.

- أخبرني أن الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى أثنى على رسالة الشيخ في حدّ الثوب والإزرة. قال: وذلك بوجود المشايخ الثلاثة.
  قلت: ولعله يقصد المشايخ: الغديان والفوزان وآل الشيخ (أو اللحيدان).

- وأخبرني أيضًا أن الشيخ عبد العزيز قرأ رسالته «أدب الهاتف» وأمر بأن تطبع في مجلة البحوث الإسلامية. وقال لي: إن هذه الكتب كانت تُقرأ على الشيخ في السيارة، وأنه في بعض الأيام كان يقول له: وصلنا إلى صفحة كذا ....، وفي اليوم التالي: وصلنا إلى صفحة كذا...

- وأخبرني أن الشيخ علي حسين علي محقق كتاب «فتح المغيث» للسخاوي الطبعة السلفية ببنارس بالهند مكث في تحقيق الكتاب خمسة عشر عامًا.
  قلت: ولا أتحقق الآن هل كان هذا خبرًا من الشيخ بالواقع أو أنه كان يتوقع ذلك لجودة عمله وكبر حجم الكتاب ومشقة تحقيقه.

- وسمعته يقول: إنه من الواجب الآن على الخطباء في صلاة الجمعة أن

يترضَّوا على الخلفاء الأربعة؛ وذلك لأمرين:

الأول: تثبيت هذه العقيدة في قلوب الناس.

الثاني: من أجل عدم الالتفات لما يقال أو ينشر في ذم الصحابة من بعض الفرق الضالة أو الصحف المضلّة. وقاس ذلك على جعل بعض السلف مسألة المسح على الخفين من مسائل الاعتقاد وتضمينها عقائدهم.

- وأخبرني أنه قرأ «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية مرتين.

قلت: كان ذلك عام ١٤١٦هـ فلا أدري أقرأها مرة أخرى أم لا، وإن كنت أجزم أنه قرأ بعض أجزائها أكثر من مرتين.

- وأخبرني أنه قرأ كتاب «الأعلام» للزركلي أكثر من مرة. لا أدري أقال أربعًا أم ستًّا.

- وكنت سألته: ماذا تنصحني أن أقرأ في هذه المدة [١]؟ فقال:

أولًا: عليك بالتأصيل العلمي، فاجعل لك كتابًا في كل فن يكون هو العمدة لك في ذلك الفن، حتى إذا أتقنتَه وخبرتَه بدأتَ ببحث مسائله وتحقيقها وتنقيحها شيئًا فشيئًا.

ثانيًا: عليك بكتب الشيخين: ابن تيمية وابن القيم. وقال: إذا بدأت بقراءة الفتاوى فقد تستصعب بعض المباحث خاصة في المجلدات الأولى، لكنها ستسهل بعد ذلك.

- وذكر كلمةً للشوكاني: أنه لو اقتصر الإنسان على كتب الشيخين في علوم الشريعة لكفته [٢].

- وسألته: كيف أقيّد فوائدها؟ فقال: على الغلاف أسهل وأسرع.

- وأخبرني أن من أفضل طلبة العلم الذين يعتنون بالتأليف والتحقيق

---

(١) كان ذلك في منتصف عام ١٤١٦.

(٢) وقد قال لي أكثر من مرة: إنه قرأ هذه الكلمة للشوكاني لكنه فقد مصدرها؟ وقد بقيت زمنًا أبحث عنها حتى وقفت عليها، فقد ذكرها صديق خان في (أبجد العلوم).

في الأردن: الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان. وفي الكويت: الشيخ جاسم الفهيد الدوسري.

- وقال عن الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله: إن أهل عصره لم يعرفوا منزلته، فلم ينتفعوا بعلمه كما ينبغي.
- وقال لي: عندما خرج كتاب الشيخ الألباني «آداب الزفاف» عام ١٣٧٢هـ قرأه أحد المشايخ (أو قُرِئ على أحد المشايخ) فقال: هذا ليس بفقيه[١]. وكان الشيخ قد تخرج من الابتدائية في هذا العام كما أخبرني.
- وقال:لو كان الشيخ الألباني من قلب الجزيرة العربية لأحدث أضعاف التأثير الذي أحدثه الآن.
- وأخبرني أنه في إحدى زياراته للأردنّ اجتمع به بعضُ طلبة العلم وسألوه أيهما أعلم الشنقيطي أم الألباني؟ فقال الشيخ: الألباني صاحب فنّ والشنقيطي صاحب فنون.
- وقال لي: إنه أثناء دراسته في الجامعة الإسلامية لم ير الألباني يجالس (أو يناقش الشكّ مني) الشنقيطي أبدًا.
- وأخبرني أنه قد استدرك على الشيخ الألباني كثيرًا، وأن له كتابًا بعنوان «الإيراد على الألباني في المتن والإسناد».
- وقال لي يومًا: كل الناس تنتهي مشاريعهم العلمية إلا الشيخ الألباني فإن مشاريعه العلمية لا تنتهي[٢]!
- وقلت له: إن الشيخ الألباني يقول: إن السلسلة الضعيفة أقوى وأحكم من السلسلة الصحيحة بعد أن سُئل عن ذلك.

---

(١) هذا حكم جائر، ولعل هذا ما دعا الشيخ إلى التفكير في تأليف كتاب اسمه (معجم فقه الألباني)، للدفاع عنه ضد منتقصيه، أو من يبالغون في الحط عليه جملة.

(٢) ونقل د. عبدالوهاب الطريري في صفحته بتويتر عن شيخنا أنه قال عن كتب الشيخ الألباني: كأنها شيكات تطير بأيدي الناس!.
قلت: وكتب شيخنا كذلك، كتب لها القبول وطارت بأيدي الناس.

فقال لي: هذا واضح.

- واستشرته في إخراج كتاب في «طبقات الظاهرية»، فلم يرَ ذلك، وقال: ربما يكون حافزًا إلى الإعجاب بهذا المذهب والتمذهب به.
- وقال لي: من فوائد كتب الفقه المذهبية ما يخرج من أصحابها من الأدلة والحجج عند المناقشة والمعارضة؛ فتخرج كنوز يستفيد منها طالب الحق.
- وأخبرني أنه جَمَع الأحاديث التي لم يعمل بها الفقهاء، فبلغت ستين حديثًا. إلا أنه لم يسلم منها إلا القليل، فقد وُجِدَ من يقول بها وإن كان قليلًا، وأنه كان قد قدم هذا الموضوع لجامعة الإمام محمد بن سعود رسالة ماجستير.
- وأخبرني أنه ذهب إلى العراق أثناء الحرب العراقية الإيرانية في وفد المملكة يمثّل وزارة العدل وقال: إنه زار مكتبة المثنى ببغداد، وإنه اشترى منها عدة كتب كانت من مقومات مكتبته.

***

المراثي

كتب الشعراء مراثي عديدة، وغالب من كتب ممن لهم اشتغال بالعلم، فجادت قراحهم بقصائد تحكي ألم الفاجعة وصدق المشاعر، وقد انتقيت منها ثلاث مراثٍ، رأيت أنها قريبة الوصف صادقة اللهجة، ورأيت فيها من حسن السبك واعتدال المعنى ما يرشحها للإيراد هنا.

مرثية صالح بن علي العمري

لَحَا اللهُ دنيا لا يدومُ لها عهــدُ ... وفي أمْنها غدرٌ .. وفي قُربها بُعْدُ

وفي حلوها مُرٌّ .. وفي سعدها أسى ... وشانئهـا حُرٌّ.. وعاشقــها عبدُ

إذا جدّدت أبلتْ.. وإن بشّرتْ نعتْ ... وإنْ أضحكتْ أبكتْ وفي وصلها فقدُ

وأيامُها جهدٌ وكـربٌ وغصّـــةٌ ... وأولُّها ضعفٌ.. وآخرُها لحدُ

وإن رفعت أوهت.. وإنْ تمَّ عِقـدُها ... ففي غمضة الأجفانِ ينفرطُ العقدُ

وللموتِ من بين المقاديرِ وثبةٌ ... تضجُّ بها الشكوى.. ويشتعلُ الوجدُ

أبا زيد.. يا بكر المكارمِ والندى ... رحلتَ وفي أكفانكَ العلمُ والمجدُ

وقد كنتَ للأيــامِ قـرَّةَ عينها ... فيا ضيعة السلوى وقد عظُمَ الفقدُ

وقفتَ على صرح الفضيلة حارسًا ... وفي كفّك القرآنُ والعقلُ والرُّشدُ

وحليّت طُلابَ العلــومِ بحليـةٍ ... عقائقها الآيـاتُ والسُّنةُ العِقدُ

وكنتَ على الإفسـادِ سيـفا مُهندًا ... تجرّدَ في الرحمن ليس له غمدُ

ودبّجت في فقــه النوازل باقةً ... فما هي إلا النورُ والعطرُ والشهدُ

وجاءت سيولُ الغربِ تقتحمُ المدى ... فكنت لها سدّا.. ألا بورك السـدّ

وكم بدعةٍ غارت.. وكم سنّةٍ فشت ... وما أنت إلا الحقُّ والبذلُ والجدُّ

وفيٌّ خفيٌّ.. ما احتفيتَ بشُهرةٍ ... وأنت شعارُ الزهدِ ما ذُكرَ الزهدُ

وفي لفظكَ المسبوكِ يعشو شب الفلا ... وتُستنبتُ التقوى.. ويضوّعُ الندُّ

وعندك فصلُ القولِ إن ماجتْ الحجا ... وأنت سِقاءُ العلمِ إن قُصدت نجدُ

وفي وعظكَ الرقراقِ لينٌ وحكمةٌ ... وسيرتُكَ الأخلاقُ والعدلُ والقصدُ

مرضتَ وفي الأسقامِ طُهْرٌ ورفعةٌ ... وأنفاسكُ الأذكارُ والشكرُ والحمدُ

نغالطُ فيكَ السمعَ حُبًّا وخشيةً ... على أنَّ وِرْدَ الموتِ ليسَ له بُدُّ

فلمّا تناهى الخطب في كلِّ بقعةٍ ... وطابت -بإذن الله- في رِفدكَ الخُلدُ

تأسّى حبيبٌ.. واستراح منافقٌ ... فلا عاش من أزرى بوجدانهِ الحقدُ

أيا شيخُ تبكيكَ الدموعُ توجّدًا ... ويحملكُ الوجدانُ والأعينُ السُّهْدُ

عليكَ سلام الله ما أومضَ السّنا ... وما أمطرتْ سُحْبٌ وما أعبقَ الورد

وأسقى ثراك اليُمنُ والطيبُ والثنا ... وظللكَ الرضوانُ والبرُّ والسعدُ

رثاء د. عامر بهجت فدا

لقد ضجَّت الأقلامُ تبكي مع الحِبرِ وأمست دموع العلم في خده تجري
وأعلنت الكتبُ الحدادَ لفقده وزلزل أهل العلم والفقه والذكرِ
وأكباد طلاب العلوم تقرحت وليس لمن يدري ولم يبك من عذرِ
لقد مات حَبر من أئمة ديننا وذلك ثلم لا يسد إلى الحشرِ
لقد مات (بكر) ما أشد مصابنا بفقد إمام من أئمة ذا العصرِ
وليس بنزع العلم يحصل قبضُه ولكن بموت العالِمين أولي الذكرِ
لقد غاب بدرٌ ساطعٌ عن سمائنا وفي الليلة الظلماء يُحتاج للبدرِ
لقد كان كالنجم المضيء هداية ورجمًا شياطين الرذيلة والعهرِ
فلو كان في ملكي لأهديتُ راضيًا بغبطةِ المكتوبَ في الغيب من عمري
أيا رب فاجعله بخلد مخلدًا مع الرسل أهل العزم في جنة البرِّ
لئن مات ما ماتت جواهر علمه فتصنيفه في العلم باقٍ مدى الدهرِ
وقد فاق تصنيف الإمام بحسنه فكان كياقوت وعقد من الدرِّ
فقد أبدع الشيخ الجليل (نظائرًا) وضمَّنها من رائع العلم والفكرِ
وزيَّن طلاب العلوم بـ(حليةٍ) و(صحح للداعين) ما كان من نُكْرِ
وأتحف فقه الحنبلي بـ(مدخل فتفصيله) قد صار من أعظم الذُخرِ
وقرَّب عِلما قد قصى عن مريده (بتقريبه علمَ ابنِ قيمٍ) الحَبْرِ
وحرَّر (فقهًا للنوازل) ساطعًا وبيَّن (ما حقُ المؤلف) في السِّفْرِ

وأظهر (تغريبًا بألفاظ) عصرنا وأردى بأرباب (التعالم) للقبرِ

وكان على حصن (الفضيلة حارسًا) فلَوَّحَتْ الراياتُ بالفوز والنصرِ

وفرَّ دعاةُ العهر يبكون خيبةً يجرون أذيالَ الهزيمة والخسرِ

و(معجمه في النهي عن كل لفظة) مذممة من قولة السوء والهُجْرِ

وحذَّر (تصنيف العباد) جهالة و(أبطل خلط الحق مع ملل الكفرِ)

وفي مسجد المختار كم أمَّ أمَّة ودرَّس نصف العلم في حِلق الذكرِ

فرحماك ربي عدَّ أحرف كتبه وعدَّ رمال الأرض مع عدد القَطْرِ

ومهما أقُلْ في بكرنا في رثائه فإن مصاب الناس يربو على الشعرِ

وعذرًا فحبري في حدادٍ ولوعةٍ وسطرتُ بالدمع الرثاءَ على الحبرِ

رثاء د. محمد غيلان

شَجَا الأَيَّامَ فيهِ مَا شَجَانا وَناعِي المَوتِ فيهِ قدْ نعَانا

وساحَ الدَّمعُ مِن عَينِي مِرارًا وحارَ الشِّعرُ في صَدرِي وعَانى

وما يُوْفِيهِ مِن قَولي قَريضٌ ولا نَثرٌ مِنَ الخُطَبِ اسْتَبانا

وما أَبكِي الفضائلَ فيهِ وَحْدِي فكُلُّ النَّاسِ فيهِ قدْ بَكانا

تَلَفَّتَ مسجدُ المُختارِ حُزنًا وبَيتُ اللهِ يَشْكُو مِن شُكانا

وحالُ المُسلمينَ لهُ نَشِيجٌ وهالَ المَجْمَعَ الفِقهِيْ بُكانا

يَمُورُ الكونُ مِن حَولي ضجيجًا على (بَكْرٍ أبو زَيدٍ) زَمانا

أَتى المَقدُورُ شَيخًا عَبقَرِيًّا فَضَعْضَعَ رُكنَنا فِيما رَمانا

رَضِيُّ العِلمِ في العُلَماءِ ولَّى فأَوْهَى العزمَ مِنَّا والسِّنَانا

وكانَ اللهُ مَوْلَى كلِّ عِلمٍ أجادَ بِدَرْسِهِ وَلَهُ أَبانا

فَلِلعُلَماءِ عِندَ العِلمِ فَقدٌ وَيَشكُو الحالُ مِمَّنْ قَدْ تَفانى

وَيَرأَمُ عالِمًا للناسِ يَهدِي ويُصبحُ عِلمهُ فيهِمْ أَمَانا

وَيُعطِي الصَّادقِينَ مَقامَ صِدقٍ وَعندَ اللهِ أَعلاهُمْ مَكانا

وَمَن يحمِلْ معَ الإيمانِ تَقْوَى وَزادَ لِنَفسِهِ بالعِلمِ زَانا

فَحَيٌّ في الأَنامِ على سَريرٍ ويُرضِي ربَّهُ ويَرَى الجِنَانا

غِرَاسٌ قد تَرَعرعَ في هُدوءٍ سَقاهُ العِلمُ بالحِكَمِ الجُمَانا

وقضَّى وقتَهُ في الدَّرسِ حتَّى أَلانَ اللهُ ما استَعصَى، وهَانا

وكانَ مَسِيرُهُ في كلِّ بِرٍّ … أَبِيَّ النَّفْسِ، لا فَدْمًا جَبانا
أَسِيفَ الحالِ، لا تَلْقاهُ إلاَّ … لِثَوبٍ بالتَّواضُعِ قدْ أَزَانا
وسارَ المَجدُ في أَثوابِ طُهرٍ … إلى الرَّجُلِ العَظِيمِ ومَا تَوانى
فلَم يَعْبَأْ بِدُنيانا، ولكِنْ … أضاءَ القلبَ بالتَّقوَى وَلانا
ووظَّفَ ما حَباهُ اللهُ فِيها … فقامَ لِرَبِّهِ، وبِهِ استَعانا
أَتَى لِلعلمِ فذًّا أَلمعِيًّا … فَقوَّمَ دارِسًا وجَلَى بيَانا
وَحلَّلَ مُعضِلاتِ النَّحْوِ دَرسًا … وَمِنْ حُلَلِ الكِسائِيْ قدْ كَسَانا
وَمِن عِلمِ ابنِ حَنبلَ في خُشوعٍ … وفي تَقْوًى وفَهمٍ قدْ سَقانا
وفي فِقهِ الحَوادِثِ كانَ بَحرًا … وَعلمٍ في الوقائعِ لا يُدانى
خَدِينُ الوَحيِ والسُّنَنِ العَوالِي … وَفَهْمٍ للصَّحابةِ قدْ كَفانا
أَبو العبَّاسِ كانَ لَهُ إمامًا … ومِن عِلْمِ ابنِ قَيِّمَ قدْ رَوَانا
فكانَ مُعَلِّمًا في النَّاسِ يَحْمِي … ذِمَامَ الدِّينِ فيما قدْ عَنَانا
وَيَصْدَعُ بالحقيقةِ في زمانٍ … وَيُحْسِنُ فيهِ بالقَلَمِ الطِّعَانا
إمامٌ في (الفَضيلةِ) لا يُجارَى … (وَحِلْيَةَ طالبٍ لِلعِلمِ) زَانا
وَجَلَّى في (المَنَاهِي كُلَّ لَفظٍ … وَفي عِلمِ الدَّقائقِ قَدْ أَبَانا
حياةُ المَرءِ عِندَ النَّاسِ ذِكْرٌ … بِخَيرٍ أَوْ بِعَيبٍ قَد أَهَانا
فَذِكْرُ المرءِ بالأفضالِ خَيرٌ … وَبالسَّوْءاتِ يَغْدُو مُستَهَانا
فَلا كانَ الجَبانُ لَنَا قَرِيبًا … ولا كانَ الدَّعِيُّ لنا لِسَانا
فَمَا الأخلاقُ إلاَّ كهفُ حُرٍّ … وكانَ الدِّينُ والتَّقوَى أَمَانا

وَمَن كانَ الإلهُ لَهُ مُعِينًا تَيَسَّرَ أَمْرُهُ وهُدِي وَصَانا
إِلهِي، عَبْدُكُمْ أَوْفى إِلَيكُمْ وأنتَ بِحالهِ أَعلَى بيَانا
تَصَرَّمَ عُمْرُهُ فيكُمْ جِهادًا وكانَ بِعلمِهِ أَوْفَى سِنَانا
وَنَاضَلَ في حِمَى الإسلامِ حتَّى أبانَ مِنَ الحقيقةِ ما أَبَانا
أتاكَ وقَدْ قضَى عُمرًا كريمًا وأَنتمْ ذُخرُنا وبكُمْ رَجَانا
فَبالإحسانِ جازِ اليومَ (بَكْرًا) وبلِّغهُ معَ العَفوِ الجِنانا
وَحَسْبِي أنْ أُقدِّمَ في مَقالِي عزاءً في الإمامِ، وَلِي أمَانا
لكُلِّ المسلمينَ أنا مُحِبٌّ وأَهْلُ العِلمِ أعلَى الناسِ شَانا
وللعُلماءِ في قَلبي مكانٌ وإنْ قَصَّرتُ عِلمًا أوْ مَكانا
ولكِنْ لي رجاءٌ في إلهِي ومَن يرجُوهُ في خيرٍ أَعَانا
بأنْ أنْضَمَّ لِلعُلماءِ عِلمًا ويَبقَى الوَصْلُ في الدُّنيا حَنَانا
وَنُحْشَرَ مُخلصينَ وفي ظِلالٍ ورَبُّ العَرشِ نُورًا قد كَسَانا
معَ المُختارِ والصَّحبِ الكِرامِ ومِن حَوضِ الكَرامةِ قدْ سَقَانا
وَصَلَّى اللهُ عَدَّ النَّجمِ طُرًّا وسَلَّمَ ما أرادَ لِمُصطَفَانا

***



٣
المشروعات العلمية

مدخـل

لا أبعد إن زعمت أن من أعظم الأعمال التي قام عليها الشيخ هي تلك المشروعات العلمية الكبيرة لكتب طائفة من أعلام الإسلام ومحققيهم، عنايةً بها وتحقيقًا لنصوصها وطباعة لها لتكون بأيدي طلبة العلم بأقل التكاليف وأكثر الميزات، وهي:

- مشروع آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال. طبع منه حتى الآن (٣٣ مجلدًا) ولا يزال الإصدار لجديد ما يُكتشف من تراثه مستمرًا.
- مشروع آثار الإمام ابن قيم الجوزية. طبع منه حتى الآن (٤٧ مجلدًا)، ولا يزال العمل في تحقيق بقيته مستمرًا.
- مشروع آثار العلامة الشنقيطي. طبع كاملًا في حياة الشيخ في (١٩ مجلدًا).
- مشروع آثار العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. طبع كاملًا بعد وفاته في (٢٥ مجلدًا) عام ١٤٣٣.

الجميع حتى الآن في (١٢٦ مجلدًا).

وسأحكي هنا طرفًا مما يتعلق بهذه المشروعات الكبيرة؛ من حيث النشأة، وسير العمل، والمنهج وما إلى ذلك على سبيل الاختصار فأقول:

أما تراث الإمامين ابن تيمية وابن القيم فقد كان ملأ السمع والبصر في حياة الشيخ، وكان الشيخ قد حَرَث كتبهما حرثًا، واستخرج منها كنوزًا، وخدم ابن القيم بعدّة كتب، مِن ترجمته ومؤلفاته وموارده، وفقهه وعلومه، وكان يقول: «إن مجموع الفتاوى من غرر الدهر».

وكانت خدمة كتب الشيخين من الهموم التي لا يفتأ الشيخ يبحث عن أحسن السبل لخدمتها وتقريبها للناس، فمن ذلك أنه عزم على إنشاء مشروع بعنوان (علوم ابن القيم مصنَّفة من كتبه ورسائله وفتاويه) على نحو العمل

الموسوعي في القرن الرابع عشر الهجري: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّس الله روحه - وصدوره في (٣٧ جزءًا)، قوامه على جمع وترتيب: كتب، ورسائل، وفتاوى، ابن القيم -رحمه الله تعالى- مصنفةً على أبواب العلم في الفقه وغيره من العلوم، تقريبًا لمعارف هذا الإمام، وفقهه من تصانيفه الفذَّة المفيدة، التي طالما خفيت مواضعها على كثيرٍ من العلماء والباحثين. وبهاتين الموسوعتين، تكون أمام المسلم، عامةُ علومِ الشريعة، مستخرجةً من مشكاة الوحيين الشريفين. وستكون طليعة هذا المشروع المبارك بين يدي طلاب العلم قريبًا بإذن الله تعالى[1].

قلت: وممن علمتُه شارك في إعداد المشروع الشيخ يحيى الثمالي، وقد حدثني عنه لعله عام ١٤١٦، وأنه جهز منه نحو ٣ مجلدات.

لكن المشروع أوقفه الشيخ لأسباب لا أدري عن تفاصيلها وحقيقتها، لكن لعله كان يرى (كما يرى غيره) أن عامة كتب الشيخين لم تخدم الخدمة اللائقة بها، وكثر في الآونة الأخيرة التأكُّل بها وتشويه طباعتها، إما تجارة بزعم تحقيقها وطباعتها، أو اختصارها واختزالها، أو تنتيفها وإخراج مباحث منها دون إشارة، وقد أشار إلى كل ذلك في المدخل إلى آثار ابن القيم المطبوعة في مقدمة (بدائع الفوائد)، وفي رسالة (الرقابة على التراث).

من هنا جاءت فكرة إعادة تحقيق جميع كتب ابن القيم رحمه الله تحقيقًا يليق بمكانتها، مع توفيرها للناس بأسعار في متناول الجميع.

وأما كتب البحر ابن تيمية؛ فإنها كاسمه شهرةً وكعلمه سعةً وضخامة، لا يُدرى من أي النواحي يُبدأ بها، فجاءت فكرة وصْلِ جهود العلماء السابقين، وذلك بالاستدراك على (مجموع الفتاوى)، وإقامة مشروع تكون فكرة الاستدراك هي عُمدته ولُـحمته وسداه.. وفروع المشروع الأخرى مكملات ومتممات، كإعادة تحقيق ما تحرّف أو كان في نصّه نقص، وطباعة مختصراته

(١) أعلن عن هذا المشروع عام ١٤١٤، في الغلاف الأخير لكتاب (تصنيف الناس)، ومنه نقلت كامل الكلام هنا.

وتراجمه، كما هو مشروح في (المداخل إلى آثار ابن تيمية) ص ٩-١٣.

وفي يوم مِن غُرَر الدهر من أيام عام ١٤٢٠ في الدورة الحادية عشرة لمجمَع الفقه الإسلامي المنعقدة في البحرين أعلن الشيخُ بكر عن تبنّي المجمَع لطبع ونشر كتب ابن القيم[1] على نفقة أمير البحرين الشيخ خليفة بن عيسى.

ثم بعده بسنة أعلن عن مشروع آثار ابن تيمية، وبعده بسنتين عام ١٤٢٣ ضُمّ إليهما مشروعا آثار المُعلِّمي والشنقيطي.

ولم يتقدم المشروعُ كثيرًا في أول سنة ١٤٢٠ إلى منتصف سنة ١٤٢١، إذ كانت الفكرة في أولها، والمخطوطات لم تكن حاضرة كلُّها، والمحققون المتفرِّغون لم يتوافروا، وتوفي أمير البحرين سنة ١٤٢٠.

فكان من التوفيق لهذه المشروعات أن يسّر لها الداعم السخيّ؛ وهو الوجيه السَّرِيّ الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي عبر مؤسسته الخيرية، قال الشيخ بكر منوّهًا بذلك في (المداخل إلى آثار ابن تيمية) ص ١٠٢:

«لئن قعد الحظُّ ببعض من مضى عن جَمْعها ونسخها وترتيبها لقلة المال؛ فإنه - بنعمة من الله وفضل - قد تيسر ذلك في أول لقاء مع الوجيه السَّرِيّ الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي، صاحب اليد الطُّولى في فعل الخير والإحسان والبذل في المشاريع الخيرية الكثيرة. وموافقتُه على تمويل هذا المشروع المبارك هو من توفيق الله له؛ لأن هذا المشروع مما يعمّ نفعه ويمتدّ أثره، فتلهج الألسنةُ بالدعاء له. أجزل الله مثوبتَه».

فاجتمعت في صيف عام ١٤٢١ - بفضل من الله تعالى - أركانُ المشروع الأربعة:

١. الإشراف العام على المشروعات (الشيخ بكر أبو زيد).
٢. الباحثون المتفرِّغون.
٣. الداعم الملتزم (مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية).

---

(١) مقدمة الشيخ بكر لمشروع آثار ابن القيم، في أول بدائع الفوائد ١/ هـ.

٤. الجهة الإدارية (دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع).

فسار العملُ مِن حينها سِيرًا حثيثًا على منهج واضح وخطى ثابتة طيلة حياة الشيخ رحمه الله، ثم واصل الأمر مَن خلَفَه على النهج نفسه إن شاء الله تعالى.

وقد كان للشيخ رحمه الله تعالى وللقائمين على المشروعات أهدافٌ رئيسة من اختيار هؤلاء الأعلام وطباعة كتبهم، أهمها:

١. إن هؤلاء العلماء الأربعة المنتخَبين في هذه المشروعات من أئمة الإسلام الأعلام الذين انتفع الناس بعلومهم، وقد عُرِفوا بنقاء العقيدة، والعلم الغزير، والتفنّن في العلوم، وجودة التصنيف.

٢. تحقيق كتبهم على أحسن وجه، وخدمتها خدمةً تليق بمكانتها.

٣. طباعتها في أحسن شكل وأجمل حُلّةٍ، مما يُرغِّب الناس في اقتنائها وقراءتها.

٤. توفيرها بين أيدي طلبة العلم والراغبين فيها بأسعار مخفضّة، لتتداول على أوسع نطاق.

٥. نشرها في كل أنحاء العالم الإسلامي تحت مظلّة مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

وقد شَرَح الشيخ التصوّرَ العام لطريقة إخراج هذه الموسوعات العلمية في غير ما مناسبة؛ كما في (المداخل إلى آثار ابن تيمية) وهو مطبوع في مجلد لطيف، و(مقدمته لآثار ابن القيم) وهي مطبوعة في أول إصدارات هذه كتب ابن القيم في مقدمة (بدائع الفوائد).

وكان رحمه الله شديد الحرص على هذه المشروعات، دائم المتابعة لسير العمل فيها من كلّ الجهات، سواء من حيث اختيارها ابتداءً، ومن حيث انضباط خطة العمل فيها، وتوحيد المنهج المتبع في تحقيقها، واختيار الباحثين والمُحَكّمين، حتى تفاصيل ما يتعلّق بالطباعة والخط، فكان حاضرًا في كل ذلك بالتوجيه والتسديد وحل الإشكالات والإشارة، وهذا هو معنى

الإشراف على المشروعات العلمية.

كنتُ ذكرت في عدة مناسبات أن الحديث عن تفاصيل هذه المشروعات طويل الذيل، وكنت وعدت بأن أفسح له القلم في مناسبة تليق به لا يضيق فيها الكلام عن الشرح والبيان، ولم تحن هذه المناسبةُ بعد، فلعلي هنا أقتضب عيون الكلام ومقاصده التي تفي بالتعريف به، ونحن نتحدث عن رائدها وقائدها، ومن نهضت بدعمه وتشجيعه رحمة الله عليه.

وقد بلغ مجموع ما طبع من مجلّداتها مئة وستة وعشرين مجلدًا (١٢٦)، ويتوقع أن يصل العدد نهاية المشروعات إلى نحو مئة وخمسين (١٥٠) مجلّدًا.

وقد لقيَتْ هذه المشروعات - بحمد الله - قبولًا واسعًا لدى أهل العلم وطلابه، وشهد لها مَن لهم فضلُ عنايةٍ بالتحقيق والعلم بجودة العمل، وجمال الإخراج، وصحة المنهجية وضبطها واطرادها، فالحمد لله على توفيقه.

وفي طول مدّة المشروع لم يكتب القائمون عليه تعريفًا به على أهمية ذلك، ولم يوضّح للجمهور تفاصيل منهج التحقيق لآثار هؤلاء الأئمة، وإن كان الشيخ في مقدمات المشروعات قد أشار إلى لمع من ذلك، وأشرنا في مقدّمات الكتب المحققة إلى طرف صالح من ذلك؛ فكتبنا هذا التعريف المختصر الوافي بالمقصود ليوضح الصورة ويجليها، وينتفع به مَن شاء مِن القرّاء، ويبقى وثيقةً تؤرّخ لهذه المشروعات العظيمة.

وعليه فسيكون التعريف بها تحت عنوانين رئيسين:

تعريفٌ مختصر بالمشروعات، وذِكْر ما طبع منها حتى هذه السنة ١٤٣٨.

المنهج المتبع في تحقيق كتب هذه المشروعات.

***

التعريف بالمشروعات العلمية وذكر ما طبع منها

أولًا: مشروع آثار ابن تيمية وما لحقها من أعمال:

في «المداخل إلى آثار ابن تيمية» للشيخ بكر أبو زيد شَرْحٌ مفصّل عن هذا المشروع وأهدافه ومجالاته نلخّص منه ما يفي بالغرض هنا.

الهدف من المشروع:

هو وَصْل جهود المصلحين في نشر تراث هذا الإمام وإخراجه للناس محققًا مخدومًا.

انحصار المشروع في أقسام أربعة:

١. طَبْع ما لم يسبق طبعه، وهو الجوهرة المفقودة والدرة المنشودة.
٢. تحقيق بعض ما سبق طبعه مما اعتوره النقص أو التحريف.
٣. ما لحقها من أعمال، كالاختصار والاختيارات والشرح والتعليق وغيرها.
٤. جَمْع سيرته المباركة.

وكانت اللبنة الأولى لهذا المشروع مجموعة فيها ثمانية مجلدات مع «المدخل» المذكور آنفًا، وهي:

مجلد ضخم في سيرة ابن تيمية، سمّيناه «الجامع لسيرة شيخ الإسلام خلال ثمانية قرون» جمع علي بن محمد العمران و محمد عزير شمس، كان قد طُبع قبل بدء المشروع ثم أُدرجَ فيه.

أربع مجلدات من «جامع المسائل»، وهي مما جمعه محمد عزير شمس من رسائل وفتاوى شيخ الإسلام على مدى سنين قبل بدء هذا المشروع.

مختصر الاقتضاء وإبطال التحليل، كلاهما للبعلي، وهما من تحقيق علي ابن محمد العمران.

ثم انطلق العمل في باقي ما عُثر عليه من كتب الإمام ابن تيمية، سواء كان بدلالة الأفاضل من الباحثين، أو مما عثرنا عليه من خلال البحث وتصفُّح

الفهارس أو المجاميع الخطية... وهكذا، حتى اكتمل طبعُ واحدٍ وعشرين مجلدًا في خلال هذه السنوات، ولعله يتمّ في أكثر من ثلاثين مجلدًا.

وهذا مَسْرَد بالكتب التي طُبِعت من آثار ابن تيمية:

١. المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.
٢. الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع محمد عزير شمس وعلي ابن محمد العمران.
٣. جامع المسائل (المجموعة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة) تحقيق محمد عزير شمس.
٤. جامع المسائل (المجموعة السابعة)، تحقيق علي بن محمد العمران.
٥. جامع المسائل (المجموعة الثامنة)، تحقيق محمد عزير شمس.
٦. المنهج القويم في اختصار اقتضاء الصراط المستقيم، اختصره البعلي، تحقيق علي بن محمد العمران.
٧. مختصر الصارم المسلول، اختصره البعلي، تحقيق علي بن محمد العمران.
٨. شفاء العليل في اختصار إبطال التحليل، اختصره البعلي، تحقيق علي ابن محمد العمران.
٩. اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية للبرهان ابن القيم ولابن عبد الهادي، تحقيق سامي بن محمد جاد الله.
١٠. تنبيه الرجل العاقل على الجدل بالباطل، مجلدان، تحقيق محمد عزير شمس وعلي بن محمد العمران.
١١. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق علي بن محمد العمران.
١٢. الرد على أبي الحسن الشاذلي، طبع ناقصًا أول مرة، ثم وجدناه كاملًا

وطبع سنة ١٤٣٨، تحقيق علي بن محمد العمران.

١٣. جواب الاعتراضات المصرية (قطعة منه)، تحقيق محمد عزير شمس.

١٤. العقود الدرية لابن عبد الهادي. تحقيق علي بن محمد العمران.

١٥. تكملة الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع وإعداد علي بن محمد العمران.

١٦. شرح العمدة، تحقيق محمد الإصلاحي، وعلي العمران، وعزير شمس. خمسة مجلدات.

١٧. الرد على السبكي في مسألة الطلاق المعلق، تحقيق عبد الله المزروع، مجلدان.

١٨. الانتصار لأهل الحديث (نقض المنطق)، تحقيق عبدالرحمن قائد، مجلد.

١٩. اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية لدى تلاميذه، جمع سامي جاد الله، مجلدان.

٢٠. جامع المسائل (المجموعة التاسعة)، تحقيق عبد الرحمن قائد، مجلد.

ثانيًا: مشروع آثار العلامة ابن قيم الجوزية، وما لحقها من أعمال:

كتب العلامة بكر أبو زيد مقدمة مقتضبة لهذا المشروع في صَدْر أول كتاب نُشر منه وهو «بدائع الفوائد»، فذكر فيه أن كتب الإمام قد طُبعت وتتابع طبعُها من أكثر من مئة عام في شتى بقاع العالم الإسلامي... إلا أنه شاب هذه الأعمال شوائب من حيثُ العنايةُ بها وتحقيقُها أو تقطيع الكتاب الواحد إلى عدة كتب... إلى غير ذلك، فكان من مهمة هذا المشروع: طباعة جميع كتب الإمام وتحقيقها تحقيقًا علميًا لائقًا؛ وذلك بتوفير أفضل النسخ الخطية في العالم، والتعليق عليها بما يخدمها ويوضّح مقاصدها، وكتابة مقدمات تعرّف بكل كتاب وتكشف مزاياه، وصُنْع فهارس كاشفة مفصلة لعلومه وخباياه.

وكانت باكورة هذا المشروع صدور مجموعة في ثمانية مجلدات نُشِرت منتصف سنة ١٤٢٤، ثم تتابعُ طبع كتبه الأخرى، فبلغ عدد ما طُبع منها حتى كتابة هذه الأسطر سبعة وأربعين مجلدًا.

وهذا مسرد بالكتب التي طبعت من آثار ابن القيم:

١. بدائع الفوائد، تحقيق علي بن محمد العمران، خمس مجلدات.
٢. الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، تحقيق عبد الرحمن بن حسن قائد.
٣. جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، تحقيق زائد ابن أحمد النشيري.
٤. مجموع الرسائل، وفيه:
- الرسالة التَّبُوكية. تحقيق محمد عزير شمس.
- رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، تحقيق عبد الله بن محمد المديفر.
- إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، تحقيق عبد الرحمن بن حسن قائد.
- فتيا في صيغة الحمد. تحقيق عبد الله بن سالم البطاطي.

٥. الكافية الشافية، تحقيق (محمد العريفي، وناصر الحنيني، وعبد الله الهذيل، وفهد المساعد) وتكميل وتنسيق محمد أجمل الإصلاحي، ثلاثة مجلدات، ومجلد خاص بالقصيدة مجرّد من التعليقات.
٦. الفروسية المحمدية، تحقيق زائد بن أحمد النشيري.
٧. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق نايف بن أحمد الحمد، مجلدان.
٨. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تحقيق زائد بن أحمد النشيري، مجلدان.
٩. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق يحيى بن عبد الله الثمالي.

١٠. طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، تخريج زائد بن أحمد النشيري، مجلدان.

١١. التبيان في أيمان القرآن، تحقيق عبد الله بن سالم البطاطي.

١٢. عِدَة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق إسماعيل بن غازي مرحبا.

١٣. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق عثمان جمعة ضميرية.

١٤. الداء والدواء، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، وتخريج زائد بن أحمد النشيري.

١٥. الفوائد، تحقيق محمد عزير شمس.

١٦. كتاب الصلاة، تحقيق عدنان بن صفا خان البخاري.

١٧. رفع اليدين في الصلاة، تحقيق علي بن محمد العمران.

١٨. اجتماع الجيوش الإسلامية، تحقيق زائد بن أحمد النشيري.

١٩. تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق عثمان جمعة ضميرية.

٢٠. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق محمد عزير شمس.

٢١. مفتاح دار السعادة، تحقيق عبد الرحمن بن حسن قائد، ثلاثة مجلدات.

٢٢. إغاثة اللهفان، تحقيق محمد عزير شمس، تخريج مصطفى سعيد إيتيم، مجلدان.

٢٣. كتاب الروح، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، مجلدان، تخريج كمال بن محمد قالمي.

٢٤. الكلام على مسألة السماع، تحقيق محمد عزير شمس.

٢٥. أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، ومحمد عزير شمس، وتخريج ثلاثة من الباحثين. ستة مجلدات.

٢٦. تهذيب سنن أبي داود، تحقيق علي العمران، ونبيل السندي، ثلاثة مجلدات.

٢٧. زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق الإصلاحي، وعزير شمس، وعلي العمران، ونبيل السندي.

ثالثًا: مشروع آثار العلامة محمد الأمين الشنقيطي:

بداية فكرة هذا المشروع كانت في سنة ١٤٢٣ ولم تكن الخطة تقضي إلا بطباعة كتاب «أضواء البيان»، فلما شرعنا في صفّه ومراجعته ظهرت أخطاء وتصحيفات كبيرة تتطلب المزيد من المراجعة والمقارنة بالأصول والرجوع إلى دواوين الشعر والمنظومات العلمية.

رأى الشيخُ بكر حينها أنه من الخير أن يُسنَّ بباقي كتب الشيخ ما صُنِع بـ«أضواء البيان»، ويكون العمل على إخراج تراث الشيخ كاملًا، وبدأ المشروع بحمد الله، وكان العمل فيه يقضي بأن قسمنا الكتبَ إلى قسمين.

ما وجدنا له أصلًا خطيًّا أو مسموعًا، فهذا عَمِلنا على تحقيقه.

ما لم نجد له أصلًا، وكتب هذا القسم كلها طُبعت في حياة مؤلفها، فهذه صُحِّحَتْ ورُوجعت دون تعليق إلا في أضيق الحدود، كما شرحنا ذلك في مقدمة المشروع، وقد استمرّ العمل فيه أكثر من ثلاث سنوات، وطُبع كاملًا سنة ١٤٢٧ في حياة شيخنا، ولله الحمد والمنة.

وهذه عنوانات كتب الأمين الشنقيطي:

١. أضواء البيان في تأويل القرآن بالقرآن[١]، سبع مجلدات.
٢. العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، تحقيق خالد بن عثمان السبت، خمس مجلدات.
٣. دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، ومعه رسالة «منع جواز المجاز في المنزَّل للتعبّد والإعجاز».
٤. شرح مراقي السعود، تحقيق علي بن محمد العمران، مجلدان.

---

(١) ولم نطبع معها تكملة الشيخ عطية سالم؛ لأن المشروع خاص بآثار الشيخ الأمين، رحم الله الجميع.

٥. مذكرة في أصول الفقه على «روضة الناظر».
٦. آداب البحث والمناظرة، تحقيق سعود بن عبد العزيز العريفي.
٧. رحلة الحج.
٨. مجلد فيه: الرحلة إلى إفريقيا، تحقيق خالد بن عثمان السبت، ومعه «الفتاوى» تحقيق سليمان بن عبد الله العمير، و«المحاضرات» بمراجعتي.

رابعًا: مشروع آثار العلامة عبد الرحمن المُعلِّمي:

وهذا المشروع بدأ أيضًا في سنة ١٤٢٣، وهدفه طباعة جميع كتب العلامة عبد الرحمن المُعلِّمي (ت١٣٨٦) رحمه الله، وما كنّا نتوقّع حجمَه الحقيقيّ ولا مقدار الجهد الذي سيُبذل فيه إلا بعد أن أمضينا فيه وقتًا، لكنا استعنّا بالله في المضيّ فيه قُدُمًا رغم الانشغال الكبير بباقي المشروعات السالفة.

فرسمنا خطة من سبع مراحل، وهي: تصوير وجَمْع مخطوطات الشيخ، ثم نسخها، ثم إدخالها على الحاسوب، ثم مرحلة التحقيق، ثم التحكيم، فالفهرسة، فالمراجعة النهائية.

وقد شرحتُ كل تلك المراحل بالتفصيل في «المدخل إلى آثار المُعلِّمي»: (١/ ١٤- ٢٩).

فتمّ المشروع بحمد الله وتوفيقه، وطُبع كاملًا في ٢٥ مجلدًا مطلع عام ١٤٣٤، واغتبط به أهل العلم وطلابه.

وهذه عنوانات آثار المُعلِّمي بحسب ترتيبها:

١. المدخل (مقدمة المشروع، وترجمة الشيخ، والرسائل المتبادلة)، تأليف وتحقيق علي بن محمد العمران.
٢. كتاب العبادة (رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله والفرق بين التوحيد والشرك بالله)، مجلدان، تحقيق عثمان بن معلم محمود.
٣. تحقيق الكلام في المسائل الثلاث، تحقيق علي بن محمد العمران،

ومحمد عزير شمس.

٤. عمارة القبور (مبيّضة ومسوّدة)، ومعها يُسر العقيدة الإسلامية، تحقيق علي بن محمد العمران.

٥. مجموع رسائل العقيدة، تحقيق عدنان بن صفاخان البخاري.

٦. مجموع رسائل التفسير، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي.

٧. الرد على الفراهي في تفسير سورة الفيل، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي.

٨. مجلد فيه: طليعة التنكيل، وتعزيز الطليعة، وشكر الترحيب، تحقيق علي بن محمد العمران.

٩. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، مجلدان، تحقيق علي بن محمد العمران، ومحمد أجمل الإصلاحي، ومحمد عزير شمس.

١٠. الأنوار الكاشفة لما في كتاب «أضواء على السنة» من الزلل والتضليل والمجازفة، تحقيق علي بن محمد العمران.

١١. كتاب الوحدان، تحقيق علي بن محمد العمران.

١٢. تراجم منتخبة من «التهذيب» و«الميزان» والتعليق عليها، تحقيق علي بن محمد العمران.

١٣. مجموع الرسائل الحديثية، تحقيق علي بن محمد العمران.

١٤. مجموع رسائل الفقه، ثلاث مجلدات، تحقيق محمد عزير شمس.

١٥. مجموع رسائل أصول الفقه، تحقيق محمد عزير شمس.

١٦. مجموع رسائل النحو واللغة، تحقيق أسامة بن مسلم الحازمي.

١٧. معجم الشواهد الشعرية، تحقيق محمد عزير شمس.

١٨. الخطب والوصايا، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي.

١٩. مجموع رسائل في تحقيق النصوص، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي.

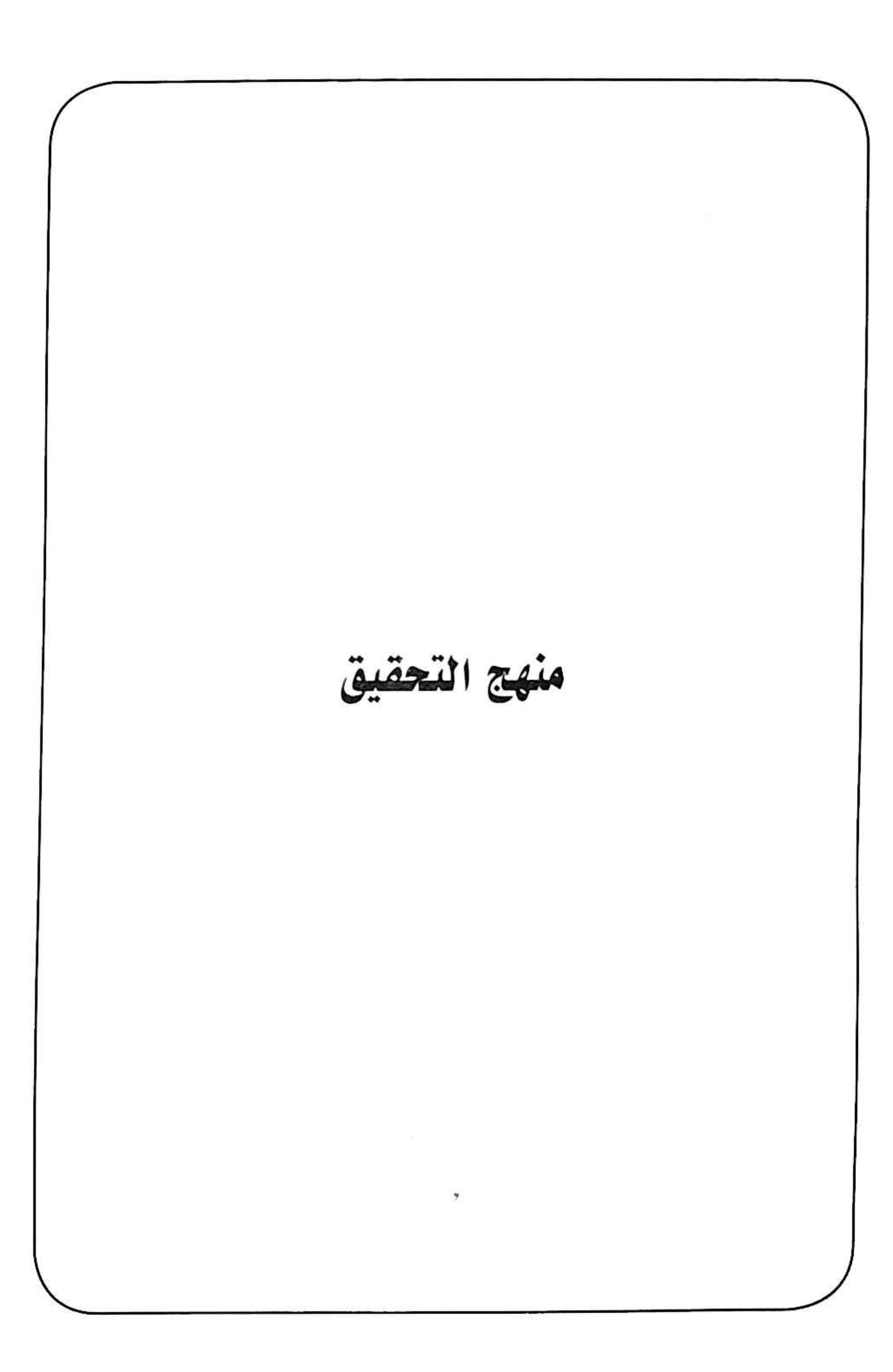
٢٠. فوائد المجاميع، تحقيق علي بن محمد العمران، ونبيل بن نصار

السِّندي.

٢١. المقدمات وما إليها، تحقيق علي بن محمد العمران.

ولم يبق للشيخ إلا ما لا يصلح للطبع؛ لنقصٍ شديد، أو بتر في أوراقه، وما إلى ذلك، سوى ديوانه، لأسباب شرحناها في المدخل إلى آثاره، فينظر، وإلا رسائل شخصية وصلت بعد طبع الموسوعة.

***



منهج التحقيق

في عام ١٤٢١هـ بدأ العمل في مشـروعَي تراث شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨) والإمام ابن قيم الجوزية (ت٧٥١) رحمهما الله تعالى بإشراف الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد (ت١٤٢٩هـ) رحمه الله، ثم بعد نحو سنتين أُلْـحِق بهما مشروعَا الإمامين الشنقيطي والـمُعلِّمي رحمهما الله تعالى.

وقد التزمنا في المشروعات منذ انطلاقتها منهجيّةً واضحةً مطّردة في تحقيق نصوص الكتب التي اضطلعنا بها، وهذه المنهجيّة وإن لم تدوّن في بادئ الأمر إلا أنها كانت متفقًا عليها بين المشرف العام على المشروع والباحثين الرئيسين فيه حيث نوقشت في جلسات مختلفة مع الشيخ، مع تطابق وجهات النظر في فكرة التحقيق والطريقة المتبّعة لكل.

وكنتُ قد كتبت عدةَ مرّات في أثناء العمل في تلك المشروعات صورةً للمنهج الذي تسير عليه، ورفعتُها إلى شيخنا رحمه الله للنظر فيها والتوجيه حيالها، فأقرّ جميع تلك الأكتوبات مع إصلاحات وتعديلات متعددة، فكانت هي الخطوط العريضة التي يسير عليها الباحثون في تحقيقهم لجميع كتب المشروع. وهي إن شاء الله وافية بالحاجة، إضافة إلى استشاراتٍ مع الشيخ متكررةٍ في طول فترة العمل في غالب تلك المشروعات.

وهذه قائمة ببعض تلك المكاتبات والاعتمادات التي سلف ذكرها بخصوص منهجية العمل في تواريخ مختلفة:

اعتماد بخط يده مؤرخ في ١٨/ ١٢/ ١٤٢٥هـ للمنهج المتبع في التحقيق، للعمل في كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم.

اعتماد بخط يده مؤرخ في ٨/ ٤/ ١٤٢٨هـ لخُطَّة العمل في كتب الشيخ المُعلِّمي.

توجيه بخط يده مؤرخ في ٩/ ١١/ ١٤٢٨هـ عن استفسارات منهجية في التحقيق وطريقة سير المشروعات.

والآن صغت من تلك الأوراق والمقيّدات والاستشارات والخبرة العملية منهجًا متكاملًا من أول عملية التحقيق إلى أن يكون الكتاب جاهزًا للطباعة، وتحت كثيرمن الفقرات تفاصيل محلها كتاب أوسع وشرح أبسط.

وهذه القواعد هي التي تُعطَى للباحث حال التحاقه بفريق التحقيق؛ لتكون معالم يسير عليها ومحددات ينطلق منها.

فإلى هذه القواعد الضابطة.

قواعد التحقيق

الهدف الأساس من التحقيق هو الخروج بنص سليم للكتاب المحقق، أقرب ما يكون إلى ما تركه المؤلف، وعليه فإن الاعتناء بنص الكتاب يستلزم خدمته على النحو التالي:

أولًا: جمع النُّسخ:

جمع نُسخ الكتاب المخطوطة والاستقصاء في ذلك ما أمكن، سواء بالتصوير الورقي أو على الأقراص المدمجة (CD) بالشراء عبر الوسائط المتاحة.

إن كان الكتاب مطبوعًا فتُجْمَع طبعاتُه، ويعتنى بالقديمة لأجل النظر في إمكانية الاستفادة منها، خاصة إذا تبين أنها اعْتَمَدت على مخطوطات لم نقف عليها الآن.

ثانيًا: ترتيب النُّسخ:

ترتيب النُّسخ كما يلي:

- تقديم النسخة التي بخط المؤلف وجعلها أصلًا.
- تليها النسخة التي قُرئت عليه وعليها خطه.
- ثم النسخة المقابلة على نسخة المؤلف.
- ثم النسخة التي عليها سماعات على العلماء.
- ثم النسخ الأخرى من الكتاب، ويُنْظَر إليها باعتبارات متعددة، كاكتمالها وصحتها وقِدَمها وجودتها وقلة أخطائها.
- إذا كانت النسخ قريبة من بعضها في القيمة العلمية فنختار منها ما يكفي لإخراج نصّ سليم، مع مراجعة النسخ الأخرى إذا ما لزم الأمر.
- عدم الإكثار من النسخ إذا كانت متقاربة في الجودة، ولا تفيد كثرتها النصّ، أو كانت سيئة، لكي لا تثقل الهوامش بفروق النسخ.
- أما إذا كانت العمدة على نسخة واحدة فريدة، وهي في الغالب مظنة

للخطأ والزلل مهما علت جودتها، فيدعو ذلك إلى العناية بها عنايةً خاصة.

- استبعاد النسخ السقيمة التي لا تفيد النص.

ثالثًا: التحقيق:

يسبق عملية التحقيق أمران:

١. التحقّق من عنوان الكتاب.

٢. التحقّق من نسبته إلى المؤلف.

ومن ثَم تبدأ عملية التحقيق في خطوات عديدة:

- نسْخ الكتاب بخطّ اليد، أو مقابلته على النسخ إن كان مطبوعًا من قبل.
- نسخ الكتاب من خط اليد إلى الحاسوب عبر برنامج وورد بخط اللوتس.
- مقابلة المنسوخ على أصله المخطوط للتأكد من عدم وجود سقط.
- مقابلة نسخ الكتاب المختلفة، وتقييد الفروق بين النسخ ووضع رمز لكل نسخة،تمهيدًا لاختيار نصّ سليم.
- عدم تغيير شيء في الأصل المختار إلا عند الضرورة، وفي أضيق الحدود، مع التنبيه إلى ذلك في الهامش.
- التنبيه في الهامش إلى ما في الأصل من بياض أو لَـحْقٍ غريب في غير مكانه، أو تصحيف، أو قراءة محتملة.
- الإشارة إلى الفروق بين النُّسخ غالبًا ، إذا كانت مؤثرة في النص.
- إيراد الحواشي المقيَّدة في حواشي النسخ إذا كانت مفيدة وتخدم غرض الكتاب في الهامش كما هي، مع الإشارة إلى تمييزها إذا اختلف المعلقون.
- ضبط ما يحتاج إلى ضبط من نصوص الكتاب والعناية بما يشكل، سواء كان ضبط قلم أو ضبط حروف.

- العناية بعلامات الترقيم والاقتصاد فيها دون مبالغة أو تفريط.

رابعًا: تقسيم النص وترقيمه:

- ترقيم ورقات المخطوطات ـ إذا لم تُرقم من قِبل المفهرسين في المكتبة ـ وإيراد الترقيم داخل نص الكتاب هكذا [ق/ ٣٣] ـ ويعني: الورقة رقم ثلاثة وثلاثين ـ أو بدون (ق) مع تحبير الرقم وتصغير الخط.
- المحافظة على تقسيم المؤلف لكتابه وترتيبه (الكُتب ـ الفصول ـ المسائل...) إن وُجدت.
- تقسيم النص إلى فقرات، لأجل ترتيب أفكاره وموضوعاته، مع مراعاة الاقتصاد في التقسيم أو وضع العنوانات الفرعية إذا لزم الأمر.
- عند الحاجة إلى تقسيم نص طويل، يوضع له عنوان بين قوسين هكذا [ ] كما في بدائع الفوائد، وهذا قليل بل نادر.

خامسًا: الرسم:

- إثبات رسم همزة القطع حيثما وُجدت.
- إثبات الشدة في الكلمات التي يحصل فيها لبس.
- عدم اختصار ما لا يصح اختصاره، مثل ألفاظ: تعالى، صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنه.
- الإبقاء على اختصار ما يصح اختصاره، مثل: اهـ (انتهى)، إلخ (إلى آخره).
- الإبقاء على الرموز المصطلح عليها قديمًا كرموز أصحاب الكتب الستة (خ، م، د..) وهكذا، وفك بعض الاختصارات، مثل (حـ) وذلك بكتابتها: حينئذ.
- شكل ما يحتاج إلى الشّكْل، مثل:
  ١. الأحاديث النبوية.
  ٢. المبني للمجهول.

٣. تصريفات الأفعال.

٤. الغريب.

٥. أبيات الشعر.

سادسًا: الآيات والأحاديث:

- كتابة الآيات القرآنية برسم مصحف المدينة. ووضعها بين قوسين مزهّرين: ﴿﴾.
- عزو الآيات القرآنية بذكر رقمها واسم السورة في متن الكتاب بين معكوفتين بخط أصغر من خط المتن.
- تـخريج الأحاديث والحكم عليها:
- يُقتصر في تـخريج الأحاديث على «الصحيحين» إن كان فيهما أو في أحدهما.
- وإذا لم يكن الحديث فيهما أو في أحدهما، فيخرّج من المصادر بدون استقصاء لها، حيث يكتفى بالمشهور منها ـ كالستة أو التسعة ـ إلا لفائدة في الحكم على الحديث، أو لفظ يقتضي التنبيه عليه.
- ذكر اسم الصحابي راوي الحديث إذا لم يذكره المؤلف.
- الحكم على الحديث صحة وضعفًا، بنقل أحكام الأئمة المحققين وذلك بعد تـخريجه، وليس في صدر الكلام.
- تجنّب مناقضة حُكم المؤلف على الحديث بصورة فجّة، كأن يقول المؤلف: حديث صحيح، فيُعلق المحقق: بل ضعيف أو نحوها، وإنما يذكر ـ بعد تـخريج الحديث ـ مَن خالف المؤلف في الحكم عليه.
- تـخريج الآثار ونقل الحُكم عليها ـ إن وُجد ـ مع عدم التزام ذلك.
- إذا كان الكتاب حديثيًا، فترُقّم كُتبه وأحاديثه وآثاره.

سابعًا: الأقواس والرموز:

- وضع الآيات القرآنية بين قوسين مزهّرين: ﴿﴾.

- › النصوص الحديثية وأسماء الكتب توضع بين أقواس صغيرة هكذا « ».
- › قصر وضع الأقواس [ ] في الأصل على إضافة نص أجنبيّ عن المخطوط، أو مقحم في الأصل المختار.
- › وضع الجُمَل المعترضة بين خطّين قصيرين هكذا ـ ـ
- › عند الحاجة إلى الإشارة إلى السقط الطويل أو الجمل المحرّفة، يوضع قوس فوق آخر كلمة في النص المراد التعليق عليه، ويقال: «من قوله كذا إلى هنا ساقط من النسخة، أو وقع فيه تحريف»، بدون وضع أيّة أقواس على النص.

ثامنًا: الحواشي:

- › تخريج الأحاديث والآثار كما سبق تفصيله.
- › توثيق نصوص الكتاب بالعزو إلى مصادره ما أمكن.
- › توثيق الأشعار من الدواوين الشعرية وغيرها.
- › تجنُّب استعمال عبارات (قلت) ونحوها في الهوامش، سواء في التعقيب أو في التـخريج إلا في حالات يقدّرها الباحث.
- › ضبط أسماء الأعلام والأماكن والمصطلحات.
- › التعريف بالأعلام والأماكن والمصطلحات وغيرها إنما يكون عند الحاجة إلى ذلك: كالإبهام، أو الاشتباه، أو الغرابة، ويكون ذلك باختصار، نحو: الاقتصار على اسم العَلَم ونسبه، والفن الذي اشتهر به، وسنة وفاته، ومصدرين لترجمته.
- › الإحالة على الكتب الحديثية -من الصحاح والسُنن والمعاجم ونحوها- غالبًا ما يكون بذكر رقم الحديث.
- › الإحالة إلى غيرها من الكتب تكون بالجزء والصفحة.
- › **إذا ذكر المؤلف كتابًا:**
- › **فإن نقل منه، فإنه يُعارَض مع أصل الكتاب المذكور،** وتذكر الفروق

المهمة التي تؤثر في المعنى، ويُوثق هكذا: «المسند» (٥/ ٤٥٣) مثلًا، ولا يُعاد اسم الكتاب مرة أخرى في الهامش.

- وإذا عزا إليه فيُوثق كذلك.
- إذا ذُكر النقل، ولم يُوجَد، فينص على ذلك.
- إذا لم يطبع الكتاب، فيُعرّف به، ويُشار إلى كونه ما يزال مخطوطًا أو مفقودًا. وإن أمكن الرجوع إلى المخطوط فحسن.
- إذا لم يذكر المؤلف مصدره، وعَرَفه المحققُ، فيقابله مع أصله، ويذكر فروقَه المؤثِّرة.
- أرقام الإحالة إلى الحواشي توضع آخر النص المنقول وليس في أوله هكذا: «...»(١) مثلًا.
- تعليقات المحقق على النص تكون خادمة لموضوعه، مقتصدة قدر الإمكان إلا لحاجة يقدّرها.
- الإشارة إلى المواضع الأخرى في كتب المؤلف، التي توسّع فيها، أو أضاف إليها إضافة مهمة، وليس إلى جميع مواضع كلامه على المسألة.

تاسعًا: الفهارس:

صُنْع فهارس شاملة متنوعة (لفظية وعلمية)، وعددها وأنواعها تزيد أو تنقص بحسب الكتاب المراد فهرسته، والفهارس المستقرّة في غالب الكتب هي:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الكتب.
- فهرس الشعر.
- فهرس المسائل العلمية بأنواعها (التفسيرية والفقهية والأصولية

والحديثية واللغوية وغيرها).

- فهرس الموضوعات العام.

عاشرًا: المراجعة والتحكيم:

- جميع الكتب التي يوكل تحقيقها إلى باحثين متعاونين تخضع للمراجعة والتدقيق من المدير العلمي للمشروع، أو بتكليف أحد المحققين الرئيسين.
- ترسل جميع الكتب بعدئذ إلى التحكيم من قِبل اثنين من المحكّمين المتخصصين الذين لديهم خبرة في فن الكتاب المراد تحكيمه، أو ممن لهم مزيد عناية بضبط نصوص كتب التراث.
- لا يتم إرسال أيّ كتاب إلى الطباعة إلا بعد مراجعة ملحوظات المحكمين، وإجازته نهائيًا من المدير العلمي للمشروع، أو من محققي المشروع الرئيسين.
- يوضع اسم المحكّم في الورقة الثانية بعد الغلاف، فيقال: راجع هذا الجزء فلان ...

حادي عشر: مقدمة التحقيق:

يتكفل كل محقق بكتابة مقدمة شاملة للكتاب الذي حققه، تتضمن المباحث التالية غالبًا:

- اسمه، وسبب تأليفه، وإثبات نسبته لمؤلفه.
- موضوعه.
- أهميته.
- وصفه.
- موارده.
- طبعاته السابقة.
- نُسَخه الخطية.

› منهج تحقيقه.

وقد تزيد في بعض الكتب أو تنقص بحسب طبيعة الكتاب وما يكتنفه من قضايا، ثم تُرْفَق في آخر المقدمة صُوَر ضوئية لأوراق النُسخ المخطوطة المعتمدة في التحقيق كورقة العنوان، والصفحتين: الأولى والأخيرة.

* * *

مشروع (مدّ علوم الحديث)

افترع الشيخ هذا المشروع، وحصلت له عشرة أنواع، وبدأ فأصدر كتابين هما (النسخ الحديثية والتحديث) واقترح على بعض الباحثين الكتابة في أخرى مثل: المشترك اللفظي وغيره.

وقد شرح فكرة هذا المشروع في (التأصيل)[1] قال:

«فائدة: اشتهر قولهم: (علم الحديث نضج واحترق)؛ أي: استوت أبحاثه على سُوقها، حتى تجاوزوا به الحَدَّ، فبقي التنقيح والاجتهاد في التقريب والترتيب، وقد بلغ السيوطي - رحمه الله تعالى - بعلومه (ثلاثة وتسعين نوعًا) مع أن كلمة العلماء على قابلية زيادتها إلى مائة فأكثر، كما قاله الحازمي - رحمه الله تعالى - في مقدمة «العُجالة». وقال ابن الملقن بإمكان إيصالها إلى مائتي نوع، وحرر الحافظ ابن حجر رحمه الله ما يزيد عن خمسة وثلاثين نوعًا. «النكت»: ١/ ٢٢٣ - ٢٣٤.

ومن حيث وقف السيوطي، لا أعلم أحدًا زاد عليه، وقد تَيَسَّرَ لي: (مَدُّ عُلُومِ الحديث) من حيث وقف السيوطي - رحمه الله تعالى - بأنواع، هي:

معرفة ما لا يصح فيه حديث، معرفة النُّسخ والصحف الحديثية، معرفة المشترك اللفظي فيه، معرفة الأوائل، معرفة الفروق الحديثية، معرفة المتلقي بالقبول؛ أي: ما قيل فيه: تغني شهرته عن إسناده. معرفة معارضة السنة بالإجماع، معرفة معاني الأحاديث التي على خلاف ظاهرها - وهو نوع غير مختلف الحديث ومشكله. متشابه الطرفين، وهذا من زيادات الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - على ابن الصلاح - رحمه الله تعالى - معرفة المقحم في الحديث؛ فهذه عشرة أنواع حصلت لي الآن.

وتصنيفها مع هذه الزوائد باعتبارات مختلفة سوف تراه - بإذن الله - من خلال مراتب النظر هذه.

---

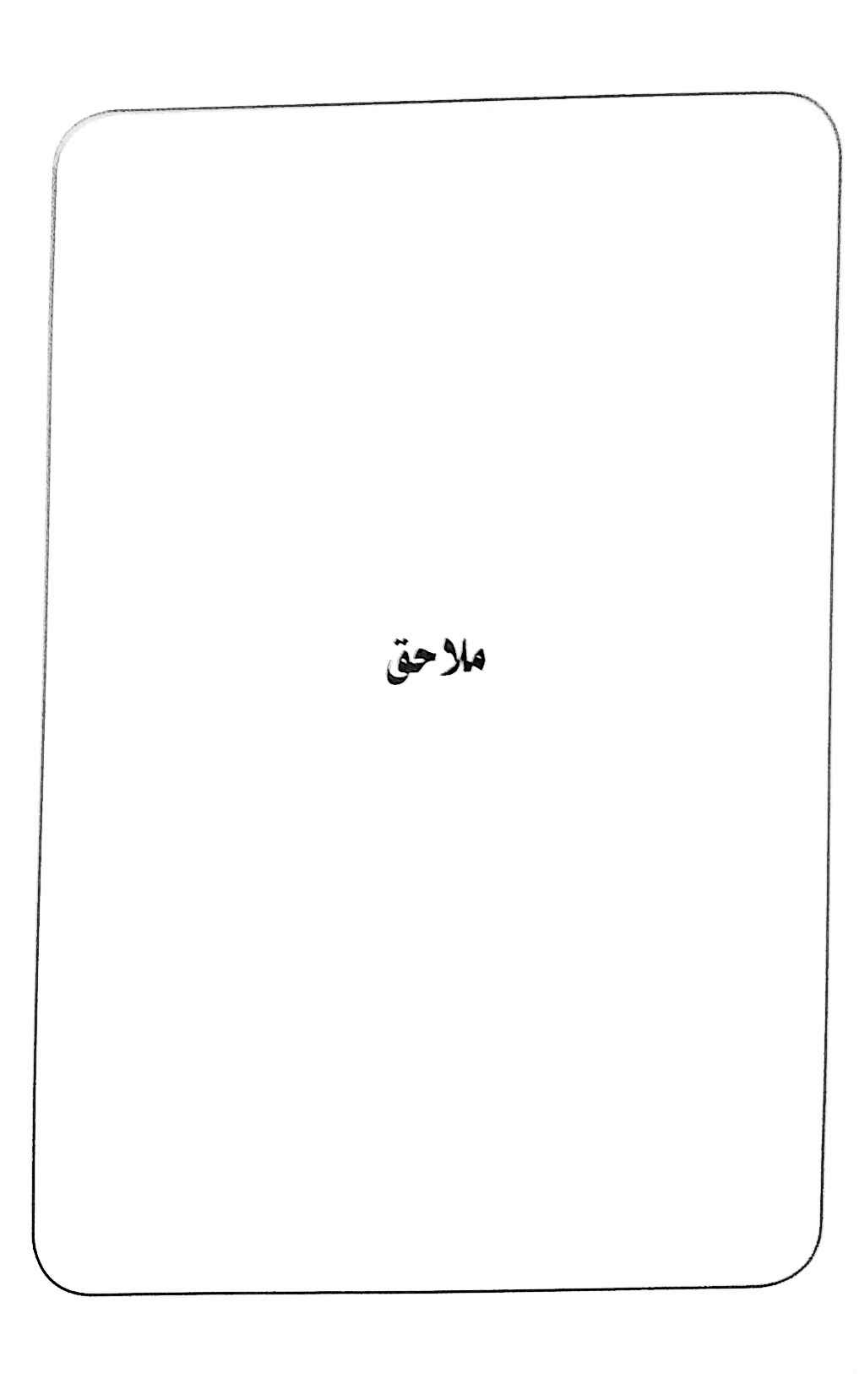
(١) ص ١٦٨- ١٦٩.

ثم اعلم أن ابن الصلاح - رحمه الله تعالى - لما ساق أنواعه كانت بحسب ما وقع له، فلم يرتبها على نسق واحد، وسار على طريقته من بعده، حاشا الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في «النخبة» وشرحها؛ فإنه - رحمه الله تعالى - ساقها سياقًا موضوعيًّا مترابطًا كسلسلة ينبني آخرها على أولها، ولهذا؛ فينبغي أن تكون قراءتها بالكلمة لا بالجملة.

وقد شرحها بكتابه: «نُزْهَةُ النظر» حال السفر، وفرغ منها سنة ٨١٨هـ، كما في «إسبال المطر» للصنعاني: ص٩. وكانت سياقته لها على نحو ما نوّه عنه في: «النكت» وما يظهر منها كالآتي:

- ما يتعلق بالإسناد خاصة وحده.
- ما يتعلق بالمتن خاصة وحده.
- ما يجمعهما وحده.
- ما يتعلق بالمرتبة الحكمية.
- ما يختص بهيئة السماع والأداء وحده.
- ما يختص بصفات الرواة وأحوالهم وحده».

***



ملاحق

رسالة بخصوص كتاب الرقابة على التراث

لما طبعت هذه الرسالة فرح بها المنصفون، وتلقاها رجال العلم والفكر بالرضا والقبول.

وقد وصلني بشأنها مكاتبات، أختار منها ما كتبه إليّ فضيلة الشيخ عبدالعظيم الديب، أستاذ الفقه بجامعة قطر، وهذا نص كتابه:

الأخ الجليل فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأملنا أن تصلكم رسالتنا هذه وأنتم على خير ما تحبون من توفيق الله ورضاه، فيما تستقبلون من أمور دنياكم ...

وبعد: بالأمس فقط حمل إليّ البريد من أحد أبنائي الذين يدركون مدى اهتمامي بتراث أمتنا رسالتكم الكريمة (الرقابة على التراث)، فما وضعتها من يدي حتى قرأتها، فروت ظمئي، ونقعت غُلتي، وجاءت بردًا وسلامًا على كبد حرّى، وتنفست الصعداء، وأنا أقول: ها قد مهد الشيخ للرحا محل القطب، ووضع الهناء موضع النقب، وقد صادف الإثمد الحدقة، فآن لهذه القضية وقد حمل الشيخ لواءها أن تجد لها قاضيًا، وأن توضع موضع الحزم والحسم.

فضيلة الشيخ الجليل، عندي مما مثّلت له من مستبشع العبث بالتراث الكثير مما يستخرج الضحك من الثكالى ولكنه ضحك كالبكا، وقد أشرت على طرف منه في مقدمة الطبعة الثانية من تحقيقنا لكتاب «الغياثي» وقد جاء ذلك في نحو عشر صفحات، وكذلك ما جاء في الصفحات ١٥٥م، ١٥٨م، من مقدمة الطبعة الأولى للكتاب نفسه، وكذلك ما أشرنا إليه في ص١١٥م، من مقدمتنا لتحيق كتاب «الدرة المضية».

وتحت يدي مما صادفني من هذا ما يكفي لإصداره في كتاب بعنوان: «التراث بين عبث المجترئين وأوهام الخواص».

فضيلة الشيخ الجليل، لقد غبرنا زمانًا، ونحن نئن ونتوجع مما يجري من هذا العبث، ونكتفي بأن نودع زفراتنا حنايا السطور، وحواشي الصفحات،

ولا نزيد؛ وآن لنا أن ننتقل إلى العمل، فهلا تفضلتم -بمكانكم ومكانتكم- بالدعوة إلى ندوة لتدارس هذا الأمر حتى تخرج الآراء والأفكار إلى حيز التنفيذ والعمل.

وأتوقع أن يدور الحوار في هذه الندوة حول محورين:

١. مظاهر العبث بالتراث.

٢. الوسائل العملية التنفيذية لوقف هذا العبث.

ولذا أتصور أن يكون من المدعوين من يمثل جهات الرقابة والإعلام، ومن يمثل كبار الناشرين الجادين، بجوار العلماء المختصين والباحثين.

سعادة الشيخ: الأمل في همتكم وجهودكم كبير، وسيكون لك - إن شاء الله- أجر هذا العمل الجليل في الدنيا وفي الآخرة عندما تعرض الأعمال على الناقد البصير، وهو نعم المولى ونعم النصير، وفقنا الله وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم أ. د. عبد العظيم محمود الديب

رسالة بخصوص كتاب التعالم

رأيت منذ ربع قرن تقريبًا نسخة من كتاب «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بتعليق العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع المتوفى سنة ١٣٨٥هـ - رحمه الله تعالى - وقد طبع على وجه الغلاف أبيات في امتداح معتقد السلف، والثناء على هذا الكتاب من شعر الأستاذ علي زين العابدين.

وفي صيف عام ١٤٠٨هـ جاورنا بمنزلنا في الطائف: اللواء علي زين العابدين - ونعم الجار أثابه الله - فأهدى إليَّ ديوانه: «هديل وصليل»، فأهديت له بعض ما كتبت ومنه نسخة من «التعالم»، فبعث إليّ -أثابه الله - بهذه القصيدة. وهذا نصها:

بكر أبو زيد جلا للعالم	زيف الخداع وخدعة المتعالم
أدلى بصدق حديثه متوخيًا	محض النصيح لطالب أو عالم
أكرم به من عالم ذي حنكةٍ	لبقٍ سديد الرأي غير مزاحم
كشف النقاب عن الذين تعالموا	وتظاهروا بوداعة كحمائم
دسوا السموم لدارس متطلع	وسقوه كأس ضلالة وسخائم
فإذا الذي قد كان يطلب عزة	بالعلم آب مدنسًا بمآثم
يا ويح من تَخِذ التعالم سُلّمًا	لمآرب مشبوهة ومغانم
ترك الهداية وانبرى بضلالة	يغوي ويفتن كل غِرّ حالم
بالجهل والتضليل بات محدثًا	في العلم لا يخشى عقاب (الدائم)
يفتي ويقضي في العلوم جميعها	وكأنه أستاذ هذا العالم
إن فاه قال طلاسمًا وأحاجيًا	فكأنه عمّ الورى بعظائم

بكر أبو زيد يهيب بقومه يا قوم لا تصغوا لقول الظالم
العلم حق والتعالم باطل شتان بين حقائق ومزاعم
العالم النحرير ينقذ قومه من بدعة وضلالة ومغارم
أما الجهول إذا بدا متعالمًا قاد الجميع إلى ردًى متفاقم
من ذا يخالف شرع رحمن الورى ويميد عن سنن النبي الخاتم
هذا أبو زيد يقول كتابه إني حفلت بحكمة ومكارم
وأنا قرأت كتابه في لهفة فوجدت فيه قطاف روض باسم
وأقولها .. هذي نصيحة عالم بزغت لتهتك نزعة المتعالم

مهداة إلى صاحب الفضيلة الشيخ أبو بكر زيد مؤلف كتاب «التعالم» تحية تقدير وإعجاب.

اللواء علي زين العابدين

الطائف ١٣/ ١٢/ ١٤٠٨هـ

تقديم لكتاب الروض الباسم لابن الوزير اليماني، تحقيق علي العمران

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وصحبه، ومن اهتدى بهديه.

أما بعد: فهذا صوت من صنعاء اليمن، ينصر السُّنة، ويدافع عن حَمَلَتها، ويذبُّ عنهم وعنها، يدوّنه يراع العلّامة ابن الوزير اليماني المحلَّى عند عامّة من ترجمه بالإمام المجتهد: محمد بن إبراهيم بن علي القاسمي الصنعاني مدفنًا، المتوفى سنة (٨٤٠) رحمه الله تعالى يرقم سطوره في مجالدة مع شيخه العلامة [ابن أبي القاسم اليماني]، المنعوت عند علماء الزيديّة بمجتهد المذهب في زمانه: علي بن محمد الهادي. المتوفى سنة (٨٣٧) رحمه الله تعالى؛ إذ كتب ابن أبي القاسم إلى تلميذه ابن الوزير رسالة ينصحه فيها عن مَيْله إلى التخلّي عن مذهب الزيديّة من خلال نُصرته للسُّنة وأهلها.

وقد حَوَت هذه الرسالة إرجافًا في الخصام، بنفثات اعتزالية، ومحاجّات عقلية، وتعسّفات وعصبية، وقدحًا في الرجوع إلى الآيات القرآنية، والمرويّات الأثرية، والقواعد الشرعية، في سورة انفعال؛ إذ بُهت برجُل مِن قُطْره، ومن بني جِلدته، وقد تتلمذ على يده، فما هي إلا لحظات، وعينه تنفتح على تلميذه وهو ينابذه في مشربه، معتصمًا بالله، ديدنُه الوحيان الشريفان، جاعلًا مقالات الرجال دبر أذنيْه، فاستوحش الشيخ من التلميذ، وتحامق عليه، واستعلى برسالته هذه، فتسلمها التلميذ [ابن الوزير]، وهش لها وَبَش، وكَرَّ وفرّ، وأقبل عليها إقبال الدهر، وأبداها صرخةَ حقٍّ في ضجّة باطل، حتى قبضها الله، ونفض التلميذ ما حَثَاه شيخه عليه من التحامق، ونقضها هذا التلميذ بكتاب مطول أسماه: «العواصم والقواصم» وهو مطبوع، ثم اختصره مع زيادة إفادات، وإضافة مهمات في هذا الكتاب الذي بين يديك باسم: «الروض الباسم في الذبّ عن سُنة أبي القاسم» صلى الله عليه وسلم، عنوان يلفت الأنظار، ويجذب القلوب، كيف وقد طابق اسمُه مسمّاه؛ لما احتواه من

الذبّ عن السُّنة، والذَّوْدِ عنها وعن حَمَلَتها، وكشف الشُّبَه عنها، سندًا ومتنًا في أبحاث حديثية مسهبة، يبيّن فيها وجه الصواب، ويرد الشُّبه والاعتراض في مسائل طالما كثُرَ فيها الجدلُ وطال، منها:

عدالة الراوي والرد على دعوى تعسّر أو تعذّر معرفتها، وإبطال تقديم طرق الاحتجاج العقلي على النقل المعصوم. ومبحث اتصال الرواية بكتب الجرح والتعديل، والمبحث الممتع إقامة حجج الله القاهرة على عدالة مَن عدَّلَهم الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وهم صحابته رضي الله عنهم ونثر الحِصْرَم في وجوه المُشَكِّكة. ومبحث في التنديد بمن حصر الصحيح في الصحيحين. وآخر في النقض على من ادّعى صحة ما في الكتب الستة. وتحرير طرق التصحيح والتضعيف، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والبحث موعبًا في معترك الأقران، حول مسألة الاجتهاد والتقليد، والذبّ عن الأئمة الأربعة وأهل الحديث، وتقرير شرفهم، وفضيحة من تحطَّطَ عليهم.

والتعريج على مباحث عقدية في قضايا: الجبر، والتجسيم، والتأويل... وتأصيل القول في الاعتقاد على رسم الشرع المطهّر لا غير، ومنابذة علم الكلام ونصيحة أهل الإسلام بالاهتمام بالقرآن، والنهي عن الابتداع.

إلى غير ذلك من أبحاث فائقة، يتخلّلها من النكات والفوائد الخيرُ الكثير، والروض النمير، في فنون شتّى.

وإلى هذا المشمول العُجاب، ترجع أهمية هذا الكتاب، وإلى أن محاورة مؤلفه ليست نظرية، وإنما هي ميدانية في مواجهة مذهبٍ عرَفه، وارتوى منه ثم نزع إلى السنة، ثم ثاقفه المتعصبة، فأبرزت لنا هذه المنازلة: هذا الكتاب «الروض الباسم» وأصلُه: «العواصم والقواصم»، والظاهر أن جلّ مؤلفات هذا الحبر هي في هذا الميدان، مثل: «إيثار الحق على الخلق»، وهو مطبوع، وغيره.

لا جرم إذًا أن يسارع المصلحون إلى طبعه، وقد كان فضل السبق للشيخ

محمد منير الدمشقي المتوفى سنة (١٣٦٧) رحمه الله تعالى؛ إذ طبعه عام (١٣٢١)، فحصلت الاستفادة منه، ورجوع أهل العلم إليه، ونقلهم منه، على مدى ما يقرب من مائة عام من تاريخ طبعه، ثم تتابعت طباعتُه بعدُ، فجزى الله الجميع خير الجزاء وأوفاه.

هذه إضاءات عن هذا الكتاب، وعن مؤلفه، وعن نزوعه إلى السُّنة، وعن تعويل العلماء على كتابه.

وإنّ كتابًا بهذه المثابة لا بدّ أن يكون أمام اهتمامات البُصَراء من أهل العلم وطلّابه؛ لمتابعة طباعته وإخراجه.

وقد سَمَتْ هِمّة الشيخ الفاضل علي بن محمد عمران، إلى الإمساك بناصيته، والاعتناء بإخراجه على مجموعة نسخ خطّية، فلما أحضره إليّ - تقبّل الله منّا ومنه- مطبوعًا في تجربته الأخيرة في نحو (٦٠٠) صفحة، ومقدمة التحقيق في نحو: (١٠٠) صفحة، وكشّافاته في نحو (١٥٠) صفحة، الجميع نحو: (٨٥٠) صفحة، قرأت مقدمة التحقيق، وجملة من التعاليق، وفي مواضع من المتن، وفي فهارسه الكاشفة عن مخبآته، فتذكرت قول من مضى: (دلّ على عاقلٍ حُسن اختياره) وأضيفُ إليه: (ودلّ على عاقل حُسن عمله وإتقانه)؛ فقد جمع هذا الفاضل بين الحُسنيين، وحاز الدلالتين، إذ قد مشى في تحقيقه على أصول علمية نيّرة، يعرف التزامه بها من كان له فضل عناية بالتحقيق، ولا أريد أن أطيل، فالعمل أمام فَوَقَة القرّاء، ومنصفيهم.

وقد عافاه الله مِن حشر الحواشي الطوال بلا طائل، تلك الظاهرة التي تُمَكِّن غيرَ المختصين من استباحة حِمى العلوم الشرعية.

وله - أثابه الله- لفتات نفيسة في المقدّمة والحواشي، وقد أحسنَ كلَّ الإحسان في كشّافات الكتاب المصنّفة على مجموعتين: (الفهارس النظرية) التي في وسع كل أحد عملها، و(الفهارس العلمية) التي لا يستطيع عملها بصفة دقيقة موعبة إلا طالب علم متمكن، ولا أحسب المحقق إلا كذلك.

وكم لإخواننا في الله علماءِ اليمن وطلابه من أيادٍ بيضاء على العلم وأهله أحيوا فيها مآثر الأجداد، ووطَؤوا منهم على الأعقاب، فاتّصل الأحفاد بالآباء والأجداد.

غفر الله لابن الوزير، ونفع الله بكتابه المسلمين، وجزى الله أخانا الشيخ علي بن محمد عمران خيرًا على هذا العمل المبارك.

والحمد لله رب العالمين.

بكر بن عبد الله أبو زيد

في مصيف عام ١٤١٩ بالطائف

افتتاحيته لدورة المجمع الفقهي سنة ١٤٠٥، وفيها اختياره رئيسًا للمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فَترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم، يدلُّون مَن ضلَّ، ويبصرون بنور الله أهل العمى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله الموتى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فلله ما أحسن أثَرهم على الناس ولكن ما أسوأ أثر الناس عليهم! يمحون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فنشروا ألوية السنة، وقمعوا رؤوس الضلالة والبدعة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ كلمة قامت عليها الأرض والسماوات، ومن أجلِها أرسلت الرسل وأسست الملَّة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد.

وأشهد أن محمدًا عبده المجتبي ونبيُّه المصطفى، بلَّغ عن الله حق البلاغ وأدى الأمانة حق الأداء، اللهم صلِّ وسلم عليه كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، ورضي الله عن الصحابة الكرام وآل بيته الأطهار.

وبعدُ، معشرَ الحضور الكرام، رجالَ هذا المجمع مع الاحتفاظ بكريم الألقاب وعواليها لحضراتكم الكريمة، أُهدي لكريم مسامعكم من رَدْهة هذا المجمع، ونحن نعايش جُملًا من جلائل النعيم وعظيم المآثر؛ فنحن في بلد الله الحرام دارِ أمنه وموئل حُرمته، وفي أول مجمع للفقه الإسلامي يكون على وجه البسيطة بهذه الصفة إذ يتبنَّاه مَن بسط الله أيديهم على البلاد والعباد، فهذا المجمع شعاع هبط علينا من ملوك ورؤساء وأمراء العالم الإسلامي بفضل من الله وتوفيقه، واستشعارًا بمدى حاجة الأمة المحمدية إلى تزكية سدتها وقوتها العاقلة بالعلم الشرعي الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فحق للِّسان أن يتحرك رطبًا بذكر الله ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف/ ٨٦]، ومن الجاري:

ظَفِر الطالبون واتَّصل الوصـ ...... ـل وفاز الأحباب بالأحباب

لقد جاء هذا المجمع في وقتٍ رثَّت فيه حبال الأُمة فاشتدت حاجتها إلى تزكيتها، إلى تزكية سدتها وقوتها بالعلم الشرعي، الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ وذلكم بلمِّ شتات طاقاتها الإسلامية المبعثرة من رجال مخلصين برزوا في حلائب العلم، يسيرون على النهج السوي، ويَنهلُون من المَشرع الرَّوي؛ لينهضوا بجَناحه المَهيض إلى مطار السُّؤدد والمجد.

إن هذا المجمع نشر السرور لبُناة المجتمع الإسلامي من سَرَوَات الرجال وخيارهم، ورأوا في مولده بروز عهد جديد لاستكمال الوجود الإسلامي في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وحرَّك باب الرجاء في هذه الأمة الكريمة.

وإن من لطائف الصُّدف ويُمْن الطالع أن تنطلق الدعوة الكريمة إلى هذا المجمع عَزْمةً من عَزَمات خادم الحرمين الشريفين بمحضَرٍ من قادة العالم الإسلامي فيجتمع رأيهم بالإجماع على ذلك، وأن هذا المجمع يشبه تمامًا أول ميثاق نشأ على وجه هذه الأرض المقدسة إذ حضره النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته، وأقرَّه بعد نبوءته ورسالته، فقال: «لقد شهِدتُ في دار عبدالله ابن جُدعان حِلفًا لو دُعِيتُ به في الإسلام لأجبتُ»، ذلكم هو ما عُرف فيما بعدُ باسم «حِلف الفُضول»؛ إذ تحالفوا على ردِّ الفضول إلى أهلها، وردع الظالم ونصرة المظلوم.

واليومَ يأتي ذلك المجمع على حين فترة؛ ليكون حصنًا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من دواعي الانحلال والتفسُّخ، وعوامل الفُرقة والتفكك، إنه لَيقوم في هذه الأمة مقام الوالد بنشر أنوار التنزيل والسنة المشرَّفة في عقيدة الأمة وسلوكها وأخلاقها وشتى دروب حياتها، إنه أُسس لإنقاذها من أمور ألمَّت بها إذ أصابها رذاذٌ من وابل أعدائها فغشي على طريقها ما غشي، ولإنقاذها من ظلمات ثلاث طالما تهافتت؛ هي ظلمة في العقائد، وظلمة في الأنفس، وظلمة في الأحكام.

إنه يهدف إلى تجاذب بُردة المساجلة لسوابح الأفكار وسوابق الأقلام في الأمور الاجتهادية بين ثُلة من علماء الإسلام، حتى تنزل تلكم الأمور الاجتهادية منزلتها من العقل والدين. إنه يهدف إلى إعمال وصْل الأمة بربها وإعلائها عن مراتب الضعف والهوى، وعن قاطعات الأرحام وجازمات حبال الإخاء.

وإن هذا المجمع بقدر ما له من أهداف سامية بعيدة المدى وعميقة، فإنه ينطلق من أسس متينة وجذور عميقة؛ ذلكم أنه يسير في خطوطه العريضة المتمثلة في أمور من أهمها: إيجاد مَعْلَمة للفقه الإسلامي تكون خالصة من الرأي الهجين، والْمُقرِف والدخيل، متخلصة من شوائب القوانين الوضعية بصورها وأشكالها، فضلًا عن الحقائق وإعدادها. ومنها: التصدِّي للفُتيا في نوازل العصر ومسائل العلم وقضاياه.

ومن أهمها: مثاقفة الداء العَقَام الذي نسميه بالاستعمار الفكري، ولو أنصفْنا لتابعنا العلَّامة الطاهر ابن عاشور في تسميته له بالطاعون، حتى يُضحي ذلك الاستعمار أو ذلكم الداء العضال كحرف لا يُقرأ بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

معشرَ الحضور الكرام، إن هذا المجمع كما يعلم الجميع ينبني على قاعدتين أساسيتين مشتبكتين اشتباك الروح بالهيكل:

القاعدة الأولى: محضُ المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فهذا المجمع تبتدئ وتنتهي قراراته وبحوثه ومداولاته في مضمار مناهج الأدلة الشرعية؛ من الكتاب الكريم، وصحيح السنة، وسليم القياس، وصالح الإجماع وما جرى مجرى ذلك من الأدلة التبعية. هذا، مع وافر الحُرمة والتقدير لعلماء الإسلام وأئمته الكرام بفضل سابقتهم في الإسلام والعلم والبيان.

القاعدة الثانية: تمحّض صدق النية مع الله سبحانه وتعالى فيما نأتي ونذر

من أقولنا وأعمالنا؛ فإنه إذا صدقت النِّية وصلَحت العزيمة فإنه يظفر الطالب بالمطلوب، ويتحقق للمؤمَّل المأمول.

معشرَ الحضور الكرام، إنني أجد في الوقت الذي أجد فيه شرفًا عظيمًا في اختياركم لي رئيسًا لهذا المجمع، فإنني أجد ما يغطي ذلك؛ من أن هذا تكليف لي وأنه أمانة عظمى أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يعينني على أدائها، وأن يوفِّقنا وإيَّاكم لكل عمل صالح مبرور، وإنني أقدِّم لكم شكري وخالص تقديري وامتناني، واسمحوا لي إن قصّرت في إبداء ما يجب لكم من الشكر والامتنان، فإن العرب قد مدحت العِيَّ في بعض المواضع، فقالت: «رُبَّ إشارة أبلغ من عبارة»، إذًا فلا جُناح عليَّ في سلوك ذلكم الطريق المعبَّد؛ طريق الاعتراف بالعجز والتقصير عن إبداء ما يجب لكم من الشكر والتقدير، وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن أكون عند حسن ظنّكم، وأسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يوفقنا جميعًا لكل عمل صالح مبرور، وأن يأخذ بأيدينا دائمًا وأبدًا إلى ما فيه صلاح الأمة في أُولاها وأُخراها، والله خليفتي عليكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

***

خطاب الشيخ بكر للشيخ سفر الحوالي بخصوص كتاب العلمانية

من بكر بن عبدالله أبو زيد إلى أخي في الله الشيخ/ سفر بن عبدالرحمن الحوالي الموقر

فأحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، مصليًا على النبي وآله وصحبه.

وليعلم الأخ الكريم أنني من المقتصدين في المكاتبة، لكن في فترة قريبة أهدت إليّ جامعة أم القرى مشكورةً كتابكم (العلمانية)، فقرأته من أوله إلى آخره في مجالس متتابعة، ثم كررت قراءة مواضع منه لعظيم فائدتها. فرأيت الكتاب عظيم الفائدة، كبير العائدة، يحاكي في صياغته وأسلوبه أسلوب علماء الطراز الأول ومن سار على نهجهم لخلوه من التعقيد، والإسراف في الألفاظ والتراكيب وفي إعداده. يكفي أن أقول: لم أعرف قبل هذا (العلمانية) على جليّتها وخطوطها العريضة والدقيقة إلا من هذا الكتاب.

وهذه مواهب من الملك الوهاب، والرؤية واضحة أن الكتاب لم يبلغ هذا المبلغ إلا وقد سيرته -إن شاء الله- نية صالحة (وإنما ترزقون على قدر نياتكم).

فلشخصكم مني تحية وافرة، ودعوة في ظهر الغيب خالصة، فأجزل الله لكم الأجر والمثوبة، ونشر في العالمين ذكركم معلنًا للدين الحق الخالص من شوائب الوثنية، ودحض الأوهام.

هذا: ومن وجهة نظري يحسن أن يختصر الكتاب في رسالة صغيرة الحجم، ويكثف نشرها حتى يكون في وسع النشئ قراءتها واستيعابها، وصاحب البيت بما فيه أدرى. ولكل وجهةٌ هو موليها، فاستبقوا الخيرات.

وأخيرًا بارك الله في جهودكم، ونفع بكم، وثبتنا وإياكم على الإسلام، ومنَّ علينا بدوامه وبالإيمان والإحسان. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم بكربن عبدالله أبو زيد

وكيل وزارة العدل

خطاب الشيخ بكر للدكتور عبدالله العسيلان بخصوص قصيدة وعظية

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة العدل
مكتب الوكيل

الرقم: ....
التاريخ: ....
التوابع: ....
الموضوع: ....

المكرم

فضيلة الأستاذ/ عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فأرجو الله أن تكونوا بخير وفي منة ونعمة، ذلك لله الحمد.

الأستاذ الكريم/ في كتاب "نفح الطيب" ١/ ٢٢٢-٢٧٠ قصيدة عصماء وعظية:

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامه

في ١٠٢ من الأبيات.

وهي وعظية. تاريخية. فيها عبر، ومواعظ. وقد كنت منذ سنوات أتطلع إلى نشرها منفردة معلقاً عليها بما يوضح ألفاظها ومعانيها مختصراً. وفضيلتكم خير من يقوم بهذا.

فإن رأيتم ذلك مناسباً فأرجو احتساب الأجر. جزاكم الله خيراً. ونشر فضلكم بما يليق. والله يحفظكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بكر أبو زيد

٢٤/ ١٢/ ١٤١٠هـ

خطاب الشيخ بكر لمركز جمعة الماجد بدبي

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء
هيئة كبار العلماء

الرقم :
التاريخ :
المشفوعات :
الموضوع :

فضيلة مدير مركز جمعة الماجد بدبي المُوقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد : فيسرني أن أبعث لفضيلتكم إهداء لكم وللمركز نسخ من / آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال في ثمانية أجزاء ، تسليم الأخوين الشيخ محمد عزير شمس والشيخ علي بن محمد العمران أرجو من الله أن ينفعنا وإياكم بما فيها من الخير .

هذا وقد جرى انتداب الشيخين المذكورين للاتصال بفضيلتكم والتفضل بمساعدتهما بما لدى المركز من مخطوطات لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى مما يتطلبه العمل في هذين المشروعين . ولكم الأجر الجزيل والذكر الجميل . والله يحفظكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رئيس مجمع الفقه الإسلامي
بكر بن عبد الله أبو زيد
٢٥ / رجب / ١٤٢٣

نموذج من المراسلات بيني وبين الشيخ بكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فضيلة شيخنا بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله وسلمه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- بخصوص الطبعة الثانية (آثار شيخ الإسلام) وما أشرتم سابقًا بإضافته إلى (المداخل) وهو "المدخل الثالث": أمثلة من أقواله السائرة فنحن نرسلها لكم للاطلاع عليها وإقرارها مع التعديلات.

- وهناك في (المداخل) تصحيحات قليلة، وإضافات يسيرة كنتم أشرتم بها أدخلناها في أماكنها.

- وأخيرًا هل ترغبون في عمل مقدمة للطبعة الثانية يذكر فيها ما أضيف وما صحح، أو يكتفى بما هو حاصل؟

متعكم الله بالصحة والعافية ونفع بكم الإسلام وأهله.

كتبه

علي بن محمد العمران

٢١/ صفر/ ١٤٢٧

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فيكفي المدخل الثالث بعد إدخال التعديلات عليه وكذا التعديلات المشار إليها في بقية المداخل. ويعمل مقدمة مختصرة للطبعة الثانية تضمنه ما أشرتم إليه. والله يحفظكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بكر أبو زيد

٢٩/٢/١٤٢٧